

# موسم صيد في بيروت

وقصص أخرى

المجلس  
الأعلى  
للثقافة



المشروع القومي للترجمة

تأليف : دنيس چونسون - ديقر

ترجمة : نادية رفعت

مراجعة : محمد المخزنجي

525





المشروع القومي للترجمة

# موسم صيد في بيروت

وقصص أخرى

تأليف : دنيس جونسون - ديفيز

ترجمة : نادية رفعت

مراجعة : محمد المخزنجي





## المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

– العدد : ٥٢٥

– موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى

– دنيس جونسون ديفيز

– نادية رفعت

– محمد المخزنجى

– الطبعة الأولى ٢٠٠٢

هذه ترجمة للمجموعة القصصية :

**Open Season in Beirut**

**And Other Stories**

تأليف : **Denys Johnson - Davies**

الناشر : **Quartet Books 1999**

---

**حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة**

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo.

**Tel. : 7352396. Fax : 7358084.**

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

## تقديم

دينيس جونسون ديفيز البريطاني المولود في كندا ، والذي عاش طفولته في أفريقيا ومعظم عمره في العالم العربي - خاصة مصر - قال عنه المفكر إدوارد سعيد «إنه رائد ترجمة الأدب العربي الحديث إلى الإنجليزية» ، وهذا ليس إلا جزءاً من عالم دينيس جونسون الواسع ، فهذا الرجل الذي يتجاوز الآن الثمانين من العمر بذهن شديد الصفاء لم تكن ترجمته لنماذج عديدة من الأدب العربي ومشاركته في ترجمة ثلاثة أجزاء كبيرة من الأحاديث النبوية وكتاب عن الطعام للغزالي وتأليف مجموعات من قصص الأطفال المستندة إلى الرؤية الإسلامية والمعطيات العربية ككتاب «جزيرة الحيوانات» ... لم يكن ذلك كله إلا انعكاساً لبعض من روحه التي يستكمل الإشارة إلى بعضها الآخر عبر هذه المجموعة القصصية «موسم صيد في بيروت» التي صدرت بالإنجليزية في لندن عن دار «كوارتت» تحت عنوان «مصير سجين» .

وهذه المجموعة ذات الانسياب السردى الهادئ ، والدراما غير المولعة بالصخب ، والحبكات الناعمة الذكية ، إنما ترسم صورة لعالم مجهول لدينا برغم قربيه المدهش منا ، فنحن نعرف أن الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية عندما غربت عنها الشمس ، تركت عالم المتسعمرات - بعد التحرُّر - ممزق الأوصال على خرائط مزروعة

بالألغام ، ومنتذرة للحروب الأهلية والحدودية وآلام الشعوب . أما الذى لا نعرفه وتقودنا هذه القصص إلى معرفته فهو ذلك العالم الداخلى لفئة من أبناء الإمبراطورية الآفلة نفسها ، قادتهم قلوبهم وأحاسيسهم إلى الجانب الآخر المجروح بسكين هذه الإمبراطورية ؛ فلم يختاروا الحياة فقط على هذه الأرض المجروحة ، بل عشقوها وحلموا بالذوبان بين أهلها ، لكن نصيبهم من إرث الإمبراطورية الراحلة كان خرائط أخرى ملتبسة فى بواخلهم ، معذبة بالحيرة بين عالمين ، ومثقلة بالشجن ، وهو عند دينيس جونسون شجن عذب وموجع فى أن ، يطلعنا عبر عنوبته وإيجاعه ليس فقط على صورة من يمثلهم الكاتب ، بل على صورتنا كما يراها هؤلاء ، وهذه الرؤية المزدوجة هى مناط أهمية هذه المجموعة من القصص .

**محمد المخزنجى**



( ١ )

## الحلم

دفع جيمس مورفي أجرة التاكسي بجوار السفارة البريطانية، ثم عبر زحام المرور القادم من ناحية الكورنيش ، ونزل الدرجات الأربع إلى داخل محل البقالة. بعد أن اشترى زجاجة من زيت الزيتون ذي اللون الأخضر الغامق ، والتي تحمل علامة "إكسترا فيرجن" الفاخرة ، وعلبة من بسكوت الشكولاتة - المنتج في هولندا عملاً بالنصيحة الشخصية لصاحب البقالة ، عاد أدراجه مخلصاً السفارة وراءه ، واجتاز بصعوبة حركة المرور الكثيفة التي كانت تمر في طريقها بأهم الفنادق الفخمة في العاصمة .

كان حر الصيف قد بدأ لتوه. وفي صباح هذا اليوم قرر أنه حان الوقت لكي يرتدى نظارته السوداء ، وقبعته الـ "بنما" ، وخلق ذلك لديه إحساساً بالخجل ؛ حيث شعر أنه أشبه بسائح ، هو الذي عاش في القاهرة ما يقرب من نصف قرن .

سلك طريقه داخل متاهة شوارع جاردن سيتي . وقف البواب النوبي عند عبوره البوابة الحديدية واجتيازه للحديقة المتربة نحو المدخل

الرئيسى. وبعد دخوله إلى جو أكثر برودة وصعوده طابقيين من السلالم مسح العرق عن جبهته. وصل إلى باب شقته وهو يلهث ، ويشعر بدوار خفيف. وبدلاً من البحث عن مفاتيحه قرع جرس الباب. فتحه فوراً الطباخ "عبد الغفار" الذى كان يعمل أيضاً كخادم .

"حر جداً دكتور" قال عبد الغفار وهو يمنح سيده لقب الدكتوراه الذى يُمنح فى مصر لكثيرين .أوماً سيده بالموافقة ، ثم أعطاه المشتريات ودخل فوراً إلى الحمام. فتح حنفية المياه الباردة ، وغسل وجهه وشعره الأبيض الخفيف. خلع حذاءه المترب فى غرفة النوم ، ولبس الشبشب ، ثم استقر فى غرفة المعيشة ومعه جريدة "الإيجيشين جازيت" وخطابان كانا قد سلما للمدرسة فى الصباح ولم يقرأهما بعد .

ظهرت هيئة عبد الغفار النحيلة وراء الباب الزجاجى المؤدى إلى غرفة الطعام. وضع على المائدة صينية بها زجاجة بيرة "ستلا" تلمع رقبتها بحبات المياه الثلجة ، وكوباً طويلاً ، وطبقاً من الفول السودانى المحمص .

"نعمل حساب حالاً دكتور؟" سأل عبد الغفار.

كلاهما - السيد والخادم - كانا يتحادثان فيما بينهما بلغة تطورت عبر سنوات طويلة هى خليط من الرطانة الإنجليزية المبسطة ، وبعض الكلمات العربية التى تلفظ بطريقة خاطئة. كان يقول لنفسه إنه من السخف لرجل تعليم ، رجل عاش معظم حياته فى مصر، رجل لديه

استثمارات مالية في مدرسة لغات ، أن يفشل في التعبير عن نفسه بلغة البلاد. عُذره - وهو العذر الذي كان يقدمه دائماً عندما يأتي ذكر تعلم اللغات الأجنبية في أى حوار - هو أنه على الإنسان . إما أن يجتهد جدياً لتعلم اللغة بشكل صحيح - أى القراءة والكتابة وما إلى ذلك - أو أن يتركها وشأنها .

"بعدين أبدول جفار" رد عليه مشيراً إلى أنه سيقوم بعمل الحسابات فيما بعد. لم يبذل أى جهد فى نطق الـ "غ" فى اسم خادمه عملاً بمبدئه فى "ترك اللغة وشأنها".

"أوكى دكتور" قال عبد الغفار وانصرف إلى المطبخ.

قال لنفسه - وهو يصب البيرة بحرص ، ومثلما كان يقول لنفسه عند كل موعد غداء - إنه مهما كان تناول زجاجة البيرة لطيفاً قبل الغداء - وخاصة فى فصل الصيف ، ويؤدى دائماً إلى النوم ساعة أو أكثر بعد الظهر ، والاستيقاظ بطعم فى الفم ظل يذكره بالأيام التى كان فيها مدخناً، إلا أنه يجب حصر احتساء الكحول فى فترة ما بعد غروب الشمس مثلما اكتشف المستعمرون البريطانيون الأوائل .

نظر إلى رأس الصفحة الأولى من الجريدة ، وتأكد أن اليوم هو الخميس ؛ وهو اليوم الذى يجىء فيه صديقه القبطى نبيل، مرتين فى الشهر للشرب وللعشاء ولعب الشطرنج. لم يكن قد اتفق مع عبد الغفار على مكونات العشاء ، ولكنه كان متأكداً أن طباخه لم ينس موضوع العشاء مثلما نسيه هو .



أبدول جفار!" قال منادياً فظهر الرجل بشكل شبه فوري وهو  
يمسح يده بفوطة صحون. كان أحياناً يتساعل إذا كان عبد الغفار  
يستطيع قراءة أفكاره. "مستر نبيل ييجى عشا" أبلغه جيمس مورفي،  
وأوماً عبد الغفار برأسه مسلماً بذلك. "ماذا تطبخ أبدول جفار؟"

"سمك فى فرن" رد عبد الغفار. "بلطى كويس كتير، سمك جديد  
جداً". البلطى - كما كان يعرف جيمس مورفي - هو سمك نيلى ، كان  
عبد الغفار يعده بشكل لذيذ المذاق فى الفرن مع شرائح البطاطس  
والبصل والطماطم. كان يعرف أيضاً أن كلمة "جديد" معناها "طازج".

"والحلو أبدول جفار؟" كانت ذخيرة عبد الغفار من الحلويات  
محدودة. "الكراميل كسترد"؟ قال مقترحاً.

أجاب عبد الغفار موافقاً: "كراميلى كسترد"

"و الطبق الأول؟"

"كوكتيل الجمبرى؟"

"كويس كويس" رد جيمس مورفي. كان هناك قانون غير مكتوب  
مفاده أن قائمة الطعام المقترحة غير قابلة للمناقشة.

التفت جيمس مورفي إلى بريده ، كان قد بدأ فى فتح أحد  
الخطابين الاثنين اللذين يحملان طوابع بريد أيرلندية عندما تذكر  
ضرورة أن يضع زجاجة نبيذ أبيض فى الثلاجة ؛ فالنبيذ الأبيض

المصرى من الصعب شربه إلا إذا تم إخفاء مذاقه عن طريق التبريد الشديد. وضع الخطاب جانباً، وأخذ زجاجة "كليوباترا" من الدولاب ، ووضعها بجوار زجاجات بيرة "ستلا" فى الرف السفلى من الثلاجة. لم يكن من المحبين للبيذ المصرى ، ولكن ضيفه القبطى كان يتذوقه. أما البيذ الأجنبى فكان : إما غير متوافر أو باهظ الثمن، كما أنه - ويا للأسف - لم يعد لديه اتصالات داخل السفارة تتيح له فرصة الحصول من حين إلى آخر على زجاجة غير خاضعة للرسوم الجمركية.

مر على المطبخ ، وأبلغ عبد الغفار أنه وضع زجاجة بيذ فى الثلاجة ، وأكد عليه بعدم فتحها إلا بعد تقديم الطبق الأول من وجبة العشاء. وجد طباخه أثناء عملية تقطيع البصل واقفاً بجوار طاولة المطبخ وهو يرتدى نظارة الشمس القديمة لسيدة ذات الإطار المكسور ، ورفع عبد الغفار النظارة للحظات فى أثناء توجيه الكلام إليه.

كان من السهل التعرف فوراً على خط اليد المكتوب على الخطابين. على واحد منهما كانت الخريشة المتعرجة لجاره فى القرية بمنطقة "كيلى" - والتي كان يمتلك فيها كوخاً صغيراً - مايكل موريارتى الذى كان يعيش مع أخيه التوأم وأخته الأصغر منه ، فى كوخ مماثل تماماً لكوخه ، ولكن على مسافة أبعد فى الشارع نفسه، كان قد تولى منذ البداية مسئولية الإشراف على بيته، وكان كل عام يعترض بإصرار صادق على تقبل أية هدية مالية مقابل خدماته. مهمة مايكل الإشرافية كانت تشتمل على إشعال النار للتدفئة فى الطابق العلوى والطابق السفلى عندما تشتد برودة الجو - وهو ما كان يحدث فى أغلب الأحيان - وإدخال

رجل الكهرباء لقراءة عداد النور، ووضع سم الفئران ، كما كان يكتب خطابين أو ثلاثة سنوياً إلى "رجل دبلن في القاهرة، مصر" - كما كان يسميه نصف مازح - حيث كان يبلغه بوضع الكوخ ، وحالة الطقس ، وأية إشاعات محلية يرى أنها قد تهمه. في الخطاب الحالى قال إن الطقس كان سيئاً للغاية، لكن الكوخ صمد جيداً أمامه ، باستثناء فقدان بعض القرميد الذى قام باستبداله... الحصاد هذا العام لا يبدو مبشراً ، ولكن إذا تحسن الجو - بمشيئة الله - خلال الصيف سيتاح لهم جمع التبن... "بادى" كان يعانى من ظهره وذهب إلى "ترالى" للعلاج ، لكن صحة السيدة سوليفان ، التى تعيش على مسافة أبعد فى الوادى وتمتلك فندقاً صغيراً كانت فى تحسن - شكراً لله - وجاءت ابنة أختها من "أنيس" لتساعدها. لقد أخرج المركب من الماء ، وسيقوم بطلانها عندما يتوافر له الوقت. يبدو أن اليومين القادمين سيشهدان طقساً رائعاً . هل يريد طلاء الجزء الداخلى بنفس اللون الرمادى إذا كان اللون نفسه متوافراً لدى المتجر ؟

حالة صيد السمك كانت سيئة للغاية ، ولا يتذكر وقتاً شهد مثل هذه الحالة من قبل. الجميع يتطلعون لرؤيته قريباً فى صحة جيدة - إن شاء الله - كان قد أحضر رجلاً لفحص وإصلاح المضخة ، كما وضع بعض الجير فى البئر.

كانت خطابات مايكل تتلج صدره ، وتذكره بأنه عبر البحار ، فى بلد يختلف تماماً عن مصر أكثر من أى بلد آخر ؛ حيث كان يوجد العقار الوحيد الذى يمتلكه ، هذا الكوخ الذى اشتراه فى حالة خراب ،



ونجح فى إنقاذه من تغفل نباتات القراص والعليق والبلاب. لحسن حظه كان سكان المنطقة قد بدأوا يفضلون السكنى فى البيوت ذات الطابق الواحد المبنية حديثاً ؛ ولذلك نجح فى شراء الكوخ ، وقطعة من الأرض مقابل عدة مئات من الجنيهات. كانت خطابات مايكل تذكره أن فى هذا الجزء المنعزل المعرض للرياح والمبهر من "رينج أوف كيرى" كان له أصدقاء يعتبرونه واحداً منهم ؛ فحقيقة كونه أصلاً من العاصمة "دبلن" لا يعطيه هذا الحق ؛ فالقادم من "دبلن" يعتبر أجنبياً مثله مثل الألمان والهولنديين ؛ الذين بنوا لأنفسهم منازل شبيهة بالثكنات فى هذه المنطقة.

كان الخطاب الآخر من أخته فى "كورك"؛ وهى تصغره فى العمر، وكانت قد ترملت منذ سنوات عديدة ، وانتقلت منذ فترة وجيزة من "دبلن" للعيش بالقرب من ابنتها وأحفادها .

كان فى كل صيف يمضى معها عدة أيام قبل أن يستكمل رحلته إلى منطقة "كيرى". جاء خطابها رداً على خطابه الأخير لها ، والذى أشار فيه - ولأول مرة - إلى حيرته حول استمرار العيش فى القاهرة ، وعماً إذا كان قد حان الوقت لكى يستقر فى أيرلندا. رغم تقديرها لحبه للقاهرة بعد كل الأعوام التى أمضاها فيها، إلا أنها أصرت أن لكل إنسان موطناً واحداً فقط، وفى حالته فإن موطنه هو كوخه فى منطقة "كيرى" ، فليس كافياً - كما أكدت له - أن يكون قد أمضى معظم حياته فى مصر. ملاحظتها ذكرته بأنه سيظل فى القاهرة دائماً كسائح ، وفى النهاية هو أيرلندى ، ومن الصواب أن يعود لجنوره. وإذا اتخذ

منطقة "كبرى" كمستقر له فليس هناك ما يمنعه فى الأوقات التى يسوء فيها الطقس ، ويفتقد فيها الشمس أن يقوم برحلة إلى مكان مثل إسبانيا. وهناك العديد من الناس الآن يذهبون فى إجازاتهم إلى أماكن مثل إسبانيا وقبرص .

الخطابان ملاء بالحنين لنعومة لهجة سكان "كبرى" ، وعظمة المناظر الطبيعية ؛ فكيف لا يكون سوى غريب فى بلد يتحدث فيه الناس بأصوات مرتفعة أقرب إلى الشجار ، وبلغة لا يفهمها؟، والقاهرة كيف نشأ حبه وتعلقه بهذه المدينة التى تقع عظمتها فى الماضى ، ولا يميزها الآن سوى التلوث وتاكل مرافقها؟

أصبحت القاهرة موطنه نتيجة مصادفة تاريخية ؛ فأزمة السويس التى قلبت حياة العديد من الناس رأساً على عقب لم تمس حياته ، ولكن حددت مسارها المستقبلى. كان قد تخرج من كلية "ترينيتى" فى "دبلن" وبعد أن عمل بالتدريس لمدة عامين فى مدرسة إعدادية فى مقاطعة "كنت" انتقل إلى القاهرة فى سن الرابعة والعشرين ، وتعاقد مع الحكومة المصرية للتدريس لمدة عامين. وبالفعل أمضى عامين غير مريحين فى مدرسة إعدادية فى أسيوط ، ثم وافق على الخدمة عامين آخرين شريطة أن يتم نقله إلى القاهرة. وما إن تحقق له ذلك حتى اندلعت الأزمة السياسية التى مزقت حياة العديدين من الأجانب ، وهددت سبل معيشتهم فى مصر. المدرسون الإنجليز الذين أصبحوا يعتبرون مصر موطناً لهم تسلموا تذاكر سفر باتجاه واحد إلى بريطانيا. توقع جيمس مورفى نفس المعاملة لكن السلطات المصرية زكّرت به بأنه

أيرلندي ، وأن مصر التي تشارك أيرلندا كرايتها للإنجليز ستكون أكثر من سعيدة باستمرار بقاءه، ونظراً لأن الكثير من الوظائف أصبحت شاغرة بشكل مفاجئ كانت الحكومة المصرية على استعداد لأن تعرض عليه وظيفة في الجامعة. ورغم أن الأجر لم يختلف كثيراً عما كان يتقاضاه كمدرس ثانوي إلا أن ساعات العمل كانت أقل بكثير. في هذه المرحلة بدأ ينظر إلى القاهرة ، وإلى عمله كمحاضر في الجامعة باعتباره نظاماً ثابتاً لحياته أكثر فائزاً.

كان قد اتخذ لنفسه - مقابل مبلغ ضئيل للغاية - حق السكن في شقة من الشقق ذات الإيجارات الثابتة في حي جاردن سيتي ؛ وهو حي تقلصت فيه مساحة الحدائق عبر السنين ، ولكنه يقع بشكل ملائم في قلب العاصمة سريعة النمو. خلال هذه الفترة عين عبد الغفار للعمل عنده ، وهو الخادم التوبى الذى تنقل من مسئول بالسفارة البريطانية إلى آخر مع انتهاء فترة خدمة كل منهم في مصر .

سنوات الخمسينيات والستينيات كانت سنوات صعبة ؛ فقد فرض عبد الناصر على رعاياه المحبين للمتعة نمط حياة صارماً ومتقشفاً ، وفرض حظراً على استيراد ما يسمى بالسلع الكمالية ، والتي كانت تضم سلعاً يعتبرها أغلب الأوروبيين سلعاً أساسية. أصبحت حياة الأوروبيين الذين بقوا في القاهرة بدون المطاعم والبارات التي يديرها اليونانيون والقبارصة والإيطاليون حياة رتيبة . فجأة أصبحت خدمات جيمس مورفي كمدرس لغة إنجليزية مطلوبة. كان أحد أهم تلاميذه ممن يدفعون بسخاء رائداً في الجيش وثيق الصلة بحركة الضباط - والذي



وفر له إحساساً بالأمان خلال هذه الأوقات الملتبسة بالإضافة إلى مزايا أخرى مثل هدايا من العالم الخارجى ، والتي كانت تأتي فى أغلب الأحيان على شكل زجاجة سكوتش .

نظراً لأنه لم يكن مواطناً مصرياً استمتع جيمس مورفى بميزة السفر إلى الخارج كل عام ، والسماح له بأخذ مبالغ من المال كانت تكفيه خلال شهور إجازة الصيف، وخلال إحدى هذه الإجازات اشترى كوخه فى "كيرى" .

عندما جاء السادات إلى السلطة حدث انفتاح مصر مرة أخرى للتأثير الأجنبى وتقلبات الرأسمالية ، فأصبحت الحياة أكثر سهولة ولكن أكثر غلاءً. لم يتغير الكثير فى حياته باستثناء أن عبد الغفار أصبح يعد له وجبات بها قدر أكبر من التنوع. خلال هذه السنوات الأولى لحكم السادات أقنعه صديق مصرى بالمجازفة بجزء من رأسماله ومشاركته فى تأسيس واحدة من أولى المدارس المخصصة للتعليم باللغة الإنجليزية. حققت المدرسة نجاحاً فورياً ، وفى عامها الثانى كان قد استقال من عمله فى الجامعة ليكرس كل اهتمامه لها. فجأة وجد نفسه يحقق دخلاً أكثر مما يحتاجه لتوفير متطلباته اليومية. لم يستمتع بهذه التجربة مثلما كان يتصور ؛ فقد انتزعت بشكل ما القوة المحركة أو الدافعة للحياة . لم يعد يعرف كيف ينفق دخله الإضافى باستثناء شراء محرك خارجى أكثر قوة لزورقه ، أو شراء قصبه صنارة جديدة مصنوعة من الفيبرجلاس ، أو إضافة جراج ومخزن إلى الكوخ. كان قد رفع أجر عبد الغفار وأعطاه مبلغاً من المال لكى يشتري لنفسه أرضاً فى قريته قرب أسوان حيث تعيش ابنته وزوجها .

كان جيمس مورفي قد تعدى الأربعين عندما دخل الحب والزواج حياته بشكل غير متوقع. كان قد تقبل فكرة أن يعيش وحيداً بقية حياته. ألا يوجد في أيرلندا - كما كان يقول لنفسه - العديد من الرجال الذين يظلون وحيدين طوال حياتهم، يعملون في مزرعتهم الصغيرة لكي يتوارثها من بعدهم أفراد آخرون من عائلاتهم. وألا توجد فتيات يضحين بشبابهن من أجل رعاية أب مسن أو أم مسنة. كان قد كوّن علاقات في القاهرة مع امرأتين أو ثلاث، ولكن لم يتوافر القدر الكافي من الحماس في أي من الجانبين لكي تتطور العلاقة إلى زواج. ومصر في نهاية الأمر ليست بالبلد الذي تطمح فيه غالبية النساء الأجنيات إلى تأسيس منزل، كما أن هناك نقصاً في عدد النساء الأجنيات غير المتزوجات. ومع ذلك ظهرت فجأة في حياته سيدة إنجليزية من "كورنوال" تعمل مدرسة في مدرسة إعدادية للبنات، وتكبره بثلاث سنوات، وتلبي كافة متطلباته كزوجة؛ فهي تمنحه رفقة طيبة، ويشعر بالمتعة لمشاركتها في فراش واحد، كما أنها كانت تبذل مجهوداً لتتعلم صيد السمك، ولم تشعر بالغيثان أو الخوف عندما تهب عاصفة في البحيرة، كما لم تحاول إصدار الأوامر لعبد الغفار، ولكن لم يمض سوى عامين حتى أبحرت عن حياته بنفس الشكل المفاجئ الذي دخلته به؛ إذ وضعت مراسيها وغادرت مغطاة بملاءة بيضاء في مستشفى الأنجلو - أمريكيان. كان من العبث بل من الوقاحة تجاه ذكرها أن يحاول تكرار تجربة بهذا الكمال. وتحت وطأة هذه الخسارة الفادحة وزّع كل متعلقاتها الشخصية، وعمل ألبوماً صغيراً للصور، وعاد إلى حالة العزوبية مرة أخرى.

بكى عبد الغفار - الذى أحس بعدم أحقيته فى إعلان الحزن على زوجة سيده - فى عزلة المطبخ ، ليس من أجل المرأة التى شاركتم الحياة لفترة وجيزة ، ولكن من أجل الحزن الذى أصبح يغلف سيده .

أحس بالارتباك إزاء ضرورة اتخاذ قرار حول رحيله عن مصر؛ وهو قرار ربما كان يجب أن يكون قد اتخذه منذ زمن بعيد حين تم استبعاد زملائه الإنجليز ، أو بعد ذلك - حين توفيت زوجته. كان يبدو أن حياته بها بدائل ضئيلة. ربما كانت أخته على حق ، وأن الوقت قد حان الآن بعد أن وصل سن الخامسة والستين ليصفى حصته فى مدرسة اللغات كى يمضى ما تبقى من حياته بين أهل بلده ، وفى منزل يمتلكه ، وفى قرية تتقبل وجوده واحداً من أبنائها.

بعد أن تناول غذاءً خفيفاً من الجبن والسلطة والبطيخ ، وأمامه رواية بوليسية مستندة على إبريق من المياه ظل تفكيره منشغلاً بالقرار الذى يجب أن يتخذه. عاد إلى غرفة المعيشة ليشرب فنجان القهوة التركي ، وبينما يأخذ آخر رشفة من الفنجان ، ويزيل بإصبعه مسحة البن على لسانه انتبه إلى وجود عبد الغفار واقفاً عند مدخل الباب .

طبعاً ... ساعة حساب أبدول جفار" ثم أخذ كتاب الحسابات الأحمر والقلم الجاف ، وبدأ تدوين البنود وهى تملى عليه: ٢ قرنيبيط ، ٨ بيض ، ١٢ شمام - وهكذا تتابعت البنود الواحد تلو الآخر بطول عمود كامل بما فيها اللبن واللحمة والأسماك ، وحساب الغسالة والكبريت ، وما فهمه على أنه قماش للتنظيف ، ونوع من السوائل المطهرة يستخدمه عبد الغفار للمرحاض. وكالعادة امتدت



القائمة إلى ما لا نهاية مع حساب يصعب فهمه. وقد خطر بباله -  
مثلاً خطر من قبل - عبثية هذا الروتين الإسيبوعى، فكان لديه ثقة تامة  
فى أمانة عبد الغفار وبراعته فى الحساب ، لكن هذا الإجراء كان يتم  
كل يوم خميس على مدار أربعين عاماً ، وكان يعلم أن عبد الغفار يتوقع  
منه ذلك. تظاهر بأنه يجمع الحساب ثم نظر إلى عبد الغفار. "أربعة  
وستون جنيهاً وخمسة وعشرون قرشاً" ، قال عبد الغفار واتفقا على أنه  
مازال يتبقى لديه خمسة عشر جنيهاً ، وخمسة وسبعون قرشاً. أعطاه  
جيمس مورفى ستون جنيهاً إضافيين .

" آه و...يا أبدول جفار..."

لم يكن عبد الغفار قد تحرك: كأنه استشعر أن هناك شيئاً آخر لم  
يتم تناوله بعد.

"أبدول جفار ، أنا رجل عجوز ، أنت رجل عجوز..."

"نعم دكتور " رد عبد الغفار وهو يبتسم سعيداً بأنه هو وسيده قد  
نجحاً فى الوصول إلى هذه المرحلة من العمر.

" كفاية شغل أبدول جفار أنت تعبان ، أنا تعبان. الآن وقت  
راحة".

رفع جيمس مورفى نظره فى محاولة لاستشراف أى نوع من رد  
الفعل يلمح له ، أو يشير إليه بكيفية مواصلة الحديث.

"الراحة غير جيدة ، دكتور. الله خلق الإنسان للشغل".

"لا أبول جفار ، أنا أرجع بلدى".

"للصيف دكتور، مثل كل صيف. أنت تذهب إنجلن، أنا أذهب قرية".

"لا أبول جفار ، هذه المرة أنا أرحل بشكل دائم".

خوفاً ألا يفهم ما يريد قوله ، أو أن يساء فهمه أضاف. " للأبد. أنا أترك مصر".

اكتسى وجه عبد الغفار الطويل الملىء بالتجاعيد بتعبيرات عدم التصديق.

"للأبد؟ كيف للأبد؟" قال سائلاً . "تكتور عنده مدرسة كبيرة، تلاميذ كثير".

هز جيمس مورفى رأسه، كان الأمر يبدو أصعب مما تصوره.

قال بحزم ، وهو يعود فى ارتبائه إلى استخدام اللغة الإنجليزية العادية. " أنا عائد إلى وطنى".

وأشار عبد الغفار أمامه إلى مساحة الأرضية من الحجرة ، التى كانت تفصل بينهما معقباً. "هنا وطن".

"أنا ذاهب أيرلندا".

"إنجلن" صحح له عبد الغفار برفق ؛ حيث أن جيمس مورفى لم يكن قد بذل أى مجهود من قبل لكى يشرح الفارق بين البلدين .

"أنا أجد لك شغل آخر ، أو أنت تذهب تعيش مع ابنتك..." التفت إلى المائدة الجانبية ، وبدأ يعيد الخطابات فى مغلقاتها.

"عبد الغفار لا يريد شغل آخر، عبد الغفار لا يريد عيش مع ابنة".  
بدأت الدموع تملأ عينيه المحتقتنين ؛ وهو واقف يحاول التعبير عن  
رعبه من عدم استمرار حياته الراهنة.

قال فجأة في يأس: "أنت. أنا. نروح إنجلن".

هز جيمس مورفي رأسه ببطء من جانب إلى آخر كملاحظة لنفسه  
أكثر منها إجابة بالنفى للآخر.

"بعدين... نتكلم" قال وهو يضع نظارته كإشارة إلى انتهاء الحديث  
بينهما. تردد عبد الغفار للحظة ، ثم رفع الصينية وعليها فنجان القهوة  
وكوب الماء الذي لم يمس. بعدها بنصف ساعة سمع جيمس مورفي  
الباب الخلفي وهو يغلق ، وعرف أن طباخه قد ذهب إلى أحد المقاهي  
القريبة من القصر العيني - حيث يجتمع الخدم النوبيون الذين يعملون  
في السفارات والفنادق .

لأنه كان يعلم أن عبد الغفار لن يعود قبل المساء بدأ ينزلق نحو  
النوم. استرخى في الكرسي وهو يمد رجليه وفمه مفتوح قليلاً.  
أحياناً كان يحلم وخاصة عندما كان ينام عند الظهر. كان يندم لأنه  
نادراً ما يتذكر أحلامه، لكنه اليوم وهو يمسح اللعاب عن فمه التقط حلماً  
مثل فراشة ترف على زجاج النافذة ، ومرره إلى عقله اليقظ.

كان يصطاد في البحيرة في "كيرى". كان يوماً مشمساً ، يوم  
"صعب" كما يقول الصيادون عن فرص اصطياد السمك. كان يصيد  
بالسنارة على جانب من المركب ، ويستخدم سمك الطعم الدوار



المفضض على الجانب الآخر فى حين كان المحرك الخلفى يدور ببطء شديد لدرجة أنه تخوف من احتمال توقفه.

فجأة قفز الحجر الموضوع فى أسفل المركب على خيط السنارة إلى الهواء، والتوت قصبية السنارة فى شكل قوس مرتعش ، وسمع الصوت المثير لخيط الصيد وهو يُسحب إلى الخارج. أن تغمز سمكة عندما تكون وحيداً ، وتصيد بقصبتين فى آن واحد ؛ هى عملية دقيقة تحتاج إلى براعة: فيجب أن تحول المحرك إلى السرعة المحايدة ، ثم تسحب الخيط الآخر بأقصى سرعة ممكنة ، وأنت تتمنى ألا تكون قد غمزت سمكة ثانية ، وأن تأمل أن تكون السمكة الأولى لا تزال موجودة عندما تعود لتبدأ فى سحبها. بعد أن نجح فى لف الخيط ورفع نظر إلى أعلى ورأى عبد الغفار جالساً أمامه على الجانب الآخر وهو يرتدى جلبابه الأبيض وحزامه الأحمر وإحدى طواقيه البيض على شعره الأشيب الجعد. رآه وهو يمسك القصبية بيده اليمنى ويضع إصبع السبابة على الخيط حتى يستمر الضغط على السمكة ، ويتدبر أمره كأن لديه خبرة طويلة فى صيد السمك بالسنارة بعد أن سيطر على السمكة أخذها ناحية مؤخرة المركب حتى تكون فى اتجاه مجرى النهر ؛ وحتى لا تتشابك وتتعدد خيوط الصيد. سحبها تجاهه ورفع قمة السنارة إلى أعلى - وقد كانت ملتوية مثل عصا راعى الغنم - ثم رفع الشبكة فى يده الأخرى ، ووضع متمهلاً السمكة فيها. كانت سمكة رائعة من نوع التروثة البحرية تزن ما بين ثلاثة ونصف إلى أربعة أرطال ، وكان قمل البحر مازال ملتصقاً بها.

انتهى الحلم وفتح عينيه على الضجيج المكتوم لحركة المرور عبر الكورنيش.

كان دائخاً ويلهث قليلاً، ربما من القلق الذي انتابه وهو يشاهد عبد الغفار يحاول الإمساك بالسמكة واحتمالات هروبها. بعد أن أصبح الحلم طليقاً تسلسل من خلال نسيج عقله نحو النسيان.

لثوان قليلة استطاع أن يتذوق الحلم: لمعة سطح البحيرة تحت أشعة الشمس النادرة، وخرير المياه، وأحضان الجبال؛ التي تنعكس عليها ظلال السحب الطافية. ابتسم لفكرة وجود عبد الغفار معه على البحيرة، وذكره ذلك باقتراح الرجل بأن يرافقه إلى أيرلندا - كان هذا غير جائز بالطبع - فكيف سيتدبر أمره مع العواصف المتواصلة للأطلنطي وبرد الشتاء؟ مع من سيتحدث؟ أين القهوة التي سيجلس عليها في ساعات الراحة؟

هل كانت أخته على حق عندما قالت إن العيش أغلب سنوات العمر في بلد ما لا يعنى أنك أصبحت جزءاً منها، أو أن تستبعد البلد الذي ولدت فيه، ولكن أليس للمرء أن يختار؟ ليس هناك قانون ينص على ضرورة أن تنتهي من حيث بدأت. المسألة ببساطة هي أن تختار المكان الذي تفضل العيش فيه، والذي قد يكون المكان الذي غرست فيه جذوراً جديدة. ولنكن واقعيين، ماذا سيفعل بنفسه في قرية معزولة في أقصى نقطة في "رنج أوف كيرى" بعد انتهاء موسم صيد السمك في أكتوبر؟

إذا أحس أنه يريد أن يمضى وقتاً أكثر في كوخه ، فلماذا يعنى ذلك أن يدير ظهره لمصر؟ ماذا يمنعه من الذهاب إلى "كبرى" مرتين في السنة بدلاً من فترة الصيف فقط؟ وهو لديه من المال ما يكفى ثمن تذكرتين ذهاب وإياب خلال سنة واحدة. فبالإضافة إلى شهور الصيف يمكن أن يعود خلال شهرى مارس وإبريل ؛ وهى الفترة التى يقال إن صيد سمك التروت البحرى يكون جيداً فيها، وهل يعتبر الرغبة فى امتلاك الأفضل فى كلا العالمين مسألة لأخلاقية؟

مرة ثانية دخلت هيئة عبد الغفار الطويلة. كان يشعر بوجوده إلى جواره ويسمع صوت الصينية وعليها براد الشاي والفتجان وإبريق اللبن وهى توضع على المائدة. انتظر حتى لم يعد يشعر بوجود الرجل فى الحجره، ثم مدد جسمه وسمع ركبه وهى تطقطق تذكر وهو يصب فتجان الشاي أن عليه أن يبلغ عبد الغفار بعدوله عن رأيه.

دخل المطبخ ووجد عبد الغفار يصلى. كان يجلس على قدميه الحافيتين ، ويداه الكبيرتان ترتاحان على فخذه ، فجأة انحنى جسده ولمست جبهته طرف سجادة الصلاة. شعر جيمس مورفى ؛ الذى نشأ تنشئة دينية محافظة بوخز الضمير لعدم ممارسته شعائر دينه.

فى غرفة المعيشة وقف يرشف الشاي ، ويرتب قطع الشطرنج استعداداً لمجىء صديقه. فى نفس الوقت ظل منصتاً لأية إشارة تدله على أن عبد الغفار عاد إلى واجباته الدنيوية ، فمن الإنصاف أن يخرج من تعاسته ، ويبلغه أن شيئاً لن يتغير فى روتين حياتيهما .

( ٢ )

## مصير سجين

مرر الشيخ منصور بن خالد بن عبد العظيم - حاكم واحدة من أصغر دول الخليج حبات مسبحة بين أصابعه وهو ينتظر القهوة. كرر قائد شرطته ، الذي كان جالساً إلى يمينه في المجلس الخصوصي الصغير المطل على البحر سؤاله حول صحة الحاكم ، ثم طمأن الحاكم أن صحته هو كانت - والحمد لله - بخير. كان ماكس بويتتر يعلم تماماً سبب استدعائه في هذه الساعة المتأخرة، ولكن تقاليد المجلس كانت تقتضى اقتصار أى حديث قبل طقوس شرب القهوة على السؤال المتبادل حول الصحة.

سأل ماكس وهو يشعر بضرورة كسر الصمت فيما بينهما: "والد سموكم؟"

"الحمد لله ، الشيخ خالد بخير" رد الحاكم وهو ينظر إلى الباب المفتوح ويسرع في تمرير حبات المسبحة بين أصابعه "وابنك؟" قال الشيخ سائلاً .

"الحمد لله، هو في صحة جيدة" رد ماكس رغم أنه لم يتلق من ابنه أية خطابات منذ أسبوعين.

شعر الرجلان بالارتياح عند رؤيتهما الحارس الذي يرتدى حزاماً عريضاً للكتف يوضع فيه الرصاص ، وهو يدخل من الباب حاملاً دلة القهوة في يده اليسرى ، وفنجانين صغيرين في يده اليمنى. جرت التمثيلية الصامتة التي تكررت مرات عديدة بين الحاكم وقائد شرطته عندما لوح الحاكم بيده لتقديم فنجان القهوة لماكس ؛ والذي أشار بدوره للحارس أن يعطى الأولوية للحاكم. وكالعادة تراجع الحاكم وأخذ الفنجان الأول . اكتفى كلاهما بفنجان واحد ، وقاما بهز فنجان كل منهما كإشارة لعدم الرغبة في ملئه ثانية ، ثم قاما بإعادته للحارس ؛ الذي قام بدوره من خلال حركة سريعة وأنيقة لمصمه برمي التفل جانباً على سجادة ثميثة من قُم ، قدمها ، تاجر كهديّة لوالد الحاكم تعبيراً عن شكره لمعروف أسداه إليه.

عند زهاب الحارس خاطب الشيخ منصور قائد شرطته قائلاً:  
"مستر ماكس، الأمر يتعلق بالموضوع الذي سبق أن ناقشناه".

عند بداية تعيينه في وظيفته في الإمارة وجد أن الحاكم لم يستطع نطق اسمه "بوينتر" وفضل مناداته بـ"بونتتر"، ولأنه ضجر من هذا الاسم؛ اقترح ماكس على الحاكم أن يناديه باسمه "الشخصي" ماكس. وافق الحاكم على ذلك ؛ حيث وجد أن نطق هذا الاسم أسهل ، كما وجد نوعاً من المتعة في تكرار الحرف الأول في اسمه مع الحرف الأول لكلمة "مستر".



كان ماكس يحمل احتراماً ومودةً للشيخ منصور العجوز. في الواقع لم يكن الحاكم الذي كان يبلغ من العمر سبعة وخمسين عاماً أو ما يقارب ذلك لا يزيد في العمر عن قائد شرطته إلا بثلاثة أو أربعة أعوام ، لكن كان من الصعب على ماكس عدم التفكير في "الرجل الكبير" إلا باعتباره أكبر منه في السن والخبرة ، رغم أن الشيخ منصور لم يكن في استطاعته النجاح في امتحان أية مادة للمرحلة الثانوية ، إلا أنه كان منعماً منذ ولادته ، وكان قد اكتسب - خلال ثلاثين عاماً من الحكم الصعب، عقب خلع والده المقتون بالنساء وغير الكفاء - دهاءً وعمقاً في فهم أخيه الإنسان ، بما يعد مفخرة لميكافيلي مؤلف كتاب "الأمير" علاقته الممتازة مع والده العجوز الذي كان يعيش في أبهة بقصر في قرية مجاورة كانت دليلاً على قدرته على العيش في انسجام مع شخص يمكن أن يحمل تجاهه ضغينة. في الواقع، منذ ابتعاده عن المهمة الأزلية في صد القبائل المتصارعة التي تجوب صحراء المشيخة، وعن محاولة تدبير احتياجات بلاده التي تفتقر للموارد النفطية، وجد الشيخ خالد - منذ أن تمت الإطاحة به - أن لديه فرصة أكبر لتكريس طاقته المتضائلة لتلبية رغبات زوجاته الأربع.

كما توقع ماكس، كان سبب استدعائه للقصر ذلك الشرطي العماني الذي كان يحتل غرفة في القلعة البرتغالية القديمة المستخدمة كسجن في المشيخة. كان الشاب ينتظر محاكمته بتهمة القتل. كانت عملية القتل قد تمت في وضوح النهار وأمام مجموعة من الشهود ؛ لذلك كانت نتيجة المحاكمة معروفة مسبقاً كذلك العقوبة ، وهي حتماً الإعدام. لم يكن على الحاكم سوى تحديد توقيت المحاكمة ، وأسلوب التنفيذ.

"نعم ، طال عمرك" قال ماكس وهو يقطع الصمت فيما بينهما .

" منذ الصباح وأنا أفكر فى أفضل طريقة للتعامل مع هذا الشاب الغبى الذى تسبب فى هذه المشاكل". لوح منصور بمسبحته تجاه ذبابة عنيدة ، ثم نادى على الحارس الذى كان جالساً على كرسى خيزران بجوار مدخل الباب .

"اقتل هذه الذبابة،" أمره الحاكم ، وأسرع الحارس لإحضار مضرب الذباب.

"بقدر كرهنا لفكرة إجراء المحاكمة" ، أضاف الحاكم ، "إلا أنتى لا أرى سبيلاً لمنعها. أخو القتل جاعنى بعد أن تركتنى صباح اليوم ، وأصر على عرض الأمر على القاضى فوراً....".

كف الحاكم عن الحديث ، وتابع جهود الحارس فى التخلص من الذبابة. أخيراً بعد أن فاض به .

أمر الحارس بإعطائه مضرب الذباب ، وقام بقتل الذبابة بضربة واحدة ، وأعاد المضرب للحارس الذى انسحب سريعاً.

"نحن نعلم جيداً - مستر ماكس - النتائج التى قد تترتب على المحاكمة".

"بالتأكيد، سموكم". فى حديثه مع الحاكم كان ماكس يتبادل فى استخدام كلمة "سموكم" ، والعبارة التقليدية "طال عمرك". "القضاء سيجد السجين مذنباً"

"و هل يمكن أن يكون هناك حكم آخر؟" سأل الحاكم. "و عندما يخير القاضي أسرة القتيل - وفقاً للشريعة - بين الدية أو الدم نحن نعلم جيداً ماذا سيكون ردهم".

"نعم، طال عمرك،" رد ماكس وهو يوميء برأسه، ويتساعل متحيراً عن مغزى هذا اللف والدوران .

"أسرة القتيل" واصل الحاكم "ليست في حاجة إلى المال."

"وحتى إذا كانوا في حاجة إليه" أشار ماكس موضحاً "فالسجين ليس في مقدوره دفع الدية".

"فعلاً" قال الحاكم ؛ "و لذلك فالبديل الوحيد هو أن يدفع السجين حياته ثمناً لحماقتة".

"هذا صحيح، سموكم" قال ماكس موافقاً، رغم أنه لم يوافق الشيخ منصور تماماً في إصراره على أن السجين الشاب تصرف بحماقة؛ فجريمة القتل تمت في واقع الأمر تحت ظروف استفزازية للغاية كما كان هناك عنصر الشرف ، وهو عنصر مهم جداً فيما يخص العرب .

"وأنت مستر ماكس، باعتبارك قائد الشرطة عليك أن تجهز الترتيبات الخاصة بعملية الإعدام ، التي ستتم بشكل أو بآخر، في مكان لم يعرف طوال فترة حياتي - والحمد لله - شيئاً كهذا. الأمر كله سيسبب لنا مشاكل كثيرة ، ويبعدنا عن القضايا البناءة والأكثر فائدة."

قال ماكس في نفسه إن سموه يأخذ وقتاً طويلاً للوصول إلى الموضوع مما بدأ يثير قلقه. بعد أن أدرك أن الحاكم يحدق فيه بترقب رد مغمماً: "حقاً طال عمرك."

"الناس كما تعلم تستمتع بهذه المشاهد ، وربما يطالبونني بتنفيذ عملية الإعدام بشكل علني." كان يعرف قائد شرطته جيداً ، ولم يفاجأ عندما رأى ماكس يهز رأسه ببطء من جانب إلى آخر.

"أعلم أنك لن تستسيغ أمراً كهذا ؛ لهذا السبب فكرت كثيراً في كيفية إنقاذ أنفسنا من ترتيب مثل هذا المشهد."

"لا أحتاج لتذكير سموكم أن الإعلام الأجنبي سيستمع جداً بالكتابة عن تخلف العرب في هذه الأمور."

نظر الحاكم بحدة. "أنا مدرك لذلك أيضاً. يبدو أن الغرب يتعاطف أكثر مع المجرمين عنه مع الضحايا ، ويريد أن يشاركهم وجهة نظرهم نفسها. العماني قتل رجلاً آخر ويستحق الإعدام. هذا واضح تماماً، لكنه من الواضح أيضاً أن المحاكمة وعملية الإعدام سيكونان مصدر حرج كبير. من الأفضل من وجهة نظر الجميع لو مات المتهم في السجن."

"في السجن؟" تساءل قائد الشرطة، بعد أن فشل في استنتاج مغزى أفكار الحاكم.

"بيده،" أضاف الحاكم غاضباً لإصراره أن يكون أكثر وضوحاً.

"بيده؟" كثر ماكس وهو يزداد قلقاً .

حدق الحاكم فى وجهه متظاهراً بالدهشة. "أقصد - أن يبدو الأمر وكأنه مات بيده. أنت تفهم؟ وهو نائم. هذا الموت سيكون الأفضل للجميع، حتى للسجين نفسه، ألا توافق على ذلك؟"

سأل ماكس ببراعة: "بدون محاكمة، سموكم؟"

"طبعاً بدون محاكمة!" انفجر الحاكم وهو يزداد ضيقاً من البلادة الذهنية الواضحة لقائد الشرطة. "إذا مات السجين لن تكون هناك حاجة لإجراء محاكمة، أو عملية إعدام. الأمر سيكون قد خرج من أيدينا."

دون انتظار أية تعليقات أخرى صفق الحاكم بيده ، وظهر الحارس فوراً وهو يحمل تجهيزات تقديم القهوة .

قال الحاكم قبل أن يعيد فتجانه: "فى نومه" وانتظر حتى خرج الحارس من الغرفة ثم أضاف: "الرجل ليس من هنا ، ولن يكون هناك من يتشكك فى كيفية وفاته. بحلول ظهر الغد يكون قد تم بغته ونسيانه." رتب الأمر مع رجالك. " ثم أضاف الشيخ منصور بعد أن رأى نظرة القلق على وجه ماكس : "يجب أن تتذكر أن المصير المحتوم بشكل أو بآخر لهذا الرجل هو الموت ؛ لأنه قتل رجلاً آخر" .

قام الحاكم واقفاً بقامته المهيبه ، وأنفه المعقوف، وعينيه الثاقبتين، رجل كان مجرد وجوده يستدعى طاعة الآخرين . مد يده مصافحاً ، وابتسمت شفاته الرفيعتان وهو يودع قائد الشرطة .

\* \* \*



زيد العماني ؛ وهو مجند حديث في شرطة المشيخة، كان قد أنهى حياته المهنية القصيرة بعد أن أطلق الرصاص على أحد زملائه من رجال الشرطة برتبة رقيب ؛ وهو واحد من بين أربعة يحملون هذه الرتبة نفسها في قوة الشرطة. كان زيد قد أمضى جانباً كبيراً من وقته، والجزء الأكبر من راتبه الشهري في الانتفاع بخدمات فتاة شابة؛ كانت قد أنجبت طفلاً سفاهاً ثم هربت من قريتها في اليمن ، واتخذت الدعارة مهنة لها - باعتبارها المهنة الوحيدة المتاحة أمامها - بعد أن أصبح متيمماً بها وجد زيد أن السبيل الوحيد لكي يستحوذ عليها لنفسه هو الزواج. عاش الاثنان في سعادة لعدة أشهر دون أن تشعر الفتاة بأى إغراء للعودة إلى مهنتها السابقة. ولكن يبدو أن رقيباً في الشرطة يدعى بخيت - وهو رجل محلي كان ممن اشترى - فيما مضى - وصالها، بدأ يعير زوجها الشاب بعلاقته السابقة بالفتاة. ثم في أحد الأيام وأثناء خدمة الشرطي الشاب في السوق تعرض لملاحظة بذيئة من الرقيب ، فما كان منه إلا أن أطلق عليه الرصاص مرتين في الصدر ، ثم جرى إلى مخفر الشرطة ليسلم نفسه. منذ البداية كان واضحاً لماكس أن هذا الحادث سيكون واحداً ضمن الحوادث المنفرة - التي رصعت حياته المهنية كشرطي، بدءاً بعمله في فلسطين ، ثم البحرين ، وأخيراً مع الشيخ منصور. كان الموضوع أكثر إيلاماً له بسبب إعجابه بهذا الشاب؛ الذي تميز بتفوقه من حيث الذكاء والتعليم عن غيره من المجندين الجدد ؛ ولذلك كان قد اختاره دون غيره للترقية. والآن، بعد الأيام التي أمضاها الرجل في السجن، تعرف ماكس عليه أكثر من خلال زيارته اليومية له. رغم اعتياده على قدرية العرب إلا أن رباطة الجأش ، التي

واجه بها زيد مستقبلة المظلم أثارت إعجابه وتعاطفه. عندما سأل زيد خلال زيارته الأولى له إذا كان يريد شيئاً، طلب السجين مصحفاً. شرح له أنه بالطبع لديه مصحفاً في بيته، ولكنه فضل أن يشتري له ماكس مصحفاً آخر؛ وهو ما كان يعكس - في واقع الأمر - رغبته في ألا يتم أى نوع من الاتصال مع زوجته. عندما اشترى ماكس مصحفاً له من السوق حاول السجين دفع ثمنه، ولكن ماكس أصر أن يعتبره هدية. الطلب الآخر الذى طلبه زيد هو أن يحضر له الخطابات التى تأتى له عن طريق مخفر الشرطة؛ لأنه كان ينتظر خطاباً من والده. عندما سأله ماكس إذا كان قد كتب لأسرته ليخبرها بما حدث اعترف زيد، وهو يبتسم ابتسامة ممرورة ويهز رأسه، بأنه لم يستطع حتى الآن أن يقدم على ذلك.

أصبح واضحاً لماكس أن السجين كان يعتز بزيارته اليومية له، والتى كانت تتغير مواعيدها. كانت التعليمات بخصوص زيد تحظر أية زيارات، أو أى اختلاط بالسجناء الآخرين؛ لذلك كانت الفترات المسموح له فيها بالرياضة تقتصر على الأوقات التى يذهب فيها سائر نزلاء القلعة للعمل فى بساتين النخيل المملوكة لوالد الحاكم. فى اليوم التالى أحضر ماكس له خطاباً عليه طابع بريد عُمانى. انشرح وجه زيد الأسمر حليق الشعر، وقبل الكتابة على الظرف "أبى"، قال موضحاً ورأى ماكس الدموع فى عينيه. كان قد وضع الخطاب جانباً ولأن ماكس كان يعلم مدى أهمية الخطاب له؛ طلب منه أن يفتحه ويقرأه. "إن شاء الله، رد زيد وهو يبتسم، "سيكون هناك وقت بعد زهابك." فى هذه اللحظة سأله

ماكس إن كان يريد رؤية زوجته ؛ حيث أن الحاكم لم يعط أى أوامر تمنع ذلك. رد زيد فوراً بحركة حادة إلى أعلى من رأسه. "إذا كان هناك أى راتب لى أعطه لها. إن شاء الله ستجد رجلاً آخر ، وتعيش فى سلام مع الله - فهو القدير الغفور".

هذا هو الرجل الذى كان الشيخ منصور يطلب من قائد شرطته أن يتخلص منه بشكل لا يسبب الإحراج لأحد.

\* \* \*

عند عودته إلى بيته من القصر صب ماكس لنفسه كوباً من الويسكى. كان قد تم استدعاؤه للقصر عقب تناوله العشاء مباشرة. لم يكن من عادته الشرب بعد العشاء ، ولكن اليوم كان - فى رأيه - يوماً استثنائياً . فليس كل يوم يتم فيه الإيعاز لقائد شرطة أن يتخلص بدم بارد من إنسان ما . كان قد قام بمهام كريهة عديدة طوال حياته كرجل شرطة ؛ مثل : تنظيم عملية انتشار ستٍ وعشرين جثة فى أكياس بلاستيك من حطام طائرة ظلت مبعثرة طوال يومين فى الصحراء فى قيظ الصيف ، أو الاشتراك - وفقاً لحكم قاض - فى إعدام إرهابى (أو وطنى) فى فلسطين. أما هذا الأمر فكان مختلفاً.

فكر ماكس وهو يشرب الويسكى فى المهمة التى كان مدعواً لإنجازها. كانت تحتوى على عنصرين يجعلان من الصعب عليه قبولها. أولاً - كان قد أحس بنوع من الود تجاه السجين ، وكان يشعر أنه قام بفعلته نتيجة استفزاز كبير. العنصر الثانى - أنه تم عرض الأمر عليه

دون أن يسجل كتابة ، أو دون قرار رسمي ؛ باعتبار أنه سيكون ملائماً للجميع أن يموت السجين وهو في الحبس . وبعيداً عن الجانب الأخلاقي - رغم أن ماكس كان شرطياً صاحب ضمير- كان المطلوب منه أن ينحى القانون جانباً . فى حالة طرح أسئلة ، ماذا سيكون رده عليها؟ هل يقول إنه كان يعمل وفقاً لتعليمات الحاكم؟ هذا النوع من الدفاع كان يحمل معنى كريهاً بالنسبة لشخص - وإن لم يكن كبيراً فى السن لدرجة مشاركته فى الحرب ضد ألمانيا النازية - إلا أنه قرأ عن الرجال الذين برروا الأعمال غير الشرعية التى ارتكبوها ؛ باعتبارها تمت وفقاً لأوامر آخرين. كان فى استطاعته بالطبع أن يوكل أحد رجاله - بعد أن يعده بالمكافأة أو الترقية - بأن يغمد خنجرأ فى قلب السجين وهو نائم حتى يظل بعيداً عن الفعلة نفسها. لكن تدريبه علمه أن المهام الكريهة هى التى يجب القيام بها شخصياً، أما المهام الأخرى فيمكن إنابة آخرين للقيام بها .

دخل ماكس المطبخ ، ووضع قطعتين من البسكويت وشريحة من جبن الشيدر على طبق ، ثم حملة إلى غرفة المعيشة. زود كويه بالويسكى ، وأضاف بعض الصودا. من ناحية أخرى، قال لنفسه - لم يكن هناك شخص آخر للقيام بدور محامى الشيطان ، ولذلك كان عليه أن يقوم هو بهذا الدور - ظروف الحياة فى المشيخة مختلفة تماماً عن تلك الظروف فى أماكن أخرى ، ولذلك فالمعايير تختلف أيضاً، ففى ظل الشريعة يمكن أن تقطع يد رجل متهم بالسرقعة ، أو أن يُرجم بتهمة الزنى. كان سعيداً أن الشيخ منصور احتفظ بهذه العقوبات بغرض

الردع دون تطبيقها فعلياً. حتى العقوبات بالسجن كانت نادراً ما يتم الحكم بها، والأجانب المتهمون بسوء السلوك كان يتم شحنهم إلى بلادهم الأصلية. "لماذا نطعم مجرميهم؟" كان الشيخ منصور يعقب ، وكانت هناك حجة أخرى أيضاً - كان الحاكم قد أشار لها ، وهو يدرك أنها ستؤثر على قائد الشرطة - وهي أن السجن سيتم تجنيبه معاناة إجراءات المحاكمة ثم الإعدام. ألن يفضل السجن نفسه، إذا أتاحت له فرصة الاختيار، مجرى الأحداث نفسه الذي اقترحه الحاكم؟ بل أليست هناك طريقة يتاح فيها للسجين بأن يختار بنفسه بديلاً ، الانتحار؟

نظر ماكس لساعته بضع ثوان طويلة ، وفوجئ أن الساعة أصبحت الحادية عشر إلا عشرين دقيقة فقط. السجن يكون قد أتم صلاته الأخيرة، وساعة الاستيقاظ في السجن كانت مبكرة. في هذه الساعة إذن من المؤكد أن السجن في نوم عميق. قام واقفاً، ودخل غرفة النوم ، وأخذ كاتم الصوت من مكانه في قاع الدرج حيث ظل راقداً لسنوات طويلة.

عاد إلى غرفة المعيشة ، وثبت كاتم الصوت في المسدس ، ثم وضع المسدس في جيب سترته القطنية.

ركن السيارة اللاند- روفر تحت الحوائط الطينية الطويلة للمبنى الذي بدأ حياته كأحدى القلاع التي بناها "البوقرقى" البرتغالي، ثم مشى باتجاه البوابة الخشبية المصفحة بالحديد. نهض الحارس واقفاً على قدميه لصق الدكة التي كان جالساً عليها مع رجل آخر، وأوقف الأغنية

المصرية الشعبية الرائجة ، التي كانت تصدر من الراديو الترانزيستور الموجود بجواره. بعد أن أدى التحية خبط على البوابة ، وأبلغ زميله عن حضور القائد .

حدق ماكس من خلال الضوء الخافت إلى الرجل الذي فتح البوابة وتعرف على عبد الودود، الرجل السمين والمرح الذي جاء من زنجبار وقبل شاكرًا الخدمة في قوة الشرطة المحلية بعد عدة سنوات من العمل الشاق على ظهر المراكب ، التي كانت تجوب البحار بين الخليج والساحل الشرقي لأفريقيا.

"أعطني مفتاح غرفة السجن."

سلم عبد الودود المفتاح له ، واستعد لمرافقة القائد. "لا، ابق هنا - لن أتأخر طويلاً".

كان زيد موضوعاً في زنزانة صغيرة في الطرف الأخير من القلعة ؛ في حين كان باقي السجناء - وعددهم الآن يبلغ حوالي العشرة - يحتلون غرفة كبيرة تفتح مباشرة على الفناء الرئيسي ، والذي كان زيد يمضى فيه الفترات المخصصة للرياضة.

وقف ماكس لبرهة في المكان المفتوح ، ورفع نظره إلى القمر الذي قارب البدر ، والذي كان يلقي بظلاله على الأعمدة الخشبية التي اصطفت بامتداد الجانب البعيد من الفناء . تردد عند باب الغرفة ، ثم أدخل المفتاح بدون صوت ودخل. فتح الباب على مصراعيه ورأى من خلال الضوء القادم من الشباك الصغير ذي القضبان هيئة رجل أمامه



وهو يصلى ووجهه متجهاً ناحية القبلة ، كان زيد راكعاً ، ويديه على فخذه . أنهى صلاته سريعاً ورفع يديه بالدعاء ثم مسح على وجهه .

"أهذا أنت، صاحب؟"

"المفروض أن تكون نائماً الآن،" قال له ماكس ذلك وأغلق الباب . اجتاز الفناء مرة أخرى وهو يسير عائداً ناحية البوابة ، واستنشق هواء الليل - الذى أحس فجأة أن رثتيه تواقتان إليه . وضع يده على المسدس - الذى أحس بثقله فى جيبه .

"كان السجين يصلى،" قال لعبد الودود . تذكر من دراسته للإسلام أن الأتقياء كانوا يؤدون صلوات إضافية ليلاً زيادة عن صلوات الفروض الخمسة . لا شك أن ظروف زيد دفعته للإكثار من الصلاة .

سأل عبد الودود: "هل هناك ما أقوم به؟"

بغت ماكس للحظات من السؤال ، ثم تماسك ورد قائلاً: "ليس هناك ما تقوم به الآن عبد الودود ."

فى الخارج انتفض الحارس واقفاً ، وكان يبدو أن الرجل الجالس بجواره يشيح بوجهه جانباً .

بعد أن ألقى ماكس عليهما التحية اتجه إلى سيارة اللاند-روفر وقادها عائداً إلى منزله .

\* \* \*

رغم أن ماكس كان مرهقاً إلا أنه كان يعلم أن النوم سيراوغه. فهناك الكثير الذي لم يحسم بعد ويحتاج إلى تفكير. شعر مثلما لم يشعر من قبل طوال سنوات خدمته لدى الشيخ منصور بأنه عند مفترق طرق. كان مصدر قلقه الوحيد من قبل هو حتمية تقاعده يوماً ما من وظيفة يستمتع بها ، وأصبحت تمثل بالنسبة له نمط حياة. لم يكن لديه بيتاً في إنجلترا باستثناء منزل شقيقته ؛ حيث كان ابنه يمضي إجازاته من المدرسة الداخلية ؛ فأم الولد التي تزوجها زواجاً قصيراً وغير مرض كانت قد ماتت منذ زمن طويل. كان ماكس يعود إلى إنجلترا خلال أشهر الصيف ، ويذهب هو والولد في إجازة: إما مع بعض زملاء المدرسة في رحلة بحرية في نهر "سيفرن" ، أو للصيد في إسكتلندا ، أو فقط مجرد البقاء مع أخته في منزلها الصغير. أما مؤخراً فقد أصبح الولد بعد أن كبر يلحق بأبيه في المشيخة لقضاء عيد الميلاد ، وكانا يذهبان معا للصيد على أحد مراكب الحاكم ، أو يظلان حتى الفجر عند بركة ماء انتظاراً لطيور القطا. كانت حياة موحشة - كما كان يقول لنفسه - ولكن هكذا أصبحت دون أن يظهر أبداً أى بديل لها.

والآن، هل كان مستعداً للتخلي عن كل هذا ، وتقديم استقالته؟ من أين سيجد المال للإنفاق على تعليم ابنه باهظ التكاليف؟

هل كانت الأمور ستتغير إذا كان قد وجد السجين نائماً عندما زاره؟ هل كان في استطاعته حينذاك أن يضع المسدس على رأسه؟ كان قد وجد استحالة في أن يفعل ذلك والرجل يصلى ؛ فرغم أنه لم يكن متديناً كان يحمل قدراً من الاحترام للمتدينين.

نظر إلى ساعته ، ووجد أنها تجاوزت منتصف الليل. أيقن وهو يخرج المسدس من جيبه ويضعه في الدرج أنه لن يستخدمه هذه الليلة ، أو في أى وقت آخر. كانت البدائل المتاحة أمامه محصورة في تقديم استقالته ، أو عمل الترتيبات اللازمة لإعدام السجين بشكل رسمى .

سمع وهو يجتاز الغرفة لإطفاء النور فى غرفة المعيشة صوت نقر على النافذة . أطفأ النور ، وسار بهدوء فى اتجاه الصوت . رأى - وهو يحدق فى ظلام الليل - الشرطى الذى كان يقوم بخدمة الحراسة الليلية فى منزله ، وفى صحبته أحد حراس الحاكم.

"صاحب،" قال الشرطى معتذراً، "رأيت أن النور لديكم لازال موقداً وسموه..."

"الحاكم يريدك،" تدخل الحارس. "هو لا يزال جالساً."  
"اذهب وأخبره أنتى قادم."

أغلق ماكس النافذة ، وجلس لثوان طويلة فى الظلام. لم يسبق أن استدعاه الحاكم فى مثل هذه الساعة المتأخرة من قبل. أحس أن الحاكم تم إخباره بما حدث - أو بما لم يحدث - خلال زيارته للسجن، تذكر الرجل الذى كان جالساً مع الحارس عند بوابة القلعة. ألم ير هذا الوجه من قبل فى القصر من بين الحراس الأجلاف المرتدين للأحزمة العريضة للكتف التى يوضع فيها الرصاص؟

كان الحاكم فى مجلسه الخصوصى الصغير المطل على البحر. نظراً لتأخر الساعة تنازل الحاكم ، وليس الغُترة بدون العقال. أعطى

ذلك للحاكم مظهراً أقل رسمية وأقل حدة: كان هناك شيء يكاد يكون خيراً في الوجه ذي اللحية ، الذي كان يبدو الآن أكثر طولاً وأكثر زهداً. شعر ماكس بالحزن والحكم ينهض على قدميه وهما يتصافحان. تم تحضير طقوس فنجان القهوة فوراً ، وتم شربها في عجلة.

" والسجين، مستر ماكس؟" سأل الحاكم بابتسامة ملتوية، "هل نجحت في تنفيذ ما اتفقنا عليه؟"

" لا سموكم، رد ماكس باقتضاب. " مع كل احترامي أعطيت لنفسى حرية أخذ كلامكم باعتباره اقتراحاً وليس أمراً ، حيث شعرت أنه ربما يكون من الأفضل أن تأخذ العدالة مجراها."

"ربما وجدت أنه ليست لديك الرغبة في القيام بهذه المهمة؟" قال الحاكم معبراً عن رأيه ، وهو يلقي نظرة جانبية سريعة على قائد الشرطة. عندما رأى أن ماكس ظل صامتاً استمر قائلاً

"لو أنك نفذت ما ناقشناه سوياً لكانت الأمور أصبحت أكثر سهولة، ولما كان هناك داع للقائنا في هذه الساعة المتأخرة. لكنني أحسست أن الأمر ربما لا يلقي قبولاً لديك فانت - مثلى - رجل يحاول تفادي العنف." نظر سريعاً إلى ماكس بفضول ، ثم بدأ يبحث في الثنايا الكبيرة الفضفاضة لعباعته كان يبحث فقط عن مسبحته ، وبعد أن وجدها أكمل دورة تسبيح بأكملها دون أن يتكلم، ثم حدق من النافذة في الظلام قبل أن يعلق بشكل عرضي "أفكر في إمكانية السماح للسجين بالهرب. يمكنه حينذاك أن يعود إلى بلده ، ويقرر الله أين ومتى يموت."

”كما يرى سموكم“ ، رد ماكس وهو يأمل أن تكون نبيرة صوته عارضة أيضاً. كان لا يكاد يصدق أذنيه ، ولكنه حرص - من خلال الخبرة - على ألا يقفز إلى أية استنتاجات.

”ولكن هل سيصدق الناس هذا، سموكم؟“ وجد نفسه يقول معترضاً .  
أظهر الحاكم أنه يحاول إخفاء ابتسامة، ثم مرر أصابعه فى لحيته ،  
التي يغزوها المشيب. ”هل سجننا يتمتع بحراسة لا تسمح لأحد أن يهرب منه؟ هل الحراس بهذا القدر من اليقظة؟ أعتقد أن عبد الودود ينام بعمق أكثر من السجناء المفترض أن يحرسهم؟ أليسوا قابلين للرشوة؟“  
رد ماكس. ” من المعروف أن السجنين ليس إلا شرطياً بسيطاً لا يملك المال“.

”ألم يستقبل أى زوار؟“

”لا، طال عمرك. ظننت أنه من الأفضل بالنسبة له عدم الاتصال بالعالم الخارجى.“

”ولا أية خطابات؟“

”تلقى خطاباً من والده فى عمان منذ بضعة أيام،“ اعترف ماكس.

”وهل فتحته قبل أن تسلمه له؟“

”هز ماكس رأسه بالنفى. ”ربما كان يجب على أن أفعل ذلك.“

"ألم يكن من الممكن أن يحتوى الخطاب على نقود؟ لحد علمنا والد السجين قد يكون تاجراً ثرياً فى مسقط." ابتسم الحاكم لماكس منتصراً بعد أن أكد وجهة نظره. "أنا أحاول فقط أن أبين أن الهروب من القلعة ليس مستحيلاً."

رد ماكس بإيماءة من رأسه.

"وإذا قررنا أن نسمح له بالهرب ، فعلينا أن نقدم على خطوة إضافية لمساعدته فى الهرب " كان الحاكم يبتسم ابتساماً واسعة ، ومن الواضح أنه كان مستمتعاً للغاية.

سأل ماكس "و كيف سيكون ذلك، سموكم؟"

"بالذهاب إلى السجن قبل طلوع النهار ، وإخراج السجين معك . والحراس؟" سأل ماكس - وهو غير مصدق - رافضاً قبول فحوى ما يقوله الحاكم.

هز الشيخ منصور رأسه ببطء من جانب إلى آخر كأنه فجأة وجد نفسه أمام شخص أبله يصر على عدم الفهم.

"وكيف كنت تعتقد - فى حالة موت السجين فى زنزانته- أنك ستقنع حراسك ليس فقط بالسكوت على الموضوع ، ولكن بتهريب الجثة ودفنها سرّاً؟"

تفرس ماكس ، الذى كان غير قادر على الرد على سؤال الحاكم الافتراضى فى عيون الشيخ منصور المحدقة.



"كل ما هو مطلوب الآن هو ألا يتكلم الحراس. هناك طرق لتشجيع الرجال على السكوت ، وطرق أخرى لإثنائهم عن فتح أفواههم." دس الشيخ منصور يده تحت الوسادة التي بجانبه ، وأخرج ظرفين ، وبين لماكس أن بهما نقوداً . "مبلغ صغير ، ولكنه يمثل بالنسبة لهؤلاء الرجال مرتب عدة أشهر. قل لهم - على ما أعتقد هناك شخص يدعى أحمد خارج البوابة ، وعبد الودود العجوز في الداخل - قل لهم إن هذه الأموال منى شخصياً ، وأنها ثمن لسكوتهم." لعق لسانى المظروفين . ثم أغلقهما بضربه من قبضته قبل أن يسلمهما لماكس. كان يزين ظهري المظروفين شارة الحاكم على شكل خنجر مزخرف يمر عبر هلال وكلمات "مكتب الحاكم". "قل لهم إن الأموال منى شخصياً ، وإن عقاب عدم طاعتي سيكون سريعاً ومؤلماً."

"نعم، سموكم،" قال ماكس وهو يطوى الظرفين ويضعهما في الجيب الجانبي - حيث كان قد وضع المسدس من قبل.

وكأنه قد أتم كل ما يريده جلس الحاكم إلى الورااء وحدق في ماكس. "أست راضياً؟" سألته بابتسامة متسائلة.

"طبعاً، طال عمرك، ولكنك لم توضح لي كيف سيهرب السجين، فقط إننى سأذهب إلى السجن وأخرجه منه."

"لا تقلق. لقد رتبت كل شيء،" طمأنه الشيخ منصور. "طالما تم ضمان صمت الحراس يمكنك الذهاب إلى السجن قبل الفجر -" وأخرج من جيب داخلى ساعة معدنية كبيرة بسلسلة ونظر إليها . "نعم أعتقد

أنه لا جدوى الآن من أن تنام ، ولكن غداً يمكنك النوم طوال النهار .  
اذهب إلى السجن قبل الفجر بقليل . خذ السجن معك في سيارتك ،  
واتركه في مكان ما في إحدى حواري السوق . يمكنه أن يجد طريقه من  
هناك إلى المرسى في الميناء . لن يكون هناك أحد في هذه الساعة من  
الصباح . ابلغه أن كل الترتيبات قد تم اتخاذها لكي يعود إلى بلده . عند  
المرسى سيجد مركباً عمانياً متجهاً إلى "سحار" . ستبحر مباشرة بعد  
أن يركب على متنها . تكاليف سفره مدفوعة . سيتم إنزاله في ميناء  
عماني ، ومن ثمه سيكون عليه أن يجد طريق العودة إلى بيته . بعد إتمام  
ذلك مستر ماكس يمكنك أن تذهب إلى الفراش ، وأنت تعلم أن مشكلتنا  
قد تم حلها بشكل معقول . لنتقابل ثانياً غداً بعد صلاة المغرب ."

تساءل ماكس بصوت عال ، والشكوك لا تزال تراوده "وأقارب  
الرجل الميت ؟"

"لقد فكرت في طرق لتعويضهم" أجابه الحاكم .

قال ماكس محتجاً . "ولكنهم كما نعلم يريدون الدم وليس الدية" .

"أترك لي هذه التفاصيل ،" قال الحاكم بنبرة باردة تدل على أنه لا  
يريد مناقشة الأمر أكثر من ذلك .

"يمكنك أن تذهب" .

"لك منى جزيل الشكر سموكم ،" غمغم ماكس وهو يقف على قدميه .

"الحمد لله ،" أجاب الحاكم بشكل ألي . "في يده ملكوت السماوات

والأرض ."

حدق ماكس وهو يفتح باب سيارة اللاند - روفر فى سواد القصر الضخم الرابض خلف إشراقة السماء. رأى بعد قليل مجلس الحاكم يغمره نفس الظلام الذى يغمر بقية القصر. جلس لبعض الوقت أمام عجلة القيادة ، وتأمل ظروف التحول فى حظه - وفى حظ السجين. رغم أنه كان يعتقد معرفته جيداً بالحاكم، إلا أنه اعترف لنفسه أنه أثبت بشكل مثير للدهشة صعوبة التنبؤ بقراراته . حدث نفسه قائلاً بضرورة ألا يسلم جديلاً بعدم وجود مفاجآت أخرى فى انتظاره .

\* \* \*

بعد بضع ساعات ، ولكن فى وقت مبكر عن الذى كان قد اقترحه الحاكم عاد ماكس إلى القلعة .

وجد هذه المرة الحارس وحيداً عند البوابة. وقف الرجل ، وأدى التحية العسكرية ووضع ماكس يده على كتفه.

"أحمد، سأقوم بزيارة أخرى للسجين، ولكن هذه المرة سأخذه معى . هل تفهم؟"

نجح أحمد فى السيطرة على دهشته . "نعم، صاحب."

"ليس من شأنك أن تعرف إلى أين أخذه أو السبب."

"لا، صاحب."

"كل ما عليك أن تعرفه أنتى أقوم بذلك بأوامر من سمو الشيخ منصور. عندما تسأل عن أحداث هذه الليلة - ومن المؤكد أنك ستسأل

حولها - سواء منى أو من غيرى ، أو ربما من الحاكم نفسه وكذلك فى  
مقاهى المدينة - ستقول إنك لا تعلم شيئاً سوى أنتى جئت إلى السجن  
مرة واحدة هذه الليلة، وأنتى زرت السجن ثم انصرفت وحيداً . وحيداً،  
هل فهمت؟!

نعم صاحب.

أخذ ماكس من جيب معطفه واحداً من المظروفين ؛ اللذين  
أعطاهما إياه الحاكم ، وأمسكه عالياً. "هذا المظروف به مكافأة لك  
من الحاكم نفسه." ارتفعت يد الحارس لتأخذه لكن ماكس ظل  
ممسكاً به. "هذه مكافأة مقابل سكوتك. هل تفهم؟"

نعم، صاحب.

إذن قل لى ماذا حدث الليلة.

جئت مرة واحدة للسجن من أجل زيارة السجن ثم انصرفت.

هل كان هناك أحد معى عندما انصرفت؟

لا صاحب، كنت وحيداً.

فى هذا المظروف توجد المكافأة مقابل سكوتك . إذا أخذت  
المكافأة، وسمحت للسانك بالحديث عن حقيقة ما جرى هذه الليلة ،  
فالحاكم سيعمل على أن يتم إسكاتك إلى الأبد.

فك قبضته عن المظروف ، وأبلغ الرجل أن عبد الودود سيتم  
مكافأته أيضاً. دق الحارس على البوابة، ومر ماكس إلى داخل السجن.

"جئت مرة أخرى لأرى السجين،" قال موضحاً لعبد الودود، "لكن هذه المرة سأخذه معي إلى الخارج،" ثم كرر نفس الكلام مع عبد الودود. "لا تتحدث حتى مع أحمد حول أحداث الليلة،" قال له محذراً. "هذا سر بينكما ، وبين الحاكم وبينى."

لم يحاول ماكس هذه المرة عدم إحداث صوت وهو يفتح زنتانة زيد. شكل الشخص الموجود في الركن أسفل الشباك لم يتحرك. تحسس ماكس طريقه ماراً بجوار المائدة ، وأمسك بكتفي السجين ، وأحكم قبضته تدريجياً.

"ألن تطلق الرصاص ، صاحب؟" خرج صوت زيد من الظلام. "فكرت أن أسهل عليك الأمر بأن أظهار بالنوم ؛ لأنه من الصعب على أى رجل أن ينام وهو يشعر أنها آخر ليلة له."

"لقد قضى الله أن موتك لم يحن بعد،" أجابه ماكس. "قف - سنرحل سوياً خذ ما تريده من حاجاتك ، وتعال معي."

"ليس لدى ما أريده سوى خطاب أبى والمصحف الذى أهديته لى. إلى أين ستأخذنى؟"

"إلى الأمان، إن شاء الله."

"هل تفعل ذلك ضد أوامر الحاكم؟ يجب أن أسألك ذلك."

"لا، لا تقلق، فانا أتصرف وفقاً لتعليماته."

"إذن لن تكون هناك محاكمة؟"

لا، الحاكم قرر أن تعود إلى بلدك.

و كيف يكون ذلك؟ لماذا يرتب الحاكم للإبقاء على حياتي؟ فأنا بالنسبة له لست إلا أجنبياً قتل أحد رعاياه ، ومن ثم يجب أن أرفع حياتي ثمناً لذلك. وماذا عن الحراس؟

لقد تم إعطاؤهم مالاً مقابل سكوتهم.

وأقارب الرجل؟ أصر زيد. الشرف يتطلب دمي.

لقد تولى الحاكم أمر ذلك أيضاً، طمأنه ماكس

ظل زيد ، وهما يسيران عبر الفناء الخارجي باتجاه البوابة غير مصدق للتحويل في الأحداث ، وظل يطرح الأسئلة.

وأنت صاحب، هل ستتحمل مسئولية هروبي؟

صمت ماكس لبرهة قبل أن يجيب. لم أفكر كثيراً في هذا الأمر. من المفروض أن أقوم باستجواب جميع الذين لهم صلة بالموضوع ، ومن المفترض أنني سأصل إلى نتيجة تنتهي إلى أنه كان هناك قدر من الإهمال من قبل الشرطة ، وأن السجين أظهر قدراً كبيراً من البراعة. إنني على الأقل أطيع أوامر الحاكم نفسه. ولكن هيا بنا - ليس أمامنا وقت كثير قبل طلوع النهار.

أدى الحارسان التحية لقائد الشرطة وهو ينصرف وبصحبته السجين .

أدرك ماكس وهو يقود السيارة بين بساتين النخيل غير الكثيفة والتي كانت تفصل القلعة عن ساحل البحر والمدينة ، أنه قد ترك سؤالاً هاماً بدون إجابة.

“هل تعرف قيادة السيارات، زيد؟”

“كنت أتلقى دروساً عندما حدث ما حدث. لم أحصل على رخصة قيادة بعد، صاحب.”

أطلق ماكس ضحكة. “زيد أنا لن ألقى عليك القبض مرة أخرى بتهمة عدم حيازة رخصة قيادة. أنا فقط أريد أن أعرف إذا كنت تستطيع قيادة هذه السيارة.”

“بدرجة كافية صاحب.”

“وهل تعرف طريقك إلى الحدود؟”

“خلال الأسابيع الأولى التي أمضيتها كشرطي كنت أحد الحراس عند مخفر الحدود.”

“الزم الجزء الداخلي من البلاد ، واترك السيارة على مسافة ميل أو نحو الميل من الحدود ، واعبر على قدميك. قد السيارة سريعاً ؛ لأنني بعد أذان الفجر سأبلغ مركز الشرطة أن السيارة مفقودة ، وكافة مخافر الحدود ستتوضع في حالة انتباه بشكل ألي. عند وصولك الأراضي العمانية سيكون عليك أن تجد طريقك إلى بلدتك.”

“والسيارة صاحب؟”

"إذا تم الإمساك بك قل إنك سرقتها. قل إننى أخذتك من السجن وفى أثناء قيادتى بك فى اتجاه السوق نجحت فى التغلب على ؛ ودع المفاتيح فى السيارة عندما تتركها."

تصافح الرجلان بشكل رسمى ، وسحب ماكس يده بعيداً عندما انحنى الآخر ليقبلها .

فى حماية الله، " قال ماكس وهو يقدم التحية التقليدية، ثم أضاف :  
" و لا تنس زيد أنه بدون سمو الحاكم لما كان باستطاعتى القيام بما قمت به لا تنساه فى صلواتك."

"سأفعل ذلك،" قال زيد وإن كان واضحاً من نبرة صوته عدم اقتناعه باهتمام الحاكم بسلامته.

راقب ماكس الأنوار الخلفية للاند - روفر وهى تختفى عن الأنظار على الطريق فى اتجاه الحدود الجنوبية. فى ليلة أخذ الضوء يزداد فيها بشكل سريع ، انطلق متعباً فى رحلة الميلىن عائداً إلى منزله سائراً على الأقدام

\* \* \*

فوجئ الحارس عند ظهور قائد الشرطة سائراً على الأقدام فى العتمة رد ماكس تحيته وسار عابراً الحديقة إلى داخل المنزل. أضواء مصباح المائدة وسقط فى المقعد . خاف أن ينام فى مكانه ، فقفز واقفاً ، ودخل غرفة النوم ، حيث أخذ من رف المزيينة مفتاح السيارة الصغيرة التى يستخدمها خارج مواقيت العمل الرسمية. لاحظ أن يده ترتعش من التعب ، لكن فضوله أرغمه على القيام بجولة أخيرة قبل أن يستمتع بالنوم الذى وعده به الحاكم.



الفجر كان سينقشع قريباً على الواجبة البحرية. الأذان الأول لليوم، والذي يتضمن مقولة إن "الصلاة خير من النوم" سينطلق صداه قريباً قادماً من المنذنة الرفيعة للمسجد البسيط الأبيض، والذي يستخدمه الصيادون، والبحارة الزائرون. على رصيف الميناء، وإلى جانب المراكب المختلفة الراسية كانت تظهر أشكال الرجال وهم يجلسون القرفصاء ويقضون حاجاتهم، وعلى ظهر المراكب كان آخرون يدفعون مكابس مواقد "الجاز" لإعداد الشاي المحلى جيداً بالسكر، ويتفخون سحياً من الدخان من أولى مباسم النرجيلة لهذا اليوم اختلطت روائح الواجبة البحرية مع روائح حمولة المراكب البهارات، الليمون المجفف، مسحوق السمك المصدر لاستخدامه كسماد، ورائحة زيت الديلز المنتشرة في كل مكان. كانت مركبة ضخمة تحمل العلم العماني تستعد للإبحار، وظهرها مثقل بعدة طبقات من الكراتين التي تحمل علامة الشمسية الصغيرة وعبارة "الاتجاه إلى أعلى".

حيا ماكس الرجال على المراكب وهو يقود ببطء على طول المرسى حتى وصل إلى المراكب الواقفة إلى جانب المرسى. وقف الرجل الذي كان من الواضح أنه قبطان المركب وذراعااه مطويتان على صدره تحت زقنه البيضاء المشعثة، وعلى رأسه عمامة كبيرة من الطراز العماني.

"السلام عليكم، حياه ماكس.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته."

"أنتم مسافرون؟"

”إن شاء الله“ .

فى أمان الله، رد ماكس وهو يشعر أن وجوده المستمر أصبح محرّجاً. ثم ألقى بنظرة سريعة وراء القبطان ، ورأى ما كان يتوقع أن يراه. اثنان من حراس الحاكم وهما جالسان واضعان ساقاً على ساق بجوار غرفة المحرك وبنادقهما ممددة على ركبتيهما. لاحظ وهو يتراجع إلى الوراء خارجاً من عند المرسى أن هناك حارسين آخرين واقفان فى ظلال قهوة مهجورة تواجه البحر.

مع اختراق صوت الأذان للصمت بدأ بعض الرجال يتوقفون عن أعمالهم على متن المركب ، ويتوجهون إلى الجامع. ظل القبطان فى مكانه ، وعلى وجهه عبوس حائر.

أما بالنسبة لماكس فلم يتبق له سوى أن يذهب إلى مركز الشرطة ويقدم بلاغاً حول سرقة سيارة اللاند - روفر ويكون بعدها حراً للعودة إلى بيته وسريره.

\* \* \*

كان مزاج الحاكم سيئاً للغاية وهو فى المجلس المفتوح بعد صلاة المغرب عندما ظهر قائد الشرطة قام أحد التجار المحليين وترك له المكان المجاور للحاكم. تبادل ماكس والشيخ منصور التحية الواجبة ، ولكن عندما أقبل من يقوم بتقديم القهوة لوح له بخشونة للابتعاد .

”قيل لى إن السجين تمكن بشكل ما من سرقة سيارة اللاند - روفر وقادها إلى الحدود العمانية. هل هذه التقارير صحيحة؟“ لم ينتظر

الحاكم الإجابة ، بل استمر في الحديث بصوت خفيض ، حتى لا يسمعه رواد المجلس المزدحم. "ألم يكن الأمر مرتباً بيننا أنك ستقود السجين إلى السوق حيث سيجد من هناك طريقه إلى المرسى ، ثم يأخذ المركب التي أبحرت هذا الصباح إلى "سوحار"؟ كيف أمكنك أن تسمح بسرقة السيارة؟"

"كنت في طريقى إلى السوق مع السجين كما أمر سموكم عندما - وأرجو المعذرة لذكر مثل هذا الأمر - اضطررت للوقوف دقيقة للتبول..."  
"للتبول؟" صرخ الحاكم بصوت أعلى مما كان يقصد لدرجة أن بعض الناس المنتظرين لمقابلته نظروا إليه فى دهشة.

"كان إهمالاً منى سموكم،" قال ماكس بصوت خافت، "ولكن لم يخطر لى أن السجين يعرف القيادة. ولكن لم يضع شىء، طال عمرك. أبرقنا فوراً إلى مركز الحدود ، وتم استعادة اللاند-روفر بدون أن تصاب بأى ضرر."

'ياه، هذه فعلاً أخبار ممتازة،" علق الحاكم وهو يلجأ لأول مرة، حسب علم ماكس ، إلى السخرية.

"الحمد لله،" استمر ماكس وهو يتجاهل تعليق الحاكم، "لم يحدث أى مكروه وكل شىء تم كما أراد سموكم. كل ما هنالك أنه فى حين خطط سموكم لكى يهرب السجين عبر البحر، اختار الله سبحانه أن يذهب عبر البر."

”الله؟“ تساعل الحاكم وحواجبه الكثيفة تتقلص في عبوس عميق.  
للحظات خاف ماكس من مشاهدة الحاكم لأول مرة وهو يفقد أعصابه.  
لكن الشيخ منصور تمالك نفسه سريعاً. ”معك حق، مستر ماكس - كل  
شيء تم على ما يرام“ - وصفق الحاكم طالباً القهوة التي ستنتهي اللقاء .



( ٣ )

## مصير صيد في بيروت

أنزل تيرى وراى الكاميرا عن كتفه وأسندها على الباركيه المكسر ،  
الذى كان يوماً ما أرضية المدخل لواحد من أغلى فنادق بيروت كان  
متين البنية، شعره قصير مائل إلى الحمرة ، وبه بعض الشيب ، وله  
شارب رفيع . وقف ويداه فى وسطه ، وألقى نظرة على السلالم الملتوية .  
"أعتقد أنه ليس هناك مجال للأمل فى أن تكون المصاعد لا تزال تعمل"  
رد عليه مبتسماً الشاب الذى كان يضع حول عنقه سلسلة ذهبية،  
واسم " Nabeel " يرقد فى شعر صدره الأسود .  
رفع تيرى وراى معداته بجهد وقال "هيا بنا".  
كان نبيل قد كلف بإرشاده إلى الفندق ، وبمعاونته فى اجتياز  
اثنين من حواجز الطرق فى أمان .  
كانت الفتاة التى تسمى نفسها جوى قد قدمته له مساء البارحة  
باعتباره أخيها . على أية حال لم يكن مهماً من هو مادام يعرف طريقه  
وقادراً على توصيله للغرفة رقم ٨١٤ .

لم يمض تيرى فى بيروت هذه المرة سوى عشرة أيام ، ولكنه أنجز خلالها عملاً كثيراً وأجرى اتصالات عديدة ، وصور بضعة آلاف من الأقدام من المشاهد المهمة ، التى سيتم معالجتها عند العودة إلى الوطن. كان قد ذهب إلى المستشفيات وصور لقطات مع الأطباء وهم يجرون عمليات جراحية فى ظل ظروف بدائية، ولأمهات وأباء وزوجات وأزواج يعبرون عن حزنهم بشكل لا يمكن أن يقوم به أى ممثل محترف، لمدافن جماعية، لجنث يتم سحلها خلف السيارات فى شوارع المدينة، لكافة الممارسات الوحشية التى يمكن للإنسان أن يقوم بها فى حرب أهلية. فيما بعد ستأتى الساعات الطويلة من العمل الملىء بالتفاصيل الدقيقة فى غرفة المونتاج ، حيث يتم تحويل كافة الأجزاء المنفصلة إلى قصة مترابطة منطقياً ، وإلى كل متماسك يمكن بثه على شاشات العالم أجمع. كان سيقوم بكتابة التعليق أيضاً، فكان يرى أنه بعد زيارته العديدة إلى لبنان ، وحجم القراءات التى قام بها حول الموضوع أصبح ملماً إماماً جيداً أفضل من غيره بهذه الحرب الملفة . كان واثقاً من أنه توصل إلى صورة واضحة بقدر الإمكان لحرب تصعب رؤيتها من منظور الأبيض والأسود ، أو المسيحي والمسلم ، أو الطيب والشرير، حتى أنه كان من الصعب تحديد عدد الأطراف المتصارعة داخلها ، فهى بالتأكيد كانت أكثر من الخصمين المعتادين فى معظم الحروب

كان يعتقد أيضاً أن المادة التى نجح فى تصويرها ستتحول إلى فيلم من النوع الذى بنى عليه سمعته فى "واردور ستريت" ، وهى سمعة

جلبت له المؤيدين المستعدين لتقديم التمويل اللازم لأي مشروع يفكر فيه. مرة أخرى سيكون قد أنجز فيلماً يقدم معلومات عارية دون أن يرحم أي طرف. ولكن خلال مراجعته لمذكرات الكاميرا أحس أنه رغم شمولية المادة إلا أنها كانت تفتقر إلى اللقطة المتفردة القادرة على تمييز الفيلم الوثائقي بأكمله عن غيره من الأفلام التي يمكن تصنيفها باعتبارها واقية فقط ، ولذلك نجح خلال ليلة البارحة في بار صغير متفرع من شارع الحمراء - بعد أن استغل عملية تعارف سابقة - في عمل الاتصالات والترتيبات اللازمة .

تم إبرام الصفقة بالدهاء اللبناني التقليدي بما فيها ضرورة دفع المطلوب بالدولار ومقابل ذلك كان المفروض أن يحصل على لقطة لشخص يُقتل برصاصة قنّاص - على أن يكون هذا القنّاص امرأة شابة جميلة .

كانت أجزاء من درابزين السلالم المغطاة بالسجاد قد انفصلت عن الحائط الملى بالحفر نتيجة الطلقات ، كانت دليلاً على المعارك الشرسة التي جرت من بيت إلى بيت ، والتي سبقت سقوط المبنى في أيدي المجموعة التي تحتله الآن ، والتي أصبحت تسيطر من خلاله على تقاطع حيوى في المدينة.

توقف نبيل في الطابق الخامس وأشعل سيجارة. لم يقدم واحدة للإنجليزى ، فقد سبق أن أشار بفضاظة في الليلة الماضية إلى أنه لا يدخن. مرة أخرى أنزل تيرى المعدات عن كتفه وأسندها على الأرض ،



وظل ممسكاً بالأحزمة في يده. كان تعبير وجهه ينم عن ازدراء للشباب الذي احتاج إلى استراحة في طريق الصعود ؛ فالإنجليزى كان يتفاخر بأشياء كثيرة ، ومن بينها لياقته البدنية.

"يبدو أنه كان مكاناً فخماً"، قال وهو ينظر عبر الممر إلى الأبواب المرقمة الممتدة أمامه. في نهاية الممر انتصب بانيو مشروخ لونه وردي ، وبيديه من نفس اللون. كان هناك رجل يجلس منفرج الساقين بجانب البيديه ، وبندقيته تستند على البانيو المقلوب. لوح بيده لنيل وصاح له بشيء ما. خمن تيرى أن الرجل يسأل عنه. عندما رد نيل قال الرجل، "مرحباً"، وابتسم لتيرى ابتسامة آلية . سحق نيل السيجارة تحت قدميه وبدأ صعود السلالم مرة أخرى. رفع تيرى المعدات على كتفه وتبعه. في الطابق الأخير سار نيل نحو باب يحمل رقم ٨١٤ ، ويقع في مواجهة السلالم مباشرة، نقر على الباب وأعطى اسمه.

لم يكن الباب مقفلاً فانفتح. قال نيل شيئاً بالعربية ، ورد عليه صوت امرأة. دخل تيرى الغرفة وراء نيل. كانت الفتاة التي تسمى نفسها جوى ترتدى ثياب القتال المرقشة ذات الجيوب الكبيرة والأزرار على بنطلون ومعطف واسع . كان شعرها - الذي تذكره تيرى من الليلة الماضية أسود فاحماً وحريراً، وقد رفعتة إلى أعلى تحت قبعة مستدقة الرأس. نقلت بندقيتها إلى يدها اليسرى وهي تصافحه.

سأله نيل: "هل أنت متأكد أنك تستطيع أن تعود وحدك؟"

قال تيرى. "فقط أبلغهم عند حواجز الطرق أنني سأمر عائداً فيما بعد،" ثم أضاف: "شكراً" وأخذ ورقة نقدية من جيبه قدمها للشاب.

قال نبيل وهو يهز رأسه. "شكراً، لا داعى لذلك"، وأحس تيرى بأنه عومل بازدراء.

تبادل جوى ونبيل بعض الكلمات بالعربية عند الباب، ثم قامت هى بإغلاق الباب بالمفتاح. كانت الغرفة تبدو فسيحة، فلم يكن بها أى أثاث سوى أكياس الرمل المترامية عند النافذتين المطلتين على الشارع. سار تيرى باتجاه الباب الآخر المواجه للنافذة وفتحها وطمأن نفسه أنه الحمام ضحكت وهى تشاهده.

قالت له: "لا تقلق - لا يخبى أحد بالداخل".

رد قائلاً: "لم أكن قلقاً. لم أفكر إطلاقاً أنك تحتفظين بصديق وديع هنا فقط أحب أن أعرف إلى أين تؤدي الأبواب - إنها عادة دأبت عليها".

انتقلت جوى إلى إحدى المراتب الموضوعة أسفل النافذة، وجلست عليها القرفصاء. أخذت علبة سجائر "شسترفيلد" من الجيب العلوى لسترتها وضربتها على كف يدها وسحبت واحدة بشفاها.

قالت "أنت لا تدخن".

"لا شكراً".

كانت إلى جانبها سلطانية كبيرة بها أعقاب سجاجير، كذلك كوب صغير مستدير مثل الذى تقدم فيه القهوة التركى، وبجواره ترمس. قالت وهى تربت على المكان بجوارها على المرتبة. "استرح".

"قهوة؟"

رد قائلاً "نعم، أرغب فى ذلك".

فكت غطاء الترمس وصبت القهوة داكنة السواد فى الفنجان. قالت "نحن لا نستقبل ضيوفنا هنا، وعلينا أن نتشارك فى الفنجان".

"لا بأس".

ترك الكوب على الأرض ونظر من النافذة - وهو راكع على المرتبة - كانت المباني المواجهة لهم أقل ارتفاعاً بثلاثة أو أربعة طوابق، وكان الغسيل منشوراً على الأسطح المنبسطة. كانت الحوائط عند مستوى الشارع تحمل آثار المعارك، حيث كانت النوافذ إما فجوات محدقة، أو مكسوة بألواح خشبية. كانت هناك شعارات مكتوبة بخط عربى فياض على الحوائط البيضاء، وإلى جانبها صورة تقريبية لرجل معلق من مشنقة يخرج من لسانه المنتفخ بالون باللغة العربية. كانت إحدى الحوائط قد أطيح بها لتكشف عن أحشاء المنزل الذى عاش فيه من قبل أناس ما وربما قتلوا فيه أيضاً. فى أعلى الشارع قرب التقاطع استلقت سيارة محترقة ومقلوبة كحشرة ميتة. تصاعد فوق المباني - وفى اتجاه منطقة الميناء والبحر - عمود من الدخان الرمادى فى شكل علامة استفهام، يشق طريقه على نحو ملتو نحو السماء الزرقاء.

قال وهو يقوم واقفاً على قدميه: "ولا حتى قطة يمكن رؤيتها في المكان".

قالت له: "من الأفضل ألا تقف هنا، من الصعب أن نعرف من هناك. نحن نسيطر على الشارع من هنا، لكن أحياناً يختبئ بعض رجالهم في المباني المقابلة. أما هناك فهي حدود الأعداء."

جلس بعدم ارتياح على المرتبة، ورشف القهوة، ثم بدأ يخرج معداته.

قالت له محذرة: "قد تضطر للانتظار طويلاً".

إذا حدث ذلك ربما تستطيعين قطع الوقت بأن تحكى لى عن نفسك. إنك تتحدثين الإنجليزية بشكل جيد...

والفرنسية والعربية، ردت عليه. لا شك أنك تريد أن تعرف ماذا تفعل فتاة مثلى فى كل هذا سأقول لك أحاول أن أعيد بيروت إلى ما كانت عليه يوماً ما - واحدة من أعظم مدن العالم.

حسناً، لكنها لا تكاد تكون كذلك الآن بعد الضرب العنيف الذى تعرضت له منكم جميعاً. الحروب الأهلية ليست جميلة، ولكن الحياة هنا أصبحت رخيصة للغاية.

رفعت نظرها إليه، وابتسمت ابتسامة لا تحمل أية ملاطفة وهى تقول "أنت تدفع السعر السائد".

سألها "إذن فالموسم مفتوح طوال السنة؟"

نظرت إليه بتعبير ينم عن عدم الفهم.

"هذا نوع من التعبيرات"، قال لها. "في إنجلترا، من أجل حماية الحياة البرية، لدينا مواسم مفتوحة، ومواسم مغلقة. الموسم المفتوح؛ هو الموسم الذي يسمح خلاله باستعمال البنادق في الصيد".

"فهمت"، ردت قائلة. "نحن اللبنانيون طالما استمتعنا بالصيد".

قبل أن تطفئ سيجارتها أشعلت بها سيجارة أخرى.

قال لها. "أريد لقطة طويلة بقدر الإمكان".

"سأفعل أفضل ما أستطيع" ردت قائلة. "لا أستطيع أن أضمن أى شيء - فلا أحد يتلقى أجراً مقابل أن يصير قتيلاً".

ضحك ضحكة ساخرة. "هذا صحيح"، قال موافقاً. "إنها مسألة حظ".

رفعت البندقية وحملتها بين كيسين من الرمل. صوبتها باتجاه الشارع ثم التفتت ناحيته. "لا أريد أن أظهر فى فيلمك هذا - هل فهمت؟ هذا ليس فى الاتفاق".

"حسناً"، رد عليها، "لكن الجمهور يجب أن يشعر أن هناك شخصاً يقوم بإطلاق النار هنا. سأقوم بتصوير رأسك ويديك من الخلف. هل تعرفين جوى، لديك يدان جميلتان، وهناك شيء مثير جنسياً عندما تمسك أياد مثل أياديك بندقية".

ردت: "حسناً، ولكن اقتصر على الأيادي الجميلة." وعادت لتراقب الشارع في الأسفل.

"ماذا تفعلين عندما لا تكونين هنا - في المساء مثلاً؟"

ردت قائلة: "لقد رأيت بنفسك، أجلس في البارات، وأتحدث مع الأصدقاء حول الحرب وحول كل ما ستفعله عند انتهائها."

قال: "و لكنك لا تشربين، لقد لاحظت ذلك."

"لا أحب الشرب."

"إذن ماذا تخططين عند انتهاء الحرب؟ - إذا انتهت. مشكلة الحرب أن الناس مع الوقت يعتادون عليها، بل ويبدعون في الاستمتاع بها، ولا يريدون أن تتوقف"

ذكرته قائلة: "هناك أيضاً الكثير من الناس في الخارج الذين يسعدهم استمرار الحرب."

ردت قائلاً "أتصور ذلك"، ثم بعد برهة صمت سألتها مرة أخرى عما ستفعله بعد الحرب.

"إذا توافرت أموال كافية ربما أعود لإكمال دراستي في الجامعة الأمريكية في بيروت. ربما أيضاً أستقر وأكون أسرة."

"ألن تكون هذه حياة وديعة بعد كل هذا؟"

نظرت له بحدة. "لم اختر أن أقوم بهذا، كما تعرف. أحياناً يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن القيام به، إما الفرار من هنا،

والقفز من المركب التي تفرق وبدء حياة جديدة في باريس أو أى مكان آخر، أو البقاء والقتال.

” ومع الوقت تصبح قيمة الحياة أرخص وأرخص؟“

”أعتقد ذلك. كلنا سنموت يوماً ما، وبالتالي ليس الأمر بهذا القدر من الأهمية.“

أنزلت البندقية إلى جانبها وجلست متربعة في وضع زهرة اللوتس، وظهرها مستنود على الحائط. ”بعضنا يطلق الرصاص على الناس مستر وراي ، والبعض الآخر يدفعون للآخرين ليطلقوا الرصاص على الناس ، كي يلتقطوا صوراً لأفلامهم.“

”هذا يلخص الأمر الذي نحن بصددده،“ قال وهو يبتسم، ثم اقترب منها على المرتبة ، ووضع يده على كتفها. ”سألتك ماذا تفعلين في المساء؟“

”وأنا قلت لك- أجلس مع الأصدقاء.“

”ما رأيك في الجلوس معي هذا المساء؟“ دلت يده كتفها برفق.

سألته بدون أى دلال :”هل أنت صديق؟“

”أحب أن أكون كذلك.“

”حسناً،“ قالت وأزاحت يده عن كتفها. ”لنبق الأمور في إطار

العمل فقط، وفكت ساقها ، وركعت حتى ترى الشارع.

"إذن موعدنا الليلة قائم؟" قال متسائلاً. "ربما يمكنك أن تريني مكاناً لطيفاً للأكل والشرب ، أو ربما تحبين المجيء للعشاء في فندق البريستول؟"

"سنرى"، ردت قائلة. "لا أحب أن اخطط مقدماً - أنا أو من بالغيبيات."

قال "يا إلهي ، يجب أن يكون المرء كذلك إذا كان يعيش في بيروت."

قالت بنبرة باردة: "إنه بلدي".

مرة أخرى التفتت إلى الشارع، وسيجارة تحترق بين أصابعها، وهي تسند رأسها على كعب البندقية. كان عليه أن يتمالك نفسه من أن يمد يده ليتحسس رقبتها ؛ حيث كانت خصلات الشعر قد تم شدّها إلى أعلى لتحتويها القبعة.

قالت وهي تكسر الصمت: "هل معك النقود؟"

"نعم"، وفك أزرار حاشية جيب سترته وأخرج مظروفاً مغلقاً. فتحتة وتأكدت من فئة أوراق الدولار . قالت وهي تعيد له المظروف: "احتفظ أنت به الآن" ، ثم أضافت: "ربما يكون هذا هو الهدف المطلوب."

"نظر وراء كتفها فرأى رجلاً عجوزاً يلبس بنطلوناً رثاً وقميصاً بدون ياقة ، وشبشباً في قدميه، ظهر عند فجوة المدخل المحدقة لأحد المباني التي تحمل آثار القذائف، كان يحمل كيساً منتفخاً على ظهره.



أدار، وهو يركع على المرتبة خلفها مباشرة، آلة التصوير. أحس بتوترها وهي تنزل يدها اليمنى على الزناد. "ليس بعد"، قال لها بإلحاح. "لنأخذ الأمور على مهل، ونحصل على مشهد طويل بقدر الإمكان - "ما قبل وما بعد" واقعيان - " واستعرض بآلة التصوير في بطن الشارع المليء بالدبش، وتوقف عند السيارة المقلوبة، ثم انتقل سريعاً إلى الرجل العجوز، وركز التصوير عليه عن قرب وهو يقف متردداً عند مدخل الباب الخالي. كان وجهه مليئاً بالخطوط، وشعر لحيته لم يخلق منذ أيام، وكانت عيناه تضيقان في مواجهة أشعة الشمس. دارت عيناه واستقرتا - ربما جذبتهما ومضة ضوء من ماسورة البندقية وهي مستندة على أكياس الرمل - وكان يبدو أنهما تحدقان في عدسة الكاميرا .

غمغم قائلاً: "هذا عظيم"

"سيته يساراً"، همست البنت، وكان هناك من يسمعها  
"سيحاول الوصول إلى التقاطع."

"اضربيه قبل أن يصل إلى مكان السيارة." ركز الكاميرا على وجه الرجل عن قرب.

لا تتركه يذهب بعيداً قبل أن تصيبه. اجرحيه فقط في بادئ الأمر،" قال لها وهو يعطيها التعليمات.

لمست إحدى ركبتيه أعلى فخذه، وأحس بجسمها يتصلب.

" أنت لا تبالي بأحد على الإطلاق، أليس كذلك مستر وورال؟ "

"إننى أعمل فى مهنة قاسية ، كما أننى أدفع أموالاً جيدة."

فجأة، مع احتفاظها بالبندقية فى مكانها بيدها اليسرى، التفتت إليه. "أنا على استعداد لإلغاء الصفقة،" قالت باستهجان.

تبادلا نظرة طويلة، ثم أشار إلى الشارع. "بدأ يتحرك."

خرج الرجل العجوز من المدخل ، وبدأ يطوف حول حافة الحائط. كان يتقدم بصعوبة ربما نتيجة ثقل الكيس ، أو نتيجة الشيبشب الفاقد لأى ملمح. كان من الصعب رؤية أى شىء منه سوى جسمه ؛ الذى يسير بتثاقل ، والكيس الاشبب بالحدبة وهو مائل على جانب واحد. المشهد - فى رأى تيرى - كان ينقصه شىء ما ؛ و لذلك رجع إلى الوراء على المرتبة، والكاميرا لاتزال تدور، حتى استطاع أن يلتقط بروفيلها مع ماسورة البندقية وهى رابضة فى كف يدها .

تحرك إلى الأمام مرة أخرى ليلحق بتصوير سيارة جيب مفتوحة، بها رجال مسلحون تعلقوا بجوانبها وهى تسير بسرعة فائقة ثم تختفى ناحية التقاطع .

عندما أطلقت النار، غير الرجل العجوز وضع الكيس. قوة الرصاصة وهى تضرب الكيس ألقت بالرجل على الأرض بدأ يندفع مذعوراً للاحتماء بأحد المداخل المفتوحة، ثم أصابته الرصاصة الثانية فى أعلى الكتف. بدأ يتلوى ويده ممسكة بكتفه ، والدم يفيض من بين أصابعه. كان على وجهه تعبير - هو خليط من الدهشة والألم، ورغم

ذلك امتدت يده الأخرى بحثاً عن الكيس. ثم بعد أن قرر ترك الكيس، بدأ يزحف على أربع بمحاذاة الرصيف في محاولة يائسة لاجتياز الiardات القليلة المتبقية للوصول إلى الأمان.

"تمهلي!" قال تيرى بإلحاح وهو يربض فوقها سائداً نفسه على الحائط، وقد بدأ التعب يتسرب إلى ذراعيه.

عندما وصل الرجل العجوز إلى المدخل المفتوح غمغم تيرى بتوتر قائلاً: "انتهى منه برصاصة واحدة في الرأس."

نثرت الطلقة مخ الرجل على الحائط الأبيض في حين تساقط جسمه على الرصيف. أستمر أزيز الكاميرا الدائرة خلال الصمت المحيط بهما. بدأ الاثنان يشعران بهذا الصمت فجأة.

تنهد على نحو ينم عن الرضى، بل عن الارتياح، وأنزل الكاميرا إلى جانبه. أحس بأنه مستنزف، وكأنه انتهى لتوه من مضاجعة.

قال: "كانت على أفضل ما يرام. أخذت لقطات عظيمة. شكراً."

وهو يأخذ الكاميرا ويفك العدسة التلسكوبية، أسندت جوى البندقية بحرص على أحد أكياس الرمل. رمقته في صمت وهي تسند ظهرها على الحائط. "من الغريب أننا نستخدم نفس كلمة "شوت" مع الكاميرا كما في إطلاق النار،" قالت وكأنها تحدث نفسها.

ابتسم لها. "نحن تقريباً من نفس المهنة. لاحظ أنها كانت شاحبة ومتوترة. "كنت عظيمة،" قال وهو يأمل أن ترد على ابتسامته بابتسامة أخرى.

"هل يمكنني أخذ النقود الآن؟"

"بالطبع، رد قائلاً ، وأخذ المظروف من جيبه.

ثم رفع الكاميرا على كتفه وابتسم لها. "مع السلامة - ولا تنسى هذا المساء. إننى أعرف طريق الخروج".

قالت وهى تنهض واقفة وترفع البندقية: "أحب أن يكون الباب مقفولاً".

عند الباب مد يده لها. "شكراً جوى". نقلت البندقية إلى يدها اليسرى. لم تضغط على يده كما فعل هو وهما يتصافحان. قال لها "أراك فيما بعد".

استدار أعلى السلم ولوح لها. عند الطابق التالى نظر إلى أعلى عندما سمع صوتها. "مستر ووال"

"نعم جوى"

كانت تقف عند أعلى السلالم.

"أنا أسفة، الليلة لن نتلقى".

"ولكن أنا اعتقدت أننا..." رآها تشهر بندقيتها وكأنها فى مشهد يعرض بالحركة البطيئة. أعاقت المعدات الثقيلة رد فعله. حاول إلقاء نفسه جانباً ناحية الدرايزين، لكن الرصاصه اخترقت رقبته. رقد على ظهره يحدق نحوها وعلى وجهه نظرة عدم تصديق ، وكان ينتظر الرصاصه التالية .



( ٤ )

## نصيب من الكعكة

باستثناء أن الوزير كان ينطق اسمه خطأ، ارتاح مارتين إيجلتون إلى أن اللقاء سار على نحو جيد. كان صديقه - نائب الوزير - قد حذره أنه سيجد الوزير، لو أتاحت له فرصة مقابلته، شخصية جبارة كان الرئيس قد عينه في هذا المنصب بسبب أدائه السابق في ميدان القتال لم يكن يتوقع لقاء الوزير على الإطلاق ، فالمفاوضات كانت قد تمت مع محمود عبد الستار - نائب الوزير - ومع مجموعة من المسؤولين الفنيين في الوزارة. وبسبب إرسال محمود في مهمة هامة منذ يومين تلقى رسالة في الفندق تفيد أن الوزير شخصياً يود لقاءه.

كان بالفعل شرفاً له ، وإن كان اللقاء أقرب إلى لقاء مجاملة . نظراً لأن كافة المواصفات والأسعار وتواريخ التوريد قد تم الاتفاق عليها من قبل .

كانت حجرة الوزير مثيرة للإعجاب بمكتبه المنظم الكبير والبورتريه بالحجم الطبيعي للرئيس ، وهو في الزي العسكري الميداني ، وكأنه

ينظر من فوق كتف الوزير. كان الرجلان من العسكريين ، وكانا قد خاطرا بحياتهما في الانقلاب - الذي جاء بالرئيس إلى السلطة، وكانا يتميزان بنفس تركيبة الفك ، ونفس الحواجب الثقيلة والشارب الممتلئ . كانت معرفة الوزير بالإنجليزية ملائمة ، ولكن أولية - ليس مثل نائبه الذي كان يتحدث بطلاقة وقد أكتسب لهجة "يوركشاير" عندما تخرج من الكلية الفنية في شمال إنجلترا. كان يقف الآن بجوار المكتب الكبير مساعد شاب يلبس بذلة ورباط عنق ، ولديه شهادة علمية في الأدب الإنجليزي من الجامعة المحلية.

كما تعلم مستر إيجلتون،" شرح المساعد، "مستر محمود غائب الآن في مهمة عاجلة. ومع ذلك أحس معاليه بأنه يود لقاء الشخص الذي جرت معه المفاوضات بخصوص هذا العقد الهام."

"هذا شرف لي معاليكم." التفت مارتن إيجلتون إلى الوزير وهو يبتسم ابتسامة لائقة. "كان من نواحي سروري العمل مع سيادتكم ، ومع مجموعة العاملين عاليي الكفاءة."

قال الوزير وهو يلوح بحركة قاطعة من يده اليمنى "في هذا البلد نحب أن نكون مضبوطين".

ثم التفت الوزير إلى مساعده وتبادلا بعض الكلمات باللغة العربية. معاليه يقول إننا سمعنا من صديقك مستر محمود حول صعوبة الوصول إلى سعر مقبول للطرفين،" قال المساعد.

"قال مارتن إيجلتون ، وهو يقوم بحركة مسرحية بيديه الاثنتين: "مستر محمود، يا معالي الوزير، مفاوض ماهر جداً ، وهو يحمل مصالح الوزارة في قلبه."

ترجم المساعد للوزير الذي ابتسم للإنجليزى الجالس أمامه ، ثم تحدث مرة أخرى من خلال مساعده.

"معاليه واثق أن النتيجة ستكون جيدة لكل الأطراف. هو يأمل أيضاً أن يتم إنهاء كل شيء فوراً. فى هذا البلد لا نحب تضييع الوقت "

سأل مارتين إيجلتون "هل يكون من المناسب، نظراً لأن كل شيء قد تم الاتفاق عليه ، ولا يحتاج العقد سوى توقيع معاليكم، وأن أحجز لنفسى على طائرة الغد".

بعد أن تأكد أنه فهم بشكل صحيح، مال الوزير ناحية مساعده ، ثم بسط كفيه الكبيرين على المكتب. "أنت لا تحب بلدنا مستر إيجلتون؟ أنت لا تحب أن تأكل أكثر من كيابنا؟ - وضحك الرجال الثلاثة بقوة

فجأة بدت على الوزير الجدية ، وهو ينظر إلى ساعته الذهبية. نقر على وجهها وهو يتبادل بعض الكلمات مع مساعده .

قال المساعد "يقترح معاليه أن تحجز على طائرة للسفر غداً بعد الظهر".

"هل يمكن إتمام كل شيء بحلول هذا الميعاد؟" سأل مارتين إيجلتون وهو عاجز عن إخفاء الدهشة فى صوته. كان قد استقر رأيه



على أنه قد يحتاج للبقاء إسبوعاً إضافياً أو أكثر قبل أن يتم التوقيع على العقد. كان يبدو في بعض اللحظات أن المفاوضات ستستمر إلى الأبد، مع جدل لا ينتهى حول الأمور الصغيرة ، التي كان يثيرها مسئولو الحكومة. كان يمكن لأي شخص أن يتصور أن لأصحاب الحكم والسلطة مصلحة مالية في إبقاء فنادق العاصمة مشغولة بممثلي الشركات الأجنبية. مرة أخرى يعود الفضل لمحمود - نائب الوزير - في تحريك المفاوضات في الاتجاه الصحيح.

قال الوزير، وهو يلوح بإصبعه ويضحك. "إن شاء الله. تعرف، يجب أن تقول إن شاء الله دائماً بالنسبة للمستقبل. فالله وحده يعلم بلا شك" ، وأشار الوزير إلى أعلى بإصبعه.

قال مارتين أيجلتون، وهو يباليغ في طريقة التلفظ: "إن شاء الله" "ممتازاً" هتف الوزير ، وضحك الرجال الثلاثة مرة أخرى بحماسة. ثم وقف الوزير ، وتصافح هو ومارتين أيجلتون عبر المكتب، وبعدها رافقه المساعد حتى الباب، بل خرج معه إلى الشارع وساعده في إيجاد تاكسي .

بعد أن وصل إلى الفندق وجد موظفاً جديداً عند الاستقبال. كان عليه أن يعطيه اسمه ، ورقم غرفته قبل أن يسلم له المفتاح.

سأل الرجل "أنت ستغادر الفندق غداً، مستر أيجلتون؟".

رد باقتضاب. "أنا لم أقل ذلك أبداً".

”قيل لنا إنك ستغادر غداً.“

أزعجته فكرة أن شخصاً في الوزارة قد أبلغ الفندق بميعاد رحيله. ما أغضبه أكثر هو إبلاغه أن الفندق قد رتب لنقله إلى غرفة أخرى لقضاء آخر ليلة له فيه. قص عليه الرجل في الاستقبال قصة مشوشة تفيد بأنه أبلغهم اليوم بميعاد رحيله ، وأنهم وعدوا رجلاً من ألمانيا بحجز غرفته له ؛ حيث كان قد طلبها بالتحديد. عندما بدأ يحتج بأنه لا ينوى مغادرة الغرفة التي ظل يشغلها طوال ستة عشر يوماً، اعتذر له الرجل بأنه - وللأسف - تم حزم أمتعته في حقائبه ، ونقلها إلى غرفة أخرى. كانت الغرفة الجديدة شبيهة بالغرفة التي كان يشغلها، بل كانت أوسع وأفضل تجهيزاً ، وبها جهاز تلفزيون بشاشة عريضة. رغم أنها كانت أعلى من غرفته الحالية ، وقيل له إنه بسبب الإزعاج الذي تعرض له ستتم محاسبته على السعر نفسه.

رغم سخطه على الأسلوب الخشن الذي عومل به، قال لنفسه إنه لن يجنى شيئاً من وراء إثارة ضجة حول الموضوع. فهذه ليست معارك يمكن الانتصار فيها، بل هي معارك لا تستحق أن تخاض. لقد عمل طويلاً في العالم العربي - حيث تعلم ضرورة أن يتناول المرء الكثير مما يجرى من أمور بقدر من رباطة الجأش.

ذهب إلى البار وطلب بيرة ، وعزى نفسه بأن هذه آخر ليلة له في المكان ، وأنه غداً سيكون على متن الطائرة وفي جيبه العقد. ثم صعد إلى غرفته الجديدة. لاحظ بالفعل أنها غرفة أكبر ، وأنها مجهزة بشكل

يوفر له راحة أكبر. كذلك رأى التلفزيون الجديد كبير الحجم. أحس بالضوضاء الخفيفة لحركة المرور تنفذ من بين الستائر. أزاها إلى جانب ورأى أن غرفته تطل على ركن من أركان الميدان الرئيسي للعاصمة. هز كتفيه بلا مبالاة وفكر أنه بعد أن يشرب عدة أكواب أخرى من البيرة سيكون محصناً ضد ضجيج المرور.

قرر أن يخرج ، وأن يتناول الغداء ، ثم يعود ليكون متواجداً في الفندق خلال فترة بعد الظهر ، لعلهم يستدعونه في الوزارة. أكل طبقاً من الكباب والأرز بسعر يمثل نسبة ضئيلة مما كان سيكلفه في الفندق، ثم عاد إلى الفندق ليشرب مزيداً من البيرة.

قال للرجل في الاستقبال "أنا أنتظر مكالمة هامة من الوزارة".

في غرفته ، وبعد أن خلع سترته ورباط العنق ونزع حذاءه، جلس في واحد من المقعدين الوثيرين لمشاهدة مباراة كرة قدم معادة من إستاند في إسبانيا يصاحبه التعليق الخشن باللغة العربية

بعد أن أوقف الصوت دخل في نوم عميق واستيقظ على رنين التليفون عندما رد عليه سمع صوت امرأة تتحدث بالعربية أنصت لبضع ثوان ثم أغلق السماعه.

عند الاستقبال أبلغهم بأنه تلقى مكالمة خاطئة ، ولكن الرجل حاول أن يؤكد له أن المكالمة كانت له كان الجو معتدلاً فخرج وسار حتى مكتب الخطوط الجوية ، لكي يحجز للسفر في اليوم التالي. فوجئ عندما وجد أنه قد تم بالفعل إجراء الحجز باسمه على طائرة بعد الظهر. سلم تذكرته لكي يتم تسجيل رقم الرحلة وتاريخها عليها.

كان المساء ممتداً أمامه بفراغه الرتيب .

قضاء وقت الفراغ في غرف الفنادق كان جزءاً من عمله كممثل للشركة في الخارج ، حيث يتم قطع الوقت بأحلام اليقظة، أو كتابة الخطابات ، أو قراءة الروايات البوليسية التي يشتريها من مطار هيثرو. كان هناك بالطبع إغراء الإسراف في الشراي حتى الثمالة. على الأقل، طمأن نفسه، هذه آخر ليلة له في هذا المكان. كان يتمنى لو استطاع أن يمضيها مع محمود في سهرة احتفالية. كم كان سيصير ممتعاً لو ذهباً إلى أحد هذه المطاعم ذات الحدايق الصغيرة ، والتي تقدم فيها زجاجات العرق المحلى ، تلك المصنوعة من البلح ، وليس ذلك النوع اللبناني المصنوع من العنب.

رغم أن العرق المحلى كانت له لذة خاصة إلا أنه كان يترك أثراً مؤلمة وقوية في صباح اليوم التالي ، ولكن سرعان ما يعتاد المرء على ذلك. كنائب للوزير وشخص يحب متع الحياة . كان محمود معروفاً للجميع، وكان يحظى باهتمام خاص في بارات ومطاعم المدينة مثل أن يمنح مائدة في ركن متوار بعيداً عن أنظار الزبائن. ولكن، كما قال لصديقه الإنجليزي - من الحكمة ألا يشاهد الاثنان كثيراً معاً، وأيضاً ألا يحاولا مرتين مكالمته بالتليفون في منزله. وقد صادف بالفعل عدم وجود ضرورة لكي يجتمعا مرة أخرى ؛ حيث لم يعد هناك ما يحتاج إلى المناقشة. كان لديه رقم حساب محمود في البنك في زيوريخ ، وكان سيكلف الشركة بتحويل عمولته عندما تبدأ في تلقي الدفعات من الحكومة. الثقة التامة ضرورية في مثل هذه الترتيبات، فلا يمكن بأي

شكل من الأشكال تدوين أى شىء كتابة. كان متأكدًا أيضاً أن محمود يمكن الوثوق به، وأنه عندما يقوم برحلته السنوية إلى أوروبا خلال الصيف سيجد نصيبه من نصف قيمة العمولة مدفوعاً فى حسابه الذى ينوى فتحه فى جنيف ' فأى ترتيب أفضل من أن يعطى نائب الوزير نصيباً من الكعكة؟ كان يسعد أيضاً عندما يفكر فى الثناء الذى سيتلقاه من مدير المبيعات، وربما يحصل كذلك على زيادة فى مرتبه، بل حتى مكافأة.

ضجر من التلفزيون ، فنزل وأقنع الرجل الواقف عند البار أن يعطيه ربع زجاجة سكوتش بالثمن الرسمى .

عاد إلى غرفته وفتح التلفزيون مرة أخرى وشاهد فيلم مغامرات حول شخص بدون مسدس يطارده شخص آخر بمسدس فى شوارع هيلسنكى. فى أثناء مشاهدته ترك عقله يتجول بين أسماء أماكن مثل "كان"، "أنتيب"، و"كاب فيرا". قرر أنه يجب أن يقوم برحلة إلى الجنوب الفرنسى - ربما مع زوجته - ليشاهد العقارات المعروضة للبيع. فمن الأرجح أن العقارات فى إسبانيا ، أو ربما "مايوركا" أرخص، أو حتى فى مكان مثل 'بافوس' التى تقع فى الجزء اليونانى من قبرص ، والتى تتوسط بشكل ملائم الطريق بين منتجعاته المفضلة ، وبين المملكة المتحدة. فى غضون ذلك، ستضاف الفائدة على أمواله فى أثناء بحثه عن فيلا بيضاء بحديقة صغيرة. انتهى فيلم المطاردة ، ووجد نفسه يشاهد - بضجر متزايد - فيلماً كوميدياً عربياً مصوراً فى القاهرة. خفض الصوت وشغل نفسه بإنزال ستيرته عن ظهر الباب ، وإخراج

مغلف قديم من الجيب الداخلى. كتب سريعاً عليه بعض الأرقام، وسلسلة من النسب المثوية ، وتواريخ محتملة للدفع. كانت عملية حسابية قام بها من قبل ، ولكن كان يسعده عمل الحسابات ، والتحديد فى المبلغ الكبير الذى سيحققه لنفسه. مزق المغلف ، ودخل الحمام ، وألقى بالقصاصات فى المرحاض، واضطر أن يشد السيوفون مرتين قبل أن يختفى أى دليل على حساباته.

تناول غداءً دسماً ومتوسط المستوى فى مطعم الفندق ، وشرب قدحين إضافيين من البيرة ، وجلس لبعض الوقت يستمع إلى فرقة موسيقية تضم ثلاثة عازقين تؤدي ألحاناً كانت ذائعة فى فترة زمنية سابقة لميلاده. فى طريقه إلى غرفته توقف عند الاستقبال ، وطلب إفطار كونتinentال ، وقهوة فى غرفته الساعة التاسعة صباحاً. عندما سلمه الرجل مطروفاً، تجهم وقال لها إنه كان يجب أن يبلغه فور وصوله

قال بحدة " إنه خطاب هام من الوزارة بالله عليك لقد كنت فى المطعم على مقربة منك".

بدأ يزداد سخطاً من العاملين فى الاستقبال.

لقد وصل لتوه، سيدى - لقد سلم باليد.

قال بضيق وقام برفع حواجبه إلى أعلى تعبيراً عن استيائه أعلم، أعلم.

انتظر حتى عاد إلى غرفته قبل أن يفتح المغلف. تبين له من خلال الغيوم التى سببتها الأقداح العديدة من البيرة أن محتويات المغلف

لم تكن بأى شكل من الأشكال عقداً . بدلاً من ذلك رأى ورقة واحدة  
قرأ فيها .

العزير مستر إيجلتون،

هذا لإبلاغكم أنه تقرر عدم الاستمرار فى المفاوضات التى خاضتها  
الوزارة مع سيادتكم .

كما كتبنا فى الوقت نفسه إلى شركتكم الإنجليزية لنبلغهم أن  
اسمها قد تم شطبه من قائمة الشركات المؤهلة للمنافسة على المناقصات  
الحكومية .

كان الخطاب مكتوباً على ورق الوزارة ويحمل توقيعاً على شكل  
خريشة تحت كلمات بالنيابة عن معالى الوزير . قرأ الخطاب مرة ثانية  
غير مصدق لمحتوياته الفظة ، ففى صباح هذا اليوم كان هو والوزير  
يتبادلان النكات . فما الذى حدث؟

خفق قلبه بعنف داخل قفصه الصدرى . اندفع إحساس بالغضب  
من أعماقه تجاه محمود . أين كان الرجل؟ وكيف يتركه وحده فى وقت  
كهذا؟ كان عليه الآن أن يعيد تحريك الأمور من جديد . فى حالة غياب  
محمود، هل يسعى لتحديد مقابلة أخرى مع الوزير؟

جلس إلى الورااء وحاول أن يجعل ذهنه صافياً ، وبدأ إحساسه  
بالغضب والخيبة يتحولان إلى قلق ، فيبدو أنه قد تم إرسال خطاب إلى  
شركته، من ثمة لم يعد هناك ما يمكن إنقاذه فى هذا الشأن . فآية قصة  
يمكن أن يقولها لشركته ، والتى سبق أن أبلغها أن العقد مضمون؟

سأل نفسه ، وهو يسكب بقية زجاجة الويسكى: "فى أى جحيم أنت يا محمود؟"

ابتلعها فى رشفة واحدة ، وسار مترنحاً إلى سريره الكبير ؛ حيث كانت بيجامته مطوية بشكل مرتب على الوسادة. رغم قلقه نام فوراً.

استيقظ على صوت حاد لصفارة إنذار تقترب . فى الوقت نفسه كان هناك طرق على الباب . وتم إدخال عربة الإفطار.

سأل النادل ما الساعة الآن؟ . كان يبدو أن الرجل لم يسمعه حيث ذهب إلى الستائر ، التى كانت تغطى المساحة الكبيرة من الزجاج وأزاحها . تسلل ضوء مطلع الفجر الكئيب إلى الغرفة. تبين له أن الوقت أبكر بكثير عن الوقت الذى كان قد طلب فيه الإفطار. ما الذى كانوا يدبرونه له فى الاستقبال الآن؟

فى طريقه إلى الحمام تذكر خطاب الوزارة الذى تلقاه البارحة. كتلة من الهواجس استقرت فى صدره وخلفت لديه إحساساً بالتوتر والضيق.. توقف ونظر ناحية الشباك. شهد تجمعاً من الناس ينتظرون فى العتمة . كانوا ينظرون إلى الباب الخلفى لسيارة إسعاف وهو ينفتح ويخرج منه، بمساعدة رجلين يلبسان زياً عسكرياً، شخص حافى القدمين، يلبس ما يشبه ملاءة لفت عليه.

قاد الرجلان الشخص فوق السلالم الخشبية للمنصة. كان فى انتظاره عند قمة السلم رجل ثالث فى زى عسكرى ووضع على رأسه إعلاناً كبيراً عليه كتابة عربية.



تعرف مارتين إيجلتون بصعوبة عبر الملامح الغائرة على صديقه الأنيق  
نائب الوزير.

ولو هلة خاطفة كان يبدو أن عيون محمود المحدقة تلاقى مع عيونه  
قبل أن يتم إحكام الحبل حول رقبته العارية.

( ٥ )

## تمت الصفقة

منذ يومين مضيا طار الكولونيل جراى أحد المسئولين عن مبيعات الأسلحة فى وزارة الدفاع البريطانية، إلى مشيخة صغيرة فى الخليج تتميز بالحر والرطوبة المحليين. رغم أن الحاكم قد دعاه إلى المجيء إلا أنه ظل منتظراً لمدة يوم كامل ونصف اليوم فى الفندق قبل السماح له باللقاء. الآن، والمؤذن يؤذن من جامع القصر لصلاة المغرب، نزل الكولونيل جراى السلالم وهو مغموم ، وفتح باب التاكسى - الذى كان فى انتظاره ، وقال للسائق أن يعود به إلى الفندق.

كان الكولونيل جراى يعرف "إميل" فى الاستقبال منذ سنوات عديدة ، ولم يجد صعوبة، بمساعدة ورقة من فئة العشرة دولارات، فى إقناعه بإرسال براد شاى صغير ملئ بالويسكى إلى غرفته.

ثم طلب من إميل أن يتصل له بمكتب الطيران على التليفون وحجز لنفسه تذكرة على رحلة الغد المتجهة إلى لندن "لا-سياحى"، قال بإيجاز وهو يشعر بوخزة امتعاض عندما تذكر حجم ممثلى الشركات

فى المنطقة الذين يبيعون كل شىء من فرشاة الأسنان إلى المنازل سابقة التصنيع ، ويتلقون تذاكر الدرجة الأولى من شركاتهم ، ثم أرسل فاكساً إلى وزارة الدفاع ، ليعلمهم بوصوله الوشيك. ولكى يمهد لهم أسوأ الاحتمالات - بعد أن كانوا ينتظرون عودته وفى جيبه العقد - ختم بالكلمات الآتية "المفاوضات تسير على أعلى المستويات ، ولكن صعوبات غير متوقعة قد تتطلب زيارة لاحقة." اعتبر ذلك مناورة وهو يحاول شحذ تفكيره لإيجاد أقل الطرق ضرراً لإبلاغهم بالأخبار السيئة.

كان اللقاء الذى عقده لتوه مع الحاكم كارثياً. خلال العامين اللذين أمضاهما الكولونيل جراى ذهاباً وإياباً بين لندن والخليج العربى تناوب الحاكم ما بين زيادة الطلبية بشكل كبير ، وبين تقليصها بشكل ضخم، كل ذلك مع تخفيض الأسعار بشكل مستمر.

فوجئ الكولونيل جراى عندما تم إبلاغه بإلغاء الصفقة لدرجة أنه وجد صوته يتحول إلى صرير حاد من عدم التصديق وهو يسأل المترجم "هل سموه يعنى أنه لا يريد أياً من هذه؟" - وأشار بإصبعه إلى العقود المجهزة بعناية ، والمغلقة تغليفاً ثميناً فى انتظار التوقيعات، والتي كانت موجودة على المائدة بينه وبين الحاكم.

نقل المترجم الحديث للحاكم ، وجاءت الإجابة سريعة وشديدة الوضوح وصريحة: "ولا حتى رصاصة واحدة."

ألقى الكولونيل جراى نظرة سريعة إلى الحاكم على أمل أن يكون سموه ربما يمزح - فالكولونيل جراى كان يفتخر بأنه استطاع أن يكون

علاقة مباشرة وغير رسمية مع الحاكم و لكن الأخير كان منهمكاً تماماً في فحص ما يبدو أنه زمردة كبيرة الحجم في الأزرار التي كانت تزرر أكمام عباعته. من الواضح أنه لم يكن هناك ما يمكن عمله سوى تقديم تحيات الوداع ، وجمع مجلدات العروض البريطانية من أحدث نظم الإنذار المبكر وصواريخ أرض - جو وأسطول من زوارق الطوربيد.

كان قد تم إبلاغه قبل أن يترك لندن هذه المرة أن المبلغ الإجمالي النهائي البالغ مائة وثلاثة وثلاثين مليون جنيه غير قابل للتفاوض ، وأنه لا يحتمل أدنى مقدار من التخفيض . لولا الحجم الضخم للصفحة وحاجة المصانع الإنجليزية الشديدة للعمل ، لكان قد تم إبلاغه منذ فترة طويلة بالامتناع عن أية زيارات أخرى لهذه المشيخة الخليجية . كان الجنرال، رئيس مبيعات وزارة الدفاع، قد قال أمامه أكثر من مرة إن تذاكر الطيران لا تنمو على الأشجار، كما ذكره بالتكلفة الباهظة لحجم الأعمال المكتبية التي كان يعاد عملها بشكل مستمر ، والأسلوب الذي يتم به إرغام الكولونيل جراي على تقليص الأسعار أكثر وأكثر وتقديم تنازلات حول مواعيد التسليم والصيانة ، وبرامج التدريب المجانية ، و ضمانات الأداء.

أخذ المصعد إلى غرفته حيث وجد براد الشاي، وفنجاناً وزجاجة مثلجة من المياه المعدنية. فك رباط عنقه العسكري وهو يتناول أول قذح من الويسكي وتساءل عما إذا كان هذا الشراب نوعاً من أنواع الخمور التي أعدها إميل في المنزل، كما تساءل عما لو كان من الأفضل أن ينتظر حتى يصعد على متن طائرة الغد قبل أن يحاول إغراق أحزانه في الشرب.

أية رواية محتملة أو غير محتملة يمكنه أن يقولها للندن؟ كيف يفسر أن سموه قد غير رأيه فجأة بعد كل هذه الأشهر من المفاوضات؟ كان يبدو كأن سموه لديه رغبة خاصة في الانتقام منه ومن وزارة الدفاع. هل يمكن أن يبلغ لندن أن ضغوطاً سياسية مورست على سموه لشراء أسلحة فرنسية؟ وأن الفرنسيين تقدموا فجأة بقرض إذا اشترى منهم؟ أو أن سموه قرر فجأة حل الجيش والبحرية والقوات الجوية؟ أو أن معلومات سرية قد تم تسريبها له، أو... أو...

رن جرس التليفون الموجود بجوار الفراش. انقبض قلبه عندما خطر له أنها قد تكون لندن تستعلم عن الأمور. وقف وهو يترنح وجلس على الفراش. تيقن الآن فقط مدى إرهاقه، وأن هناك الكثير الذي يمكن أن يقال لصالح قبوله المعاش، وتكريس حياته للحفاظ على حديقة منزله في ضاحية "سورى".

قال "جراى" بنبرة رجل يقدم ملخصاً لتقرير أُرصاد جوية إنجليزي.

قال الصوت على الطرف الآخر للهاتف "هنا الأستاذ سعد لبيب، هل أتحدث مع الكولونيل جراى؟ ممتاز... كولونيل جراى، ساكون ممنوناً أن أحصل على خمس دقائق من وقتك الثمين."

أراد أن يقول بأن هناك القليل مما هو ثمين من وقته الآن، لكنه رد فى برود "آسف، لكننى مسافر صباح الغد."

"أعرف،" قال الأستاذ لبيب. "أنت حجزت على الطائرة المتجهة باكراً إلى لندن، ولكننى أرى أنك يجب ألا تسافر دون أن يتاح لنا فرصة للحديث، كولونيل."

كان يفضل لو أمضى المساء وحده ؛ لكى يهرب مؤقتاً من همومه مع مشروب "إميل" سيئ المذاق ثم ينام مبكراً، ولكنه تعلم أن فى مجال الأعمال من الضرورى عدم رفض سماع الآخرين أبداً.

كان يقول لأصدقائه القدامى فى البار المحلى وهو يضم شفتيه فى حكمة: "الاستماع هو الشئ الوحيد الذى لا يكلف". لذلك أبلغ الأستاذ لبيب - الذى قال إنه يتحدث من الاستقبال - أنه سينزل فوراً.

ابتلع كأسه وهو يكشر، وخبياً براد الشاي فى الدولاب الصغير بجوار السرير ، ونزل السلالم إلى البهو .

كان الرجل الواقف بجوار الاستقبال شاباً بمراسم الكولونيل، شعره أسود أملس، ويرتدى حملاً ثقيلاً من الذهب حول معصميه وفى أصابعه وحول رقبته. كان يرتدى بذلة حريرية لامعة لونها رمادى فاتح ، وربطة عنق كبيرة تعلن بوضوح عن اسم مصممها، وخذاءً ضيقاً مصنوعاً من جلد ثمين لأحد الزواحف.

سأل الكولونيل دون داع ؛ حيث لم يكن بالبهو شخص آخر: "الأستاذ لبيب؟".

تصافح الرجلان. كان الكولونيل جراى معروفاً بقبضة يده القوية المؤلمة، لكن الأستاذ لبيب نجح فى الهروب منها دون أذى. ابتسم له

ابتسامة تمساح وأخذه من مرفقه، كأنهما صديقان منذ أيام المدرسة الإعدادية، وقاده نحو قاعة الانتظار، وفي أثناء ذلك نادى على إميل بالعربية. كان للكولونيل جراى معرفة كافية باللغة، والتي التقطها من بارات الفنادق فى مختلف أنحاء الشرق الأوسط؛ لكى يتعرف على الكلمة التى تعنى "ثلج" و كلمة اللغة المشتركة "كوكاكولا". شعوره بالنفور تجاه الأستاذ لبيب زاد أكثر. فلم يعجبه أن يفرض عليه ما يشربه، وفى ظل الخيارات المحدودة المتاحة، كان يفضل لو شرب قهوة تركية.

"ماذا يمكننى أن أفعله لك؟" سأل اللبتانى ببرود فى حين كان الأخير ينتقى ركناً فى قاعة الانتظار ويجلس.

رد الأستاذ لبيب: "أعتقد أن السؤال الصحيح هو ماذا يمكننى أن أفعله لك أنت، كولونيل -أو بالأحرى ماذا يستطيع كل منا أن يقدمه للآخر".

جاءت الكوكاكولا فى أكواب طويلة مثلجة، وبها شرائح الليمون. رفع الأستاذ لبيب كوبه وقال، "فى صحتك." وهو يتظاهر بعدم الاستماع، رشف الكولونيل جراى مشروبه بتردد، ولكنه ابتهج عندما وجده يختلف تماماً عن أى نوع من أنواع الكوكاكولا، التى عرفها من قبل.

"إميل دائماً ينعشها لى بإضافة كمية سخية من شراب الروم من نوع باكاردى." شرح له الأستاذ لبيب، ثم جلس إلى الوراء فى مقعده

ووضع ساقاً على ساق، ولس حذاءه المصنوع من جلد الزواحف بنظرون الكولونيل.

"أسفت جداً عندما علمت أن سموه لم يوقع العقد معك هذا المساء." تصرف الكولونيل جرای بقدر ما أمكنه من برود. "نعم، أعتقد أنه سيعنى ضرورة القيام بزيارة أخرى،" قال بتجهم وهو يرفع كوبه إلى شفتيه ويلقى على الأستاذ لبيب نظرة جانبية سريعة. تذكر أن المترجمين فى هذا المكان من العالم يزيدون دخلهم بشكل كبير عن طريق تمرير المعلومات إلى أطراف ثالثة. ولكن، ما قدر المعلومات التى يعرفها الأستاذ لبيب بخصوص لقائه مع الحاكم؟

"فهمت أن سموه أشار أنه لا ينوى التوقيع على العقد،" قال الأستاذ لبيب، وبدأ يخشخش مكعبات الثلج فى كوبه بشكل مثير للإزعاج.

"آه، لا أستطيع أن أصف الأمر هكذا بالضبط،" رد سريعاً وهو يشعر بأنه يتراجع. رشف من كوبه وحدث بانشداه. "على أية حال، هل يمكننى أن أسأل ما شأنك بهذا الموضوع، أستاذ لبيب؟"

اعترف الأستاذ لبيب وهو يظهر أسنانه الخالية من أية عيوب: "حتى الآن، لا شيء".

"افترض أنك علمت بحديثى مع سموه عن طريق المترجم"

"من أحمد نجم يا إلهى، لا ٦٨ - "أو أنزل ساقه عن الأخرى، وتلوى من شدة الضحك.



أردف الكولونيل بسخرية شديدة: "إذن، ربما من سموه نفسه؟"  
"بالضبط." وألقى نظرة استحسان على الكولونيل.  
"بالطبع، أنت صديق للحاكم،" استمر الكولونيل بنفس النبرة.  
"هذا صحيح،" أكد الأستاذ لبيب.

"كان يجب أن أعرف،" قال الكولونيل جراي، وهو يبدي أنه يبذل مجهوداً لكي يكتم ضحكة. ثم أخرج منديلاً أحمر زاهياً من كفه، وكأته حاو سيقوم بأداء آخر وأفضل خدعة، وتمخط بصوت عال.

قال الأستاذ لبيب: "يبدو لي، كولونيل، أنك غير مقتنع بقدرتي على مساعدتك." ثم، - وهو يميل إلى الأمام ويتحدث بصوت خافت - قدم للكولونيل التفاصيل الدقيقة للصفقة التي كانت وزارة الدفاع تحاول منذ فترة طويلة أن تعقدتها مع الحاكم، ثم ختم بذكر مبلغ مائة وثلاثة وثلاثين مليون جنيه.

حاول الكولونيل جراي أن يبدو غير متأثر بمعرفة الأستاذ لبيب الواسعة لتفاصيل الصفقة المقترحة؛ وهي تفاصيل لا يمكن الحصول عليها إلا من الحاكم نفسه.

"هل أفهم يا أستاذ لبيب، أنك تقترح - مقابل أجر معقول - أن تستخدم نفوذك لتحاول الحصول على هذا العقد لنا؟"

كان الكولونيل جراي يعرف هؤلاء الوسطاء اللبنانيين. ولكن كان يبدو أن هذا الوسيط بالتحديد غير مدرك أن كل نفوذ العالم لن يكون كافياً لإنقاذ هذه الصفقة.

"لا، لا، أنا لا أبحث عن أجر معقول مقابل محاولة الحصول على العقد لكم، أنا أطلب بنسبة معتدلة مقابل الحصول عليه لكم بالفعل. أنا رجل أعمل فقط مقابل النتائج، كولونيل - لا نتائج، لا نسبة. هل يمكن أن يكون هناك ما هو أكثر عدلاً؟"

أشار الكولونيل إلى أنه من المعروف أن سموه لا يستحسن الوكلاء أو الوسطاء، ويرى أن الأموال التي تدفع لهم هي أموال تدفع من خزائنه هو.

رداً على ذلك نظر الوسيط اللبناني إلى ساعته الذهبية الرقيقة دون إخفاء نفاذ صبره، وهز كتفيه المبطنين جيداً بشكل مسرحي.

"أنت رجل حر، عزيزي الأستاذ. ولكن اسمح لي أن أسألك سؤالاً بسيطاً: لو - كما نعلم - أوضح سموه عدم اهتمامه بتوقيع العقد، ولم يطالب حتى بتخفيضات أخرى في أسعاركم..."

"تخفيضات أخرى؟" قال الكولونيل جراً باستنكار "أية تخفيضات أخرى، وستواجه بإفلاس وطني."

نظر الآخر له بنظرة ضيق لمقاطعته. "لو - كما كنت أقول - لا أمل في توقيع العقد، فماذا ستخسره إذا تعاونت معي؟"

كان هناك - اعترف الكولونيل جراً لنفسه - شيء له معنى في كلام الرجل.

"ماذا عندي لأخسره، أستاذ لبيب؟" سأل وهو يحاول القيام بالمهمة المستحيلة للنظر في عينيه.

"مجرد نصف في المائة - تُدفع بالتناسب مع الدفعات التي يتم سدادها لحكومتكم."

كان من عادة الكولونيل جراي أن تظهر عليه الصدمة عندما يتم ذكر نسب العمولات. حاول نون جدوى أن يحسب المبلغ في ذهنه. "ولكن هذا... هذا..."

"سيعني عمولة قدرها ستمائة وخمسة وستون ألف جنيه - ليس بالمبلغ الكبير عندما يتعلق الأمر بمائة وثلاثة وثلاثين مليوناً. رفع يداً أظافرها مشذبة جيداً عندما بدا أن الكولونيل سيحتج. "نعم، أعرف أنك يجب أن تطلب لندن قبل أن توافق على أي ترتيب." نظر إلى ساعته وأضاف، "يمكنك بالكاد اللحاق بهم - الساعة تقترب من منتصف الليل عندهم."

"ليس هناك أدنى فرصة أن يوافقوا،" قال الكولونيل جراي بنكد. فكرة أن يتصل بالجنرال في هذه الساعة كانت مخيفة - خاصة وأنه لم تكن لديه أخبار سعيدة لإبلاغها. ألن يزيد الأمور سوءاً لنفسه بإعطاء لندن أمالاً كاذبة؟ "على أية حال، أخشى أن الوقت الآن متأخر جداً، فنحن نحتاج للجلوس، ووضع الاتفاق، وأنا مسافر صباح الغد باكراً."

"حتى الآن أنت مسافر، كولونيل، لكن أنا اقترح، بعد كل الجهود الذي بذلته، أن بقاءك ليلة إضافية سيكون مبرراً. بالنسبة للاتفاق، فهو

معى مكتوب على الآلة الكاتبة وجاهز للتوقيع. سترى أنه وفقاً للاتفاق أعطيت نفسى أربع وعشرين ساعة فقط لكى أحصل على توقيع الحاكم على العقد.

استل من جيب صدر سترته مغلفاً طويلاً وأخرج منه صورتين لاتفاق يبدأ بالكلمات: "فى حين أن الأطراف..." .

بعد نصف ساعة، وبمساعدة الأستاذ لبيب-لم تكن مفاجأة أن يكتشف أنه يعرف الرجل المسئول عن المكالمات الدولية - كان الكولونيل مرة أخرى فى غرفته يتحدث إلى جنرال غاضب - والذي : إما أنه قد تم إيقافه من النوم ، أو تمت مقاطعة جهوده لاستدعاء القدر الكافى من القوة من أجل مناوراته الإسيبوعية مع مدام الجنرال. "اطلبنى فى أى وقت نهاراً أو ليلاً، تذكر الكولونيل جراى ما قاله له الجنرال عندما انضم إلى الشركة منذ عدة سنوات - وماذا يكون أكثر أهمية من عقد قيمته مائة وثلاثة وثلاثين مليون جنيه؟.

"يجب أن تفهم أيها الرجل أننا عندما نقول لك إننا لا نستطيع حذف أى فلس آخر من الفاتورة... نعم، أعرف، أعرف، ولكن كل مرة لعينة تقابل فيها صديقك العزيز الحاكم تمنح أكثر وأكثر مزيداً من أموالنا... عزيزى لمن تعمل، له أم لنا؟...

نصف فى المائة إضافية قبل أن تستطيع - مع بعض الحظ - أن تجعله يوقع هذا غير مقبول ؛ فهذا يعنى... يعنى... "استطاع الكولونيل جراى أن يقدم لرئيسه المبلغ بالضبط الذى ستفقدده الحكومة البريطانية

فى حالة خصم نصف فى المائة. "وماذا تعنى "ببعض الحظ؟" هل تريدنا أن نوافق على تقديم نصف فى المائة إضافية ، ومع ذلك نحتاج أيضاً إلى "الحظ" - وأبرزت نبرة صوته الكلمة بشدة - "قبل أن يُسمح لنا بالتوقيع على هذا العقد الكارثة؟" ضغط الكولونيل جراى على أسنانه، وقدم للجنرال المعلومات التى تفيد بأن النسبة المئوية تمثل عمولة وسيط. نتج عن ذلك انفجار من الرئيس. "اسمع ، جراى، أنت دوماً أفهمتنا أن سموه لا يقبل الوسطاء، وأنها البلد الوحيد فى الشرق الأوسط... نعم، أعلم جيداً أننا نتحدث على خط مفتوح ، ولكن هذا ليس الوقت للفت والدوران... حسناً، إذا كنت مضطراً فليكن ، ولكن لا تنتظر أى بساط أحمر عندما تعود... هذا العقد كارثة حقيقية ، وهو كذلك منذ اللحظة الأولى التى وضعت فيها قدمك داخل هذا القصر... حسناً، وقع معه مقابل نصف فى المائة ، وأعطه أربع وعشرين ساعة، وليساعدك الرب - ليساعدنا الرب جميعاً - إذا لم ترجع ومعك العقد..."

بعد أن عاد إلى قاعة الانتظار، سرَّ عندما وجد أن الأستاذ لبيب قد طلب اثنين كوكاكولا إضافيتين.

"أخذت الضوء الأخضر؟ ممتاز".

كان قد بسط الورق على المائدة أمامه. أوماً الكولونيل بتجهم، وأخذ إحدى النسخ ، وقرأها مرتين، ثم تأكد أن الأوراق الأخرى نسخة طبق الأصل . وقع النسختين وسلم إحداهما إلى الأستاذ لبيب - الذى كافأه بابتسامة واسعة.

"غداً - إن شاء الله - ونطق الكلمة بالعربية المكسورة من أجل الكولونيل - سيكون معك العقد الموقع من سموه ."

"سأصدق ذلك عندما أراه." فجأة قام واقفاً، بعد أن عاوده النشاط. "عذراً، أستاذ لبيب، يجب أن أستأذن منك هذه الليلة. كما ترى، على أن أقوم بالترتيبات اللازمة للاحتفاظ بغرفتي، وأيضاً لإلغاء رحلتي غداً." "لا توجد مشكلة، كولونيل. كل شيء تم ترتيبه ."

صباح اليوم التالي تم استدعاؤه في القصر حيث قابله الحاكم بدمائة غير معهودة. وكان تغيير الرأي بين ليلة وضحاها من أكثر الأمور اعتيادا في العالم، قام سموه بالتوقيع على مجلد الصفحات السميك والذي شكل العقد بينه وبين وزارة الدفاع البريطانية. عند عودته إلى الفندق، أرسل الكولونيل جراي فاكساً إلى لندن: "الصفقة تمت. أطيير إلى أثينا غداً ، ومن ثمه إلى لندن يوم الجمعة. تحياتي جراي ."

رغم أن وجوده في أثينا لم يكن بأية حال من الأحوال ضرورياً - كان قد غرس في مكتبه فكرة أن أثينا قد أخذت مكان بيروت - باعتبارها المكان الذي تتم فيه الاتصالات - كان يستمتع بقضاء ليلة أو اثنتين في الهيلتون. لم يكن على أية حال مستعجلاً للعودة إلى مكتبه، وقضاء عطلة نهاية الأسبوع هادئة في منزله سيساعده على التفكير في الخط الذي سيتخذه مع الجنرال يوم الإثنين.

رغم أن حرارة الطقس لا تقل سوى درجة أو درجتين عن الخليج العربي، إلا أن أثينا كانت تختلف من نواح كثيرة بشكل أفضل. خلال الرحلة الطويلة من المطار حدد كيف سيمضي مساءه: سيأخذ حماماً، يقص شعره (يمكن أن تضاف التكلفة إلى فاتورته)، ثم سيذهب إلى أحد البارات ويتناول قندحاً من الفودكا مع عصير الطماطم الممتاز، أو ربما اثنين، ثم يذهب إلى أحد المطاعم المحلية حيث يعزفون موسيقى البوزوكي، ويرقصون ويكسرون الأطباق.

لم يكد يدخل إلى البار، ويرحب به النادل حتى تعرف عليه جيري واجستاف - جونز، واحد من العاملين في المجال، ولم يكن يحمل له محبة كبيرة. جونز، كما كان يفضل أن يسميه، كان جالساً وحده، وكان من الغلظة عدم الانضمام إليه. كان واجستاف - جونز ممثل شركة بلجيكية في الشرق الأوسط تصنع أجهزة رؤية ليلية من نوع رديء، ويفضل الرشاوى الضخمة، استطاع أن يبيع منها كميات هائلة في العالم العربي كأنها أصبحت سلعة لا يجوز لأية أسرة محترمة أن تعيش بدونها.

السبب الذي جعله لا يميل لواجستاف - جونز هو ما قيل إنه تحدث مرة عن مسئولى مبيعات وزارة الدفاع قائلاً بأن ليس في جعبتهم إلا حيل خائبة، ولم يوقف ذلك الكولونيل عن إخراج ما لديه من حيل.

قال الكولونيل جرای إنه يود أن يشرب الفودكا مع عصير الطماطم، وقال للنادل أن يحرص على أن يضيف إليها كمية وفيرة من الفلفل.

"كيف حال الشغل؟" سأل جيرى واجستاف - جونز - والذي كان يشرب ويسكى مالت بالتلج.

"لا مشاكل. وأنت؟"

"ليس هناك من وضع أفضل،" رد واجستاف - جونز، وهو يأخذ ملء يده من الفستق فى الصحن الموجود أمامهما.

سأله واجستاف - جونز: "وصلت لتوك؟"

رد الكولونيل: "منذ ساعتين".

"من الخليج؟" تساعل واجستاف-جونز.

"القاهرة،" قال الكولونيل الذى لا يؤمن بالكشف عن تحركاته. عندما رأى واجستاف - جونز يفتح فمه لي طرح سؤالاً آخر أضاف: "من الظريف العودة إلى أثينا."

"أناس ممتازون هؤلاء اليونانيون،" قال واجستاف - جونز. "الطعام أفضل هنا أيضاً."

"هذا صحيح،" قال الكولونيل وهو يقبض الفستق بملء يده ، ويرفع كوب الفودكا بعصير الطماطم من على صينية النادل إلى فمه مباشرة.

طلب واجستاف -جونز لنفسه مشروباً آخر، ثم أشار للكولونيل للاقتراب: "سمعت تلك النكتة عن اليانكى ؛ الذين أرادوا إرسال شخص فى رحلة إلى كوكب المشترى"

"لا،" رد الكولونيل ؛ الذى كان يأمل أن يحكى عن تلك التى تتناول الأيرلندى الذى عرج كلبه.



"حسناً، اليانكي كانوا قد جهزوا سفينة فضائية للذهاب إلى المشتري، ولكنهم رأوا أن الرحلة خطيرة جداً بالنسبة لأفرادهم ؛ لذلك طلبوا متطوعين. وقد تقدم إنجليزى وفرنسى ولبنانى، وعندما سئل الإنجليزى عن المبلغ الذى يريده قال مليون..."

"مليون دولار؟" سأل الكولونيل .

"تولار...جنيه،" قال واجستاف - جونز وهو منزعج من المقاطعة. "عندما سأله اليانكي لماذا يريد هذا المبلغ الكبير، قال الإنجليزى إنه يرى أن فرصته فى العودة ليست جيدة ، وهو يريد أن يوفر مصدر إعالة لزوجته . عندما سألوا الفرنسى كم يريد قال مليونان، وسأل اليانكي لماذا مليونان، ورد الفرنسى بأنه يرى أن فرصته فى العودة حياً ليست جيدة ، ولديه زوجة وعشيقة يريد أن يعولهما - مليون لكل واحدة ."

"و الرجل الثالث، اللبناى؟" ألح الكولونيل، وهو يحاول أن يتذكر جاهداً حبكة قصة الأيرلندى والكلب الأعرج .

"ويدخل المتقدم الثالث، اللبناى. عندما يتم سؤاله كم يريد مقابل سفره إلى المشتري، قال "ثلاثة ملايين". "ثلاثة ملايين"، رد اليانكى، "وكيف وصلت إلى هذا المبلغ؟" "حسناً"، قال اللبناى، "نحن نحتاج مليون للإنجليزى - الذى سيذهب على متن المركبة الفضائية، ثم مليون لى ، ومليون لكم". واحذر من فاز بالعقد؟ اللبناى! "وكاد وجستاف - جونز أن يختنق وهو يضحك ، ويحاول ابتلاع حبة فستق فى نفس الوقت ."

كان الكولونيل جراى يصب ما تبقى من القدر الأول فى الثانى الذى وصل لتوه عندما لاحظ شخصاً واقفاً عند مدخل البار يفحص الموائد المختلفة. انتابه الفزع عندما تعرف على سعد لبيب ؛ والذى - كما تبين له - كان يجلس فى مقدمة الدرجة الأولى على نفس الطائرة. إذا كان هناك شىء يخيف رجل مبيعات سلاح ، فهو مقابلة أحد مصادره وهو فى صحبة رجل مبيعات سلاح آخر. وهو يشحذ تفكيره حول كيفية تقديم سعد لبيب إذا احتاج الأمر، أو لو تظاهر بأنه تعرف عليه بالخطأ على اعتباره شخصاً آخر، شاهد الكولونيل بارتياح اللبناى وهو يتخطى مائدتهم ، ويذهب إلى البار. شرب بعمق لحظة السعيد ( أم كان الأمر حذراً من الوسيط؟)، ثم سمع رفيقه يقول: "أنت تعرف سعد طبعاً؟"

نظر إلى أعلى بإبهام و، حدق بعينه نصف مغمضتين ناحية ظهر سعد لبيب وقال: "لا أستطيع أن أقول إننى أعرفه".

"و لكنك يجب أن تعرفه،" احتج واجستاف - جونز ، "الرجل اللبناى الذى كان يعمل من بيروت. يمكن أن تجده دائماً عند البار فى الفاندوم. عميل كفاء جدا - من النوع الذى يمكنه الحصول على المليون دون الاقتراب من سفينة الفضاء".

"ليس فى مجال عملنا، أليس كذلك؟".

"ليس تماماً. الصديق سعد لا يعرف الفرق ما بين جهاز راصد للحرارة ، وسجادة طائرة." ضحك واجستاف-جونز على نكته ؛ وهو أسلوب موثوق فيه كان يستخدمه للتأثير على أناس عديدين.  
"حقاً؟"

"لكن هذا لا يمنعه من جنى أموال كثيرة من وراء السلاح، أو أى شىء آخر، وكل فلس يحققه فى-" وذكر اسم المشيخة التى جاء منها الكولونيل جراى لتوه.

"صحيح؟" قال الكولونيل جراى متظاهراً باللامبالاة.

"هو وسموه لديهما لعبة صغيرة وعظيمة يقومان بها من حين لآخر. إذا كانت هناك صفقة سيتم إبرامها قريباً، يتصل الحاكم بأثينا ، ويقوم بإحضار سعد على أول طائرة. فى غضون ذلك يكون سموه يمارس لعبته مع وكيل مسكين قارب أن يفقد صوابه من كثرة مطالبه بتقليص من هنا ومن هناك..."

تجرع الكولونيل جراى جرعة كبيرة من قدحه.

"عندما يرى سموه أنه قد خفض كل شىء إلى أقصى حد ممكن ، والوكيل المسكين يسافر جيئةً وذهاباً إلى المملكة المتحدة - أو أى مكان آخر- ويتراجع حظوته مع رئيسه فى بلده، يطلب سموه فجأة أن يقابله سريعاً. الجميع يفترضون أن العقد أخيراً سيتم توقيعه، ويصعد الوكيل

سلام القصر قفزاً، ليجد أن سموه يبلغه أنه قرر في نهاية الأمر أنه لا يريد الأشياء. إذا قدم الوكيل في يأس تخفيضاً آخر في الأسعار، يتظاهر سموه بالموافقة، ولكنه يرفض مرة أخرى التوقيع على الخط المنقط. في هذه المرحلة من الأحداث يدخل صديقنا سعد لبیب بدرعه الذهبی وهالة متضخمة حول رأسه. يقدم وعداً بأنه سينقذ الوضع مقابل عمولة متواضعة، لأنه بالطبع لم يعد يبقى الآن لحم كثير على العظام.

و لكنه على الأقل يبرم صفقة كان يمكن أن تضيع" قال الكولونيل بلامبالاة مدروسة.

آه، هو يبرم الصفقة بالفعل لأن الصفقة كانت مؤكدة على أية حال. فبحلول هذه اللحظة يكون الحاكم قد قرر أن يمضى قدماً بالصفقة. بعد أن يكون قد نجح في تخفيض كل فلس ممكن يدخل الصديق سعد إلى اللعبة. من وجهة نظرهم ليس هناك ما يمكن خسارته. إذا نجح سعد مع شخص غبي للحصول على ربع في المائة؛ فهذا ممتاز وهو والحاكم يقتسمان العمولة - ولسعد طريقه في رد هذه الجمایل الصغيرة. إذا رفض الوكيل اللعب؛ فالحاكم يمضى قدماً على أية حال، ويوقع العقد كما هو، وهو وسعد يجربان لعبتهما في صفقة أخرى.

بلغ الكولونيل كأسه، وأشار لنادل كان يمر بقريهما: "نفس الطلب."

أحس الكولونيل جرای أن ذهنه لم يكن حاداً بالقدر الكافي لكي يستوعب ما قيل له. متحدثاً ببطء وبغلظة أكثر مما كان يود، أعاد باختصار قائلاً:

"ما تقوله هو إنه عندما يظهر صديقنا (الجالس هناك) في الأفق؛  
فهذه علامة على أن سموه على وشك التوقيع على الخط المنقط. كل ما  
عليك أن تفعله هو أن تلعب برباطة جأش مع سموه ، وأن ترفض تملق  
صديقنا ، وتوفر على نفسك عمولته"

وافق واجستاف -جونز وهو يغرف ما تبقى من الفستق قائلاً:  
"باختصار أنت على حق يا عزيزي".

( ٦ )

## بريتشارد

رن جرس التليفون ، وسأل صوت مرتعش عما إذا كنت أنا الذي  
أرد أو لا . قلت ، "أنا المتحدث" ، وانتظرت .

بعد تردد قال المتكلم لى أن اسمه بريتشارد ، وأن مدرسة  
الدراسات الشرقية والأفريقية أعطته اسمى باعتبارى شخصاً يعطى  
دروساً فى اللغة العربية .

قلت : "كان هذا منذ وقت مضى" .

الآن أرى أن التعليم من أقل سبل العيش المجزية مادياً .

"آه، كنت أمل... قرأت مؤخراً مقالتك حول القصة القصيرة العربية  
وكنت أود جداً..."

لأنه لم يكمل حديثه كنت مضطراً لملء الصمت، فسألته عن المستوى  
الذى وصل إليه .

قال: "آه، أنا فقط هاو متحمس. أستطيع قراءة جريدة بصعوبة وبمساعدة قاموس-استخدم "فير" ، لعلك توافق أنه أفضل الموجود- ولكنني كثيراً ما أصادف عبارات ، أو جملاً بأكملها يصعب علي فهمها..." كان من عادته أن يقف فجأة في منتصف الجملة ويحمل محدثه عبء إكمال الحوار. وقبل أن أمعن التفكير كنت قد اتفقت معه على سعر الساعة لدرسين في الإِسبوع، يوماً الإثنين والخميس، بدءاً من الإثنين القادم.

لم أكد أضع سماعة التليفون حتى ندمت على رضوخي.

عندما ظهر الأستاذ بريتشارد عند باب الشقة يوم الإثنين في الساعة السادسة. كان يبدو مسناً أكثر مما أوحى صوته على التليفون. كانت شقتي في الدور الثاني ، ولم يكن هناك مصعد، وعندما فتحت الباب بدا كشخص على وشك أن يتهاوى نتيجة إجهاده لنفسه بشكل زائد.

قال وهو يلهث معرقاً بنفسه: "بريتشارد"، ومد يداً كالمخبط. "إنه من بالغ لطفك أن توافق علي إعطائي دروساً،" وأضاف في نفس واحد وهو يسقط في الكرسي . "و أرجو ألا أكون قد ألححت عليك أكثر مما ينبغي."

غمغمت رداً عليه، وجلست في الكرسي الآخر الذي كانت بجواره مائدة صغيرة كنت قد رتبت عليها مجموعة من الكتب العربية وجريدة حديثة. نظرت نحو تلميذي ، وخنمت أنه في أواخر السبعينات أو حتى أوائل الثمانينات. رغم طوله وبنيته القوية، كان مظهره يوحي بهشاشة

بالغة ؛ حيث بدا جلده وكأنه مشدود بشكل زائد عبر المساحة الواقعة بين كل عظمة وأخرى.

تعجبت للجهد الذي كان عليه أن يبذله لكي يأتى عبر لندن من الفندق الواقع عند "كرومويل روود" حيث قال لى إنه يعيش.

و كأنه يقرأ أفكارى قال. " عندما أخرج من حصن فندقى هذه الأيام استخدم خدمة سيارات الأجرة الممتازة فى لندن. إنها رفاهية صغيرة أسمح بها لنفسى-تنازل مقابل تقدمى فى العمر... يا لها من عبارة سخيفة، "تقدم العمر" وكأن السنين يمكن أن تتراجع!"

ضحكنا نحن الاثنين ، ثم أعطيته الجريدة وطلبت منه أن يقرأ بصوت عال الفقرة التى كنت قد علمت عليها. بهذه الطريقة كنت سأستطيع أن أحدد سريعاً مدى معرفته للغة. فوجئت بدقة قراءته، وقدرته حتى على القراءة الصحيحة لحركات الإعراب فى نهاية الكلمات. لكن تلفظه غير الواضح كان أكثر ظهوراً عندما تحدث بالعربية ، وكان من الصعب على أن أتابعه . توقف من تلقاء نفسه وأنزل الجريدة.

قال لى. "منذ عام أو عامين أصبت بجلطة غير خطيرة ، وعلى أثرها أصبح نطق بعض الحروف العربية أكثر صعوبة بالنسبة لى، ولكن هذا لا يعنى أنتى نجحت أصلاً فى نطق كثير منها."

قلت وأنا أحاول ألا أبوء متفضلاً: "لديك تمكن جيد جداً فى اللغة".

"لا، أنا مدرك تماماً للثغرات فى إدراكى. على أية حال، ألا يقول العرب إن الكمال لله وحده؟"



قلت: "هذا صحيح".

"كما ترى، لم أحظ بتعلم اللغة في الجامعة أو إجادتها.

إنها لغة صعبة للغاية لمن يحاول تعلمها وحده ، كما حاولت أنا خلال الأعوام القليلة الماضية. أثناء خدمتي في السودان كان مطلوباً منا تعلم ما يكفي لنتدبر أمرنا، بل كان علينا أن نختار سلسلة من الامتحانات قبل الحصول على الترقية، لكن لم يكن هناك تشجيع كثير ، أو حتى وقت للتمكن من تفاصيل ودقائق اللغة الفصحى."

ثم حكى لي أنه كان لديه كاتب اسمه عبده إبراهيم ، كان شديد الإعجاب بالشاعر أبي نواس، الشهير بأشعاره التي تمتدح النبيذ. كان يبدو أن عبده إبراهيم اعتاد أن يشبع حبه ورغبته في الخمر ، وكان الأستاذ بريتشارد كثيراً ما يتغاضى عن وصوله للعمل في حالة يرثى لها.

مال إلى الورااء في كرسيه مغمضاً عينيه وألقى بلغة عربية جهيرة بيت أبي نواس الشهير الذي يقول.

"دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء."  
"هذا هو الشعر!" قال بحماس، ثم أضاف: "حاولت مؤخراً قراءة بعض ما يسمى بالشعر الحديث.

وجدت صعوبة في فهمه، وما فهمته لم يترك لدى انطباعاً يذكر".

قلت إننى أوافقك الرأي، ثم تذكرت أنتى أنا المدرس ، وأن الدرس قد أفلت من بين أيدينا، بل لم يكد يبدأ بعد ، والساعة قد قاربت على الانتهاء. عقدت العزم على أن نبدأ العمل بجدية فى الدرس المقبل، وعرفت منه أنه لا يعرف السيرة الذاتية الممتعة للأديب المصرى طه حسين ؛ ولذلك أبلغته أننا سنقرأ معاً الجزء الأول من الأيام؛ وهو الجزء الذى يتناول طفولته فى قرية من صعيد مصر. كان على مستر بريتشارد أن يعد عدة صفحات ثم ندرسها خلال الحصة. قلت له إن الكتاب يمكن الحصول عليه من أحد محلات شارع "جريت راسيل".

رغم أن تقدمنا اللاحق فى سيرة طه حسين الذاتية كان بطيئاً، إلا أن كلينا - على ما أعتقد - استمتع بالتجربة. تخلت القراءة أسئلة عديدة من المستر بريتشارد حول دقائق النحو ، وحول الأسلوب الخاص، المميز بترداده الجذاب للأديب الكفيف، وحول تفاصيل حياة الرجل العظيم اللاحقة وكتابات الأخرى. بدأت أدرك أن الدروس بالنسبة لتلميذى كانت تعنى أكثر من مجرد الإضافة إلى مخزونه اللغوى: كانت تمثل علامة بارزة خلال إسبوعه الخالى من الأحداث الهامة.

كان شديد الحرص والدقة ألا يأخذ من وقتى أكثر من الساعة المحددة، وكان يأتى ومعه مغلّف به المبلغ المتفق عليه بالضبط، يتركه على المائدة قبل أن ينهض للانصراف.

ثم فى إحدى الأمسيات بعد أن انقضت الساعة، سألته إذا كان يحب أن يشرب قهوة، فنجان من القهوة التركى. أشرقت عيناه "هل لديك كئكة؟"

"نعم عندي كنكة؟"

"و من أين استطعت أن تشتري هذا النوع الخاص من البن؟"

قلت له إن هناك عدة أماكن في "سوهو" وغيرها .

رشف قهوته بسعادة بالغة. قال: "تعيدني إلى الماضي،" ومرت ظلال عبر وجهه المتعب. ظننت للحظة أنه سيستغرق في الذكريات ، ولكن يبدو أنه كبح نفسه. حين لمحت أن القهوة لاتزال ساخنة مما لا يسمح بشربها إلا في رشقات، سألته إذا كان يتذكر المصطلحات التي تحدد درجات الحلاوة المختلفة عند طلب تقديم القهوة. من الواضح أنه وجد متعة بالغة في حرث ذاكرته بحثاً عن الكلمات المختلفة.

"و بالنسبة للقهوة الخالية من السكر تماماً؟"

تردد ثم قال متنعراً: "سادة،" وجذب نفسه وقام واقفاً ، واعتذر عما أخذه من وقتي ووضع المغلف الجاهز بجانب فنجان القهوة.

مع استمرار الدروس حرصت أن أخصص ربع الساعة الأخيرة لنتناول القهوة معاً. أحياناً، وربما بسبب مسألة لغوية تمت إثارتها، كنت أسأله عن بعض مظاهر الحياة في السودان ، وكان يحكى - بشكل أقرب إلى الاعتذار، إحدى النوادر ، التي كان يتذكرها. "كان الواحد يشعر في تلك الأيام أنه في قلب الحياة،" علق في إحدى المرات "وليس...ليس...". ويسبب غياب الكلمات ، أو بسبب عدم رغبته في

إزعاج نفسه (أو إزعاجي)، اكتفى بقبض يديه الكبيرتين أمامه في إيماءة تعبر عن النهاية المؤلمة.

مع الوقت بدأت أشعر بأننى أُدفع بمكر للقيام بدور أكثر وأكثر أهمية فى حياته القاحلة، دور لم أكن راغباً ولم أكن مؤهلاً للقيام به. فى الوقت ذاته ، شعرت بمحبة متزايدة تجاه الرجل العجوز؛ والذي - كما كنت أقول لنفسى، إلى جانب كونه يكبرنى بعدة أجيال، كان مختلفاً عنى تماماً.

كنا فى منتصف المسافة من الجزء الأول لسيرة طه حسين الذاتية عندما قال فجأة، وهو يشرب قهوته بعد الدرس: "أتذكر فى إحدى المرات صديقاً سودانياً قال لى إنه إذا لم يكن قد ولد سودانياً، فإنه كان يود أن يكون إنجليزياً. كان رجلاً استثنائياً - شخص مثل طه حسين، صعد من أصول متواضعة و اعتبرت ذلك إطرأً كبيراً لنا. أجبته بالمثل: إننى إذا لم أكن إنجليزياً كنت سأختار أن أكون سودانياً. هذا لم يكن إطرأً فارغاً منى. كنت أعنى ما قلته... أنا فعلاً أحببتهم وأعجبت بهم بشكل كبير جداً. كنت أرى دائماً أنه من المؤسف أنهم والإنجليز لم ينجحوا فى التقارب من بعضهما البعض بعد أن رحلنا".

أخرج بعض تفل القهوة من فمه بإصبعه ومسحه على جانب صحن الفنجان.

إذا كنت أملك أى قدر من الشجاعة و أعنى الشجاعة الحقيقية، وليس فقط تلك التى يعطون الأوسمة مقابلها - كنت قد بقيت فى

السودان. ففي نهاية الأمر، أكون هناك حيث يوجد قلبي... فبدلاً من أن أكون متقاعدًا ، وأتحول إلى رجل عجوز مما أنهى حياتي في فندق في شارع "كرومويل" حيث لا يوجد سوى لعبة البريدج والنميمة، كان على أن أترك الخدمة وأشتري لنفسى عدة أفدنه ومنزلاً ريفياً صغيراً في مكان ما... كان يمكننى حينذاك أن أجد لنفسى فاطمة أو زينب ، حسنة القوام-و إذا كان ذلك يعنى أن أكون مسلماً، فما الضرر في ذلك؟ يمكننى أن أتصور أشياء أسوأ بكثير من أكون مسلماً يخاف الله ويستيقظ مع الفجر لأداء أولى صلوات اليوم."

نظر لى نظرة رجل لرجل من تحت حواجبه الكثيفة. "لا شك أن فاطمتى هذه كانت ستدفعنى إلى القبر مبكراً -فالنساء السودانيات مشهورات بشهوتهن - ولكن لا معنى لقياس الحياة بالسنوات... الحقيقة المحزنة هى أن الواحد يمكنه أن يعيش أكثر من اللازم... يمكنه أن يعمر أكثر مما ينبغى."

اختلفت نظرة لى إلى ساعتى ، فتبينت أننا تخطينا وقتنا بعشر دقائق. خطر لى أنه نادراً ما يتحدث بهذه الصراحة لأى شخص، وأنه بعد أن تغلب على تردده الطبيعى للحديث عن نفسه كان يود أن يستمر. من ناحيتى كان يتبدى لى جانب آخر من الرجل العجوز، وشعرت أن الوقت الذى أقضيه فى الاستماع إليه لم يكن وقتاً ضائعاً.

قلت: "لا يبدو هذا لائقاً بموظف إنجليزى يخدم فى السودان."

قال بتحمس: "آه، الإنجليز كانوا سيكرهون ذلك منى تماماً! كانوا سيقولون فى نواديهم المختلفة: "المسكين بريتشارد أصبح مثل السكان

المحليين". ولكن ماذا كان يمكنهم أن يفعلوا؟ لا شيء . وإذا كان هذا ما كنت أريد أن افعله ببقية حياتي، فكان على أن أقدم وأفعله...أغلبنا يخاف بشكل زائد مما سيقوله الآخرون ؛ وهو ما يمنعنا من القيام بشيء يعتبر غير مألوف. وهذا الجبن - كل جبن - يُدفع ثمنه غالباً .

حدّق أمامه على نحو حالم للحظات، غافلاً على ما يبدو عن وجودي، ثم قام واقفاً وانصرف ليبحث عن تاكسي.

في أحد الأيام، وأنا أبحث في أرفف كتبى، وجدت نسختين من كتاب مدرسى صغير بالعربية - كنت قد أعدته ، وطبعته في القاهرة منذ سنوات عديدة مضت.

قلت له في نهاية الدرس اللاحق وأنا اقدم له الكتاب: "فكرت أنك ربما تود أن تكون لك نسخة".

أخذه بشكل يكاد يتسم بالتبجيل. "هل أنت متأكد أنه يمكنك الاستغناء عنه؟" نظر إلى الصفحة التي بها العنوان مضيئاً. "هل يمكنك كتابة شيء فيها؟"

لم يدر بخلدى احتمال أن يطلب منى هذا الطلب، ومكثت للحظات حائراً فيما أقول. ثم استعرت قلمه وكتبت:

"إلى مستر بريتشارد، اعتزازاً بالصدّاقة." ووقعته وأضفت التاريخ.

قرأ ما كتبته وابتسم. "هذا لطيف منك جداً. سأعتر به."

قام واقفاً وشد على يدي.

قلت: "إلى يوم الإثنين".

"إن شاء الله،" أجاب بطريقة دقة المسلم التقى الذي يتحاشى الحديث عن أى شىء فى المستقبل دون إضافة هذه العبارة.

تجاوبت معه قائلاً: "إن شاء الله".

لكن الله لم يشأ أن يكون بيننا درس آخر. فى يوم الإثنين، قبل السادسة بقليل، رن التليفون وأبلغتني امرأة أنها مديرة فندق كنجزلى، وقالت إن السير هيو بريتشارد قبل أن ينقل إلى المستشفى مصاباً بأزمة قلبية طلب منها أن تتصل بى لتبلغنى أنه لن يستطيع الاستمرار فى الدروس. ثم أضافت: "يؤسفنى أن أبلغك أن السير هيو توفى داخل عربة الإسعاف وهو فى طريقه إلى المستشفى. سيفتقد جميع العاملين هنا هذا الجنتلمان العجوز."

أفسحت له جريدة التايمز مكاناً بارزاً فى عمود الوفيات. بعد تفصيل حياته المهنية البارزة، ختمت بذكر أن زوجته توفيت منذ سنوات عديدة مضت فى ظروف مأساوية" وأن ابنه الوحيد قتل فى معركة بشمال أفريقيا. ومع ذلك أعتقد أن عدداً قليلاً من الناس حضروا جنازته. وباعتبارى أفضل صديق له عند وفاته - كما أعتقد - كان المفروض أن أبذل جهداً للحضور.

( ٧ )

## فتاة القمامة

من حين إلى آخر كنت أرفع عيني من على الآلة الكاتبة، وأنظر إلى أسفل من خلال تشابك الأغصان العارية ، والتي ستحمل فيما بعد خلال الصيف سجادة قرمزية من زهور شجرة البونسيانا .

على بعد عدة أقدام فوق المباني الشاهقة ، التي كانت تصطف على طول ضفاف النيل تعلقت طبقة من ضباب التلوث رمادية اللون ، مكونة قبة ضخمة كانت بمثابة أداة تخفيف لأشعة الشمس .

في كل مرة - حينما لم يكن هناك ما يدل على وجود هذه البنت، كنت أعود إلى عملي، لكن ذهني لم يكن مركزاً عليه إلا نصف تركيز. كانت هذه هي الفترة من اليوم - منتصف النهار- التي تظهر فيها هي وأخوها الصغير ، والعربة التي تجرها الحمير، وإن كانوا أحياناً يغيبون يوماً - ليس بالضرورة يوم جمعة المسلمين ، أو يوم أحد المسيحيين . ثم فجأة ، رن صوت جرس الباب.



قمت من مكاني وهناك على مبعده، أربعة طوابق إلى أسفل، رأيت العربية المتهالكة بحماريها الاثنين المليئين بالقروح. كانوا قرب نهاية جولتهم ، والعربة قاربت على الامتلاء بالقمامة. كانت تحيطها حلقة من القلط التي تعاركت فيما بينها وهي تدفع أطرافها بحذر شديد في القذارة وأحياناً تنجح في إخراج شيء ما بين مخالبيها لتأكله. كنت أرى أخاها الأصغر، والسلة تتدلى على كتفه ، وتكاد تحتك بالأرض، وهو قادم من الفيلا الكبيرة أمامنا تاركاً وراءه ذيلاً من أوراق الخس والقطن المتسخ.

وقفت عند الباب ، وسلتها نصف المملوءة عند قدميها. لمحت المنديل المتسخ حول رأسها ؛ والذي كان قطعة باتيك اشتريتها مرة في بانكوك وأعطيته لها. ابتسمت لي بفمها المضموم. كانت في الرابعة عشر أو ربما أقل، ولكن بالمعايير الغربية لم تعد طفلة. عيناها الكبيرتان الجميلتان كانتا تطالبان بأن ينظر إليها كامرأة - امرأة استطاعت أن تبدو بشكل ما منفصلة عن القذارة التي كانت تعمل بها. كانت طويلة ونحيلة ، وكانت لها طريقة في المشي تعمل على إبراز ثديين نباتاً حديثاً ويضغطان على صدر الجلابية الملطخة. تحتها كانت عارية تماماً كما ولدتها أمها، ففي إحدى المرات انحنت لكي تلتقط قشرتي بيض كانتا قد وقعتا عن سلتها، وظل منظر فخذيها حنطى اللون ومؤخرتها عالقاً في ذهني.

"شوف رجلى،" سمعتها تقول وأنزلت عيني عن صدرها إلى قدميها. رفعت قدماً واحدة ورأيتها ملفوفة بخرقه متسخة. قطعة

زجاج جرحتنى،" قالت لى موضحة وهى تزيح الخرقة جانباً لكى أرى الجرح العميق فى مشط قدمها .

قلت لها أن تعتنى به، أنه ليس معى شىء لتضميده ، ولكن عليها أن تجد مطهراً . ابتعدت عنها ، وبحثت فى جيبى عن نقود . قلت لها : "أذهبى إلى الصيدلى بعد الميدان ، وسيعطيك شيئاً للجرح."

"كانت قطعة زجاج،" قالت لى مرة أخرى وهى تأخذ الورقة النقدية ثم تذكرت أننى كنت قد ادخرت بعض الحلوى لها، فعدت إلى غرفة المعيشة وأحضرتها . أخذتها بدون حماس ؛ كانت تعرف ما هى : الحلوى التى يعطيها البقالون فى القاهرة بدلا من الفكة ؛ لأن القروش أصبحت - بفعل التضخم - تساوى كمعدن أكثر من قيمتها الاسمية . بعض مليونيرات القاهرة الجدد ذوو الوجوه الجامدة - يحصلون على الأموال التى يبتاعون بها قمصانهم الحريرية ، وأحذيتهم الإيطالية ذات الطرف المدبب عن طريق إزابة هذه العملات المعدنية القديمة . كان البقالون يعطونك الفكة فى شكل عُلب ثقاب أو حلوى، ومنذ أن عرفت "سهى" بدأت أخذ فكتى فى شكل حلوى .

قلت لها مرة أخرى: " احرصى على قدمك"، ثم أضفت: "يجب أن تلبسى حذاء".

نظرت لى نظرة تقول سألبس حذاء عندما يقوم شخص مثلك بإعطائى زوجاً من الأحذية.

"يوما ما - إن شاء الله - سأعطيك نقوداً لتشتري زوجاً من الأحذية."

سألت: "أليس عندك حذاءً قديماً ، حذاء لا تريده؟"

قلت: "سيكون كبيراً جداً عليك".

قالت وهي تضحك: "أفضل من أن يكون صغيراً عن اللازم".

تذكرت الحذاء القماش الذي بدأ يتآكل عند الأصابع. سيكون مقاسه ضعف مقاس قدمها ولكن يمكنها أن تخطو فيه وسيوفر لها قدرًا من الحماية. أخرجته من قاع الدولاب في غرفة النوم وأعطيته لها.

تفحصته ووضعت إصبعها في الثقب مكان أحد أصابع القدم وكأنها تشير أن هذا لا يعفني بشكل من الأشكال من وعدى بإعطائها نقوداً لشراء حذاء جديد.

قالت "شكراً" ، ووضعت فوق قمامتي.

"هل تمرين غداً؟"

قالت: "إن شاء الله". ابتسمت لي ابتسامة بدت كأنها تسحبني عميقاً إلى داخل مجرى عيونها.

قلت "إن شاء الله" ، وأغلقت الباب وراعتها.

وقفت في الشرفة وشاهدتها وهي تفرغ قمامتي وقمامة الجيران داخل العربة. والعربة تسير في الشارع وتدور لتدخل الميدان، قفزت القلط عنها بعد أن وجدت نفسها في أرض غريبة. عدت إلى الآلة الكاتبة ، وحاولت الاستمرار في الموضوع الذي كان يجب أن أنجزه في

موعد نهائي محدد. بدلاً من ذلك قرأت الجملة الأخيرة، ثم استرحت وأشعلت سيجارة وفكرت أنه في يوم ما يجب أن اكتب تحقيقاً صحفياً حول جامعى القمامة فى القاهرة ومئات العربات التى تجرها الحمير والتى كانت تجمع القمامة ثم تلقيها على جانبى الأحياء العشوائية عند أطراف المدينة. لسنوات والحكومة تفكر فى إدخال عربات القمامة الحديثة ، وإعادة تدوير القمامة - كما يحدث فى الحواضر الأخرى - ولكن الحسابات كانت دائماً غير مجدية. فكيف يمكنك التنافس مع قبيلة من الرجال والأطفال يجمعون قمامة المدينة مقابل بقشيش بسيط من أصحاب المنازل؟ كانوا يقودون عرباتهم من تلال المقطم ، ومن أكوامهم القذرة المبنية حول تلال القمامة. إذا كنت فى طريقك إلى المطار وطلبت من التاكسى أن يسلك طريق صلاح سالم، ماراً بالقلعة وجامع محمد على، فيمكنك أن ترى الحمير الصغيرة المنهكة وهى تكدح لتصعد المنحدر الحاد قبل أن تستدير إلى داخل تلال المقطم. هناك كان جامعو القمامة يقومون بفرز قمامة القاهرة ، وإطعام جزء منها للخنازير التى يربونها؛ كان يقال إن جميعهم من الأقباط ، فلن يجرؤ أى مسلم على الاقتراب من خنزير سواء كان ميتاً أو حياً. كان يقال أيضاً إن الشخص الذى لا يعرف أوضاع تربية الخنازير ، وما يتم إطعامها به هو الوحيد الذى يمكن أن يفكر فى أكل لحم الخنزير فى القاهرة. كان جامعو القمامة يثيرون تعاطف مجتمع الأجانب، ومنذ بضعة أيام كان هناك موضوع فى الجريدة الإنجليزية حول زيارة زوجة السفير لهم ، وأن هناك شخصية مماثلة للأم تريزا تكرر لهم حياتها. كل أصدقائى

المصريين قالوا إنهم لا يستحقون أية مساعدة ؛ لأنهم يتدبرون أمرهم جيداً عن طريق الاحتكار الغريب الذي يمارسونه. ربما يحتوى الأمر على موضوع جدير بالتحقيق، وربما أقوم يوماً ما بالذهاب إلى تلال المقطم وأرى الأمر بنفسى. وربما يمكننى ترتيب زيارة لسهى وعائلتها هناك.

هل يمكن لرجل ناضج بما فيه الكفاية، وصل إلى ما يسمى تلطيفاً بمنتصف العمر، أن يقع فى غرام جامعة قمامة فى الرابعة عشر من عمرها؟ هل يمكن أن يسمى ذلك حباً؟ كثير من الناس سيعتبرون هذا الإحساس غير طبيعى انحراف - ولكنهم مخطئون. لكن ربما يجب ألا نسميه حباً، فهو إحساس أكثر إقلاقاً من ذلك، إحساس لم يطلق عليه اسم بعد. ربما أن نوعاً خاصاً فقط من الناس معرض لهذا النوع من الإحساس. يمكن لرجل أن يعيش مع امرأة كل سنوات حياته، قد تتعدد علاقاته الغرامية، ورغم ذلك قد لا يعرف أبداً هذا الألم اليأس الذى يربط ما بين القلب والجسد. لهؤلاء المعرضين لهذه اللعنة، كم مرة يمكن أن تتكرر فى العمر؟ بالنسبة لى حدثت ثلاث مرات مرة مع زوجة رئيس أبى فى العمل عندما كنت فى الرابعة عشر من عمري وكانت هى تقترب من سن اليأس ، ثم مؤخرًا، مع فلاحه تركية من قبرص كانت تصنع جبن الحلوم ومتزوجة من راعى غنم - كان قد أمضى فترة فى السجن لطعنه شخصاً عاكسها. ثم هناك المرأة ، التى جلست أمامى مع ولد مراهق والتى شاركتنى نفس العربة فى مترو الأنفاق بين محطة راسيل سكوير " ومحطة "جرين بارك"، ثم وقفت على الرصيف

وتسمرت عليها أنظاري حتى اختفى القطار في طريقه إلى هايد بارك كورنر". والآن هاهي سهى الطفلة ذات الصدر البازغ ، والأفخاذ المفلتة، والسلة المليئة بالقانورات المعلقة حول رقبتها ، والتي تدق جرس بيتي يومياً.

هذه المشاعر التي لا تعرف اسماً بعد، تنمو وتترعرع على غذاء وحيد من أحلام اليقظة. ولأن هناك اقتناع غير معترف به في أعماقنا أن هذا النوع من المشاعر لن يجد تحققاً له في الواقع، فأحلام اليقظة تنطلق لتتجاوز حدود التصديق. لذلك منذ أن وقعت عيناى على سهى، تصورت في ذهني عدداً لا حد له من المواقف الممكنة وغير الممكنة بيننا: وهى تأخذ حماماً سريعاً وتلحق بى فى الفراش، فى حين ينتظرها أخوها تحت وهو يتساعل داخل أى شقة اختفت ؛ وهى تنجح بشكل ما فى الهروب من جولتها اليومية وتذهب سراً إلى شقتى لقضاء ساعة، ليلة، إسبوعاً. بل تصورت نفسى أخذها فى تاكسى إلى المطار حيث تلحق برحلة الخطوط الفرنسية الإسبوعية إلى "نيس"، ثم أكسوها بثياب البوتيكاك فى "الريفيرا" وأسير معها على طول "البروميناد ديز أنجليه". كانت أحلام اليقظة لا نهاية لها، ولكن كوابيس اليقظة (هل قمت بنحت كلمة جديدة؟) كانت أيضاً مليئة بالغيرة إلى ما لا نهاية، فإلم يكن هناك آخرون أيقظت فى قلوبهم وهى تقوم بجولاتها ما أيقظته عندى من مشاعر ، أولم يحظ بعض منهم أكثر جرأة منى بأشكال لا تتصور من الوصال ؟

قطعت على نحو مفاجئ على صورة سهى وهى تقف عارية تحت  
المياه ، وأرغمت نفسى على العودة إلى الموضوع الذى كانت جريدتى  
قد طلبته.

مر يومان دون أن يأتى أحد من أجل القمامة. أصبح الطقس أكثر  
حرارة ، وبدأت رائحة العفونة تتزايد فى المطبخ. ثم فى اليوم الثالث  
دق جرس الباب وعندما نظرت إلى الشارع فى الأسفل، كانت العربية  
والحماران هناك، كذلك أخوها وهو يقذف الحجارة على القطط الباحثة  
عن الطعام. ولكن عند الباب وجدت شخصاً لم أراه من قبل: رجلاً  
صغيراً أعور. ورغم أنه كان يبدو أصغر سنًا، قال لى إنه والد سهى،  
وإنها مريضة فى المنزل وقد ذهبت إلى الطبيب الذى قال إنها تحتاج  
إلى تدخل جراحى، وإته يريد عشرين جنيهاً مقابل ذلك. ردد كل هذا  
كأنه حفظه عن ظهر قلب.

قلت له : "أنا أسف لأخبار أبنيتك"، وعبثت فى جيبى ، وأعطيته  
ورقة من فئة الخمسة جنيهات.

سأل وهو يرفع عينه السليمة تجاه الورقة: "والباقى؟ من أين أتى  
بالباقى؟"

فكرت سريعاً، ثم أخذت الورقة النقدية من يده ودخلت إلى غرفة  
النوم وبحثت فى جيب سترتى.

عدت ومعى ورقة من فئة عشرة جنيهات وأعطيتها له. بدت عليه  
الدهشة أكثر من الامتنان.

قال: "أطال الله في عمرك".

قلت: "أله يشفى بنتك"، وأحضرت له القمامة من المطبخ ثم عدت إلى الآلة الكاتبة. كنت قد أرسلت الموضوع حول الزراعة في مصر، وكنت أحاول الآن كتابة فقرة نهائية لروايتي الأخيرة - التي فات موعد إنهاؤها.

مر أسبوع، والعربة التي كانت سهى وأخوها يتوليانها تم تبديلها بعربة أخرى يتولاها ولدان مظهرهما خشن وكلامهما فظ، وكانا يبدوان كأنهما توأم. سألتهما عن سهى، فقالا إنهما لم يسمعا بها أبداً، ذكرت فتاة صغيرة السن جرحت قدمها ولكنهما لم يعرفا شيئاً عنها أيضاً. أخذ أحدهما مني خمسين قرشاً وجاء بشكل دائم يومياً في الساعة الحادية عشر، كان أكبر حجماً وأكثر امتلاءً، كما كان لهما سيور جلدية بدلا من السيور السلك التي كانت تجرح جلد حمارى سهى النحيفين.

ثم ظهر الرجل الذي قال إنه والد سهى مرة أخرى. لم يحاول تلطيف الصدمة، ولكنه قال مباشرة إن سهى ماتت، إن قدمها كانت قد تورمت أكثر فأكثر وإنها أصيبت بالغرغارينه، وإنها ماتت. كان يريد الآن أموالاً لدفنها. أعطيته عشرة جنيهات وأغلقت الباب في وجهه. أمضيت باقى النهار محددًا أمامى فى أغصان شجرة البوانسيانا، وأنا أتساعل إذا كان جامعوا القمامة يستخدمون التوابيت.



بعد ذلك بنحو شهرين، وكنا فى عز الصيف وسعر مانجو تيومور  
" قد وصل إلى أدنى حد له. كنت أسير فى ميدان المساحة مثقلاً  
بكيسين محملين بالبقالة، ونبهنى صياح وسحابة من التراب أن هناك  
مباراة كرة قدم تجرى فى الشارع الذى يفصل بين قطعتى أرض من  
العشب اليابس وأحواض الزهور غير الكثيفة. وأنا أقفز جانباً بصعوبة  
لكى أتفادى الكرة التى كنت متأكدًا أنها مصوبة نحوى، رأيتها تجلس  
وراء أحد أكوام الملابس التى كانت تحدد مكان عارضة المرمى. بجلال  
كليوباترا نفسها وهى فى مركبتها الكبيرة، جلست سهى على عربتها  
وقدماها تستندان على العجلة الأمامية اليسرى. كانت تنفخ فى  
سيجارة، والدخان يتلوى صاعداً فى الهواء الساكن على شكل ريشة  
لونها رمادى مزرق نحو منديلها الأحمر المعقود حول رأسها. رغم أن  
نظرها كان مصوباً ناحيتى إلا أنها لم تبد أية إشارة تتم عن أنها  
رأتنى. بدأ قلبى يخفق بعنف وزاد إحساسى بحبال الكيسين وهى  
تقطع فى كفى. ثبت أكتافى وحاولت أن أمشى بخطى واسعة كأننى  
غير واع بوجودها، ولكن عندما وصلت إلى مدخل شارعى أحسست  
بالخور يدب فى قدمى. فجأة، وكأن حجراً يثقل صدرى، وجدت صعوبة  
فى التنفس. خفت للحظات أن يكون هذا هو الشعور نفسه المصاحب  
لبداية أزمة قلبية.

توقفت وأسندت الأكياس الثقيلة على الأرض. أقيت نظرة ورائى  
إليها ورأيت أنها تنظر فى اتجاهى. كان قوامها الطويل المشوق يبدو  
واضحاً، ووراءه السماء الآخذة فى الإظلام؛ كانت يدها التى تمسك

السيجارة ترتاح على خدها . حملت الأكياس ومشيت إلى الأمام عدة خطوات . عندما التفت إلى الوراء مرة أخرى كانت عمارة جديدة تحت الإنشاء في ركن الميدان تحجبها عن الرؤية . بحزن عميق ، وبإحساس بحنين إلى ماضٍ مألوف لي تماماً ، عرفت أنني لن أراها مرة أخرى أبداً .



( ٨ )

## قهوة فى الماريوت

لم يجمع إيفا وأمتدا أى شىء مشترك سوى أنهما إنجليزيتان تزوجتا من مصريين. الزوجان أيضاً لم يجمعهما الكثير: جلال حافظ، مسلم ، وأستاذ التاريخ المصرى فى العصور الوسطى فى إحدى الجامعات الحكومية فى القاهرة، فى حين أن رمسيس ندا قبطى، يعمل بنجاح فى مجال السياحة وخاصة مع ألمانيا وإيطاليا - كان الأول بالطبع يتلقى أجراً ضعيفاً، ولكنه نجح فى تدبير دخل إضافى إلى جانب راتبه الضئيل عن طريق كتابة كتب ومقالات ، والقيام بمهام فى لجان مختلفة، فى حين كانت زوجته تقوم بالتدريس فى واحدة من مدارس اللغات الإنجليزية - التى أصبحت رائجة حديثاً؛ فى الواقع كان راتبها يوازى تقريباً نفس راتب زوجها. من ناحية أخرى، أصبح رمسيس نداً، الذى كانت له مصالح متعددة فى قطاع السياحة، من قطط القاهرة السمان، وله سيارة بي أم دبليو ٧٥٧ كبيرة، أعتاد أن يركبها وهو يتحدث فى تليفونه المحمول.

سكنت إيفا وزوجها في شقة متواضعة في الجزء الأقل ثراءً من جاردن سيتي؛ عاشا حياة خالية من الهموم المالية ، ولكن بدون كماليات كثيرة. مرة في السنة كانت تشتري لنفسها تذكرة زهاب وعودة إلى المملكة المتحدة ، وتمضى ستة أسابيع مع أختها في "شتشيسستير" في الساحل الجنوبي. مرة كل أربع سنوات كان جلال يصحبها و يمتعان نفسيهما بقضاء إسبوع في لندن، وينزلان في نفس الفندق في "ايرلز كورت" والذي كانت قد قبلت أن تمضى معه ليلة فيه عندما كان الاثنان ما يزالا طالبين. بعد أن عرفت منذ أن عاشت في مصر القيمة الرفيعة التي يتم إضفاؤها على ذلك الغشاء سليماً ، وخاصة بين الأسر المسلمة المحافظة مثل أسرة جلال، أحست بالامتنان العميق والإعجاب به لأنه تزوجها بعد هذه الليلة من الحب. مع الصعوبات الأولى التي قابلتها وهي تحاول الاستقرار في ثقافة مغايرة، استمتع الاثنان بزواج سعيد برغم أنها لم تعطه غير طفل واحد فقط، ابنة، ماتت فجأة في سن الثانية عشرة.

أمندا من ناحية أخرى، كانت تعيش أمام فندق الماريوت في الزمالك، في شقة فاخرة. هي أيضاً، بعد أن تفهمت حقيقة أن زوجها، رغم صفاته الجيدة الكثيرة - والتي من بينها حبه الحقيقي لها وللأولاد- كان زير نساء بالفطرة، كانت تعيش حياة مليئة وسعيدة. المرأتان الإنجليزيتان، رغم اختلاف ظروفهما وخلفيتهما، أصبحتا - بمرور السنين - صديقتين قريبتين.

خلال الأعوام الماضية كانت المرأتان تتحدثان أغلب الأيام فى التليفون ، وتتقابلان يوم الثلاثاء لتناول القهوة والكيك فى الماريوت. فى البداية دارت حواراتهما حول تاريخهما الشخصى ، وكيف تزوجتا من مصريين واتخذتا القاهرة موطناً. ثم مع الوقت تمحورت أحاديثهما حول حياتهما اليومية. عمل إيفا فى المدرسة، مشاجرات جلال مع زملائه، حفلات البريدج التى كانت تقيمها أمندا ، وشقاوة أولادها الاثنين (الولد والبنت) واللذان كانا الآن طالبين فى الجامعة الأمريكية، ومخاوفها من أن تفقد البنت عذريتها وأن يعرف الولد طريقه إلى المخدرات.

اليوم وصلت أمندا أولاً ، واختارت مائدة فى الركن. لاحظت فوراً، وصديقتها تأتى ناحيتها، أن وجه إيفا تعلوه ملامح الكآبة. تبادلتا القبلات ، وسألت أمندا إذا كان هناك شىء ليس على ما يرام. هزت إيفا رأسها واقترحت أن يختارا الكيك أولاً. فوجئت أمندا وهما تقفان عند الكاونتر ويتفحصان المعروض من الكيك، بصديقتها تقول، "أعتقد أنتى سأخذ واحدة بالشوكولاته اليوم." عادة كانت تختار الأقل دسماً مما هو معروض.

و هما تاكلان أول قطعة قالت إيفا فى صوت خفيض وابتسامة ملتوية على وجهها، "اكتشفت أن جلال كانت له زوجة أخرى." فوجئت أمندا ، ولكنها أكملت ابتلاع ما فى فمها قبل أن تسأل، "هل تعنين أنه طلقها؟"

أجابت إيفا: "لا، يبدو أنها ماتت."

سألت صديقتها: "هل كان متزوجاً عندما تزوجك؟ في نهاية الأمر هو مسلم بومن حقه أن يكون له أربع زوجات."

ردت إيفا بقدر من نفاذ الصبر في صوتها: "آه، أنا أعرف كل ذلك ، ولكنى أعتقد أنه كان يجب على الأقل أن يقول لى."

رشفتا قهوتينهما وعبثتا بالكيك فى صمت لبضع دقائق قبل أن تسأل أماندا: "إذن لم يقل لك؟"

هزت إيفا رأسها.

"هل تكرهين ذلك كثيراً؟"

مسحت إيفا عينيها بمنديل ورقي أخرجته من حقيبتها. "نعم، أعتقد ذلك، ولكنى لا أرى شيئاً يمكننى عمله حيال هذا الأمر."

و كيف علمت بالأمر؟"

بان الحرج على إيفا وهى تشرح أنها وهى ترتب أوراق جلال فى مكتبه وجدت مغلفاً موجهاً لها بالإنجليزية بخط يده ومكتوب عليه "يفتح عند وفاتى". اعترفت: "فتحتة بالبخار ، ومقابل عدم أمانتى كان جزائى أن أعرف أنه قبل أن يبعث لنيل الدكتوراه فى إنجلترا كان قد تزوج ابنة عمته. الخطاب قال إن المرأة لم تعد على قيد الحياة ولكن لديه ابناً بالغاً منها لا يزال يعيش فى القرية خارج المنيا. أشك أنه - من حين إلى آخر، عندما يقول لى إنه تلقى دعوة لإلقاء محاضرة، فهو فى حقيقة الأمر ذاهب لزيارة ابنه. فى نهاية الأمر، أعتقد أنه من الطبيعى..."

كسرت أَمندا الصمت الذى أعقب ذلك بأن قامت واقفة وقالت:  
"ربما يجب أن تأخذ كل منا قطعة "كيك" أخرى. اليوم على حسابى أنا."  
عندما جلستا مرة أخرى ومعهما طبقان جديدان وقطع كيك جديدة ،  
وطلبتا فنجانى قهوة كابوتشينو إضافيين، قالت إيفا لصديقتها بصوت  
أكثر هدوءاً: "إذا أردت أن أكون أمينة مع نفسى وأبتعد عن الانفعال،  
أعتقد أنتى سعيدة من أجله لأن له ابناً . كما تعلمين ، بعد وفاة ديننا  
لم أستطع أن أمنحه أبناء آخرين. بالطبع، كنت سأحزن جداً إذا اتخذ  
زوجة أخرى حينذاك. ففى نهاية الأمر، نحن الاثنتين عانينا من وفاة  
ديننا، وخطوة كهذه كانت ستتطوى على عدم احترام لذكراها ، ناهيك  
عما تسببه لى من جرح. ما فعله قبل أن نلتقى أنا وهو ، وهذا ليس  
حقيقة بالأمر الهام. أليس كذلك؟" ناشدت إيفا لكى تطمئنها.

"لا، ليس مهماً،" أجابت أَمندا والتي - نتيجة لحياتها الخاصة -  
اكتسبت اتساع أفق فى هذه الأمور. "المسألة هى كيف تنظرين إلى  
الموضوع." ثم سألتها إذا كان الخطاب احتوى على شىء آخر.  
بعد أن تمخطت، نظرت إيفا إلى صديقتها ، وعلى وجهها ابتسامة  
مشرقة.

"الخطاب كان به بعض التفاصيل حول مسائل مالية وماذا يجب أن  
أقوم به فى حالة وفاته. فى السطر الأخير قال إنه لم يحب أى شخص  
آخر فى حياته."

علقت أَمندا: "هذا لطيف."



أومات إيفا برأسها ، ولكن بدا عليها كأن دموعها ستفيض  
إذا حاولت قول أى شىء آخر.

”و ماذا فعلت بالخطاب؟“

ردت إيفا ببساطة: ”أحضرت بعض الصمغ ، وأحكمت إغلاقه ،  
ثم أعدته بين أوراقه“.

”لكن الشىء الوحيد الذى أندم عليه هو أنتى فتحتة من البداية.“

( ٩ )

## حديقة النخيل

توقفت الحمير الثلاثة خارج البوابة المزبوجة ذات الحلقات المعدنية. كان الوقت في بداية الأصيل، وظلال الحمير وركابها تميل بزاوية نحو الحائط الطيني العالى ؛ الذى كان يطوق حديقة النخيل من ناحية، فى حين كان النيل يشكل حدها من الناحية المقابلة.

كان الشخص الذى فى الوسط، ولد طويل نحيف اسمه جعفر، يلبس جلباباً منشى ناصع البياض ، وعمة كبيرة من نفس اللون يبدو أنها تتأرجح بقلق فوق جبينه الأبنوسى وملامحه الجميلة. صفق بيديه ، ونادى بصوت عال. التفت إلى رفيقه الأصغر سناً - ولد أبيض كان يركب عن يمينه، وتبادلا بعض الكلمات. فى حين كان يتم سحب المزلاج إلى الوراء ويتم فتح جناحى البوابة، تسابق الولدان وهما يتدافعان من خلال الفتحة. كان الولد الأبيض - وهو أول من دخل إلى عالم الحديقة الظليل، يلبس بنطالاً قصيراً كاكى اللون ، وسترة كاكية اللون بها جيوب منتفخة؛ كان يحمى رأسه من حرارة الصيف السودانى الشديدة بقبعة

واسعة من اللباد المزبوج . العضو الأخير من ثلاثى الأولاد- واسمه شاكر- كان خادم الولد الأبيض ؛ كان يلبس جلباباً لونه أزرق باهت وطاقية وكان حافى القدمين. كان وجهه يحمل تقطيبه قلقة، مصدرها - ولا شك - مسئوليات العناية برفاهية وسلامة ابن مفتش المقاطعة المحلى.

"أنا كسبت!" صرخ الولد الأبيض والذي كان اسمه الحقيقى دايفيد والذي كان يناديه جعفر داوود.

"حمارك هو الذى كسب،" صحح له جعفر. "حمارك هذا أقرب إلى الحصان - و انفجر الأولاد الثلاثة يقهقهون.

كانت حديقة النخيل ، التى تقع بين النيل والصحراء المحيطة، تبعد أكثر من ميل بقليل عن البلدة الممتدة - حيث كان صاحبها، الشيخ عثمان عبد الغفار، يملك متجراً. كان كبير صائغى الفضة فى البلدة ، وينحدر من إحدى العائلات الكبيرة فى كردفان، فى حين جاءت زوجته ، فاطمة، والذي كان جعفر آخر أبنائها، من الكبابيش، وهم من مربي الماشية، وجلبت معها ثروة كبيرة وعلاقات واسعة. كان السائحون الذين يزورون البلدة قادمين من الحدود المصرية عن طريق الباخرة نادراً ما يرحلون دون أن يشتروا تذكاراً من متجر الشيخ عثمان، حتى لو كان منفضة سجاثر من الفضة فى منتصفها عملة معدنية قديمة من زمن المهدي. رغم أن أى شخص غريب يمكنه أن يتصور أنه ليس سوى صاحب متجر يبيع الفضيات ، ومجموعة ضئيلة من الساعات، إلا أن

الشيخ عثمان كان فى الواقع واحداً من كبار التجار فى المنطقة. كان منخرطاً فى التجارة المربحة لنقل الماشية والجمال سيراً على الأقدام إلى مصر، وأحياناً حتى القاهرة نفسها؛ كذلك كان يشتري أغلب محصول البلح فى المقاطعة ويبيعه إلى تجار الخرطوم. وكان يشاع أنه يشارك فى عمليات التجارة غير المشروعة للآثار الفرعونية ، التى يتم التنقيب عنها بغرض السرقة من المقابر فى أعالي النهر. بشكل عام كان رجلاً يحسب له حساب وكان سعيداً أن ابنه جعفر على صداقة مع ابن مفتش المقاطعة الشاب؛ فهذا كان يمنحه صيتاً إضافياً.

الفارق فى درجة الحرارة بين خارج حديقة النخيل وداخلها كان شاسعاً جداً. حتى أن الراكبين أحسوا للحظات برعشة بردوهم يجتازون خبياً الطرقات الطينية الممتدة على جانب قنوات المياه ، التى كانت تعكس بالتماع أشعة الشمس. الحمام الرقيق بلون الصدا كان يتحرك بين أغصان أشجار النخيل العالية ويتطلق هديره الناعم المخدر. بالنسبة للولد الإنجليزي كان ذلك مكاناً ممتد الأفق ؛ حيث هناك دائماً أشياء جديدة يمكن اكتشافها، وقنوات مياه يمكن تعقبها، وجواميس مربوطة مغماة العيون يمكن مشاهدتها وهى تسير دون كلل حول السواقى. كان عالماً من السحر ، وكان صديقه جعفر هو الذى يمتلك مفتاح هذا العالم.

ترجل الأولاد الثلاثة بجانب إحدى السواقى المتوقفة. قام شاكر، بعد أن كنس مساحة من الأرض بسعف نخيل جاف - بمد ملاءة. أخرج الولد الإنجليزي ست بيضات صغيرة مسلوقة ملفوفة فى منديل، كذلك

علبة مشمش بالعصير المركز وفتاحة، فى حين فك جعفر صُرّة صغيرة وكشف عن عدة قطع من الكفتة كانت والدته قد أعدتها وبعض الخبز. بعد أن أكلوا وشرع شاكر فى غسيل الأطباق المعدنية، قام الولد الإنجليزي بتقسيم قطع الحلوى التى أحضرها معه بينه وبين جعفر، ولكن جعفر أصر على أن يأخذ شاكر نصيباً مماثلاً لهما ووافق الولد الإنجليزي على مضمض. ثم قام جعفر ليغسل يده فى المياه الجارية التى كانت تمر بجانبهم وشاهده الولد الإنجليزي وهو يغترف المياه ليملاً بها فمه ثم يقوم ببصقها مرة أخرى، فقلده. بعد ذلك سار الولدان إلى مكان منبسط خلف الساقية ، حيث كانا قد وضعا بعض التماثيل الطينية لتجف فى الشمس و التى كانا قد قاما بتشكيلها فى آخر مرة جاء فيها إلى الحديقة.

كانت هناك تماثيل لحمير وجمال ، وكذلك إبريق مياه ، وحلة طبيخ مصفران. كان هناك أيضاً تماثلان لشكلين بشريين، وكان الولد الإنجليزي قد ألصق بأحدهما عضواً ذكرياً كبيراً كفكرة خطرت على باله بعد أن شكله. لكن جعفر كان قد اعترض، واستطاع الولد الإنجليزي أن يرى المكان حيث أصر صديقه السودانى على ضرورة إزالة البروز المعيب . الشكل الآخر كان به صدر مختلف الأحجام. عندما سأل الولد الإنجليزي ماذا عند المرأة "هناك تحت" ، تظاهر جعفر بعدم المعرفة.

كان قد قال: "لا شىء".

و لكن كيف تقبول؟

أذعن جعفر وقال. "لها ثقب"، وضحك الولدان للفكرة.

حطم الولد الإنجليزي التماثيل المختلفة برفسها بقدمه ، وقال لجعفر: "سنعمل أشكالاً أخرى المرة القادمة".

ودع كل منهما الآخر ، واتفقا على اللقاء فى اليوم التالى بالسوق. ثم ركب الولد الإنجليزي وخادمه تجاه صف البيوت الصغيرة التى اصطفت على ضفاف النيل مباشرة، فى حين عاد جعفر إلى منزل الأسرة الممتد فى غير نظام - والذى كان يضم متجر أبيه.

أخذ الولد الإنجليزي حمأماً ، وكان يجلس لابساً الروب ويتناول عشاءه. كانت والدته تجلس بجواره وتقرأ بصوت عال. كلما أدارت صفحة كانت تديه الصورة التى بجانب النص. كان الكتاب قد قُرى للولد عدة مرات وكان يحفظه تقريباً عن ظهر قلب ، لذلك لم يبد اهتماماً كثيراً بما تقوله والدته، ولكن كان يستمتع بوجودها معه وهو يأكل. ثم دخل والده ، وعلى وجهه نظرة جادة دون أن يقول شيئاً، ولكنه أشار لوالدته أن تخرج من الغرفة معه.

قالت له عندما عادت : "دايفيد، حدث شىء لجعفر..." اتجهت ناحيته وبدأت فى احتضانه وتقبيله. قالت له إنه جرت حادثة بسبب انفجار المصباح وإمساك النيران بملابس جعفر.

سأل الولد: "هل يمكننى الذهاب لرؤيته؟".

هزت رأسها وقالت إن جعفر مات. كان الولد فى حيرة وارتباك حول كيفية الاستجابة لهذا النبأ. عندما رأى عينيها تدمعان انفجر فى البكاء.

هدأت من روعه ، وأدخلته فى الفراش ، وارتاحت عندما نام مباشرة بعد يومه الطويل. فى الصباح سأل عن جعفر وقالت له والدته إنه، إذا أحب يمكنه الذهاب إلى الشيخ عثمان ليبلغه عن أسفه لوفاة جعفر.

قالت له "سيكون فى منزله" ، وانطلق مع شاكر. عندما وصل إلى منزل الشيخ عثمان شعر بالقلق وتمنى لو أنه لم يكن قد جاء. ترجل ونظر عبر غرفة الاستقبال الطويلة ؛ حيث شهد والد جعفر يتلقى العزاء من كبار رجال البلدة. فكر فى الرحيل، ولكن خادمه جاء واصطحبه إلى غرفة استقبال أصفر. وقف هناك لعدة دقائق وهو ينظر إلى الكراسى المطلية باللون الذهبى المرصوفة حول الغرفة قبل أن يدخل والد جعفر. رحب الرجل العجوز به وأمسك يده فى كلتا يديه؛ كان الولد يعرف أنه يجب أن يقول شيئاً للشيخ عثمان.

لو كان جعفر هناك لكان سأل.

سأل بارتباك "هل يمكننى رؤيته؟".

جلس الرجل العجوز وأحاط الولد بذراعه.

"دفن مساء أمس"، أوضح الشيخ عثمان ، وأحس الولد بدموع الرجل العجوز وهى تتعلق بلحيته البيضاء الخفيفة ، وبالبلبل على خده.

كان أول مرة يشاهد فيها شخصاً بالغاً يبكي. تذكر الولد تلك المرة، منذ عدة أسابيع، عندما لدغ عقرب قطته ووجد جثتها في الفيراندا. وضعها هو ووالدته في علبة أحذية ، ودفنها في الحديقة.

فكر في جعفر وعن معنى أن يُدفن في الأرض، وفكر أيضاً في أنه لن يذهب مرة أخرى أبداً إلى حديقة الشيخ عثمان.





( ١٠ )

## " كات "

استيقظ شاعراً بثقل " كات " على رجليه المرفوعتين. كانت رأسه ثقيلة من الرغبة فى النوم التى تصاحب كبر السن، ولكن - كما كان يفعل كل صباح قال لنفسه إن القطة يجب إطعامها. قام ويبحث بقدمه عن شبشبه.

" كات " - وهى تعلم أن صاحبها سيمضى بعض الوقت فى الحمام قبل أن يعد الإفطار، مرقت من خلال النافذة الموارية فى غرفة النوم ونزلت السلالم إلى البهو . هناك التفت حول نفسها وخلدت إلى النوم على حصيرة الأسل التى انعكست عليها خطوط تعريشة السقف المصنوعة من سعف النخيل المرصوص بشكل متساو.

أعد الرجل العجوز إفطارهما: لبن دافئ منقوع فيه قطع صغيرة من الخبز "لكات"، وعدة فناجين من الشاي الخفيف لنفسه ، مع قطعة من الخبز المحلى المحمر على شبكة حديد فوق شعلة الغاز، مع جبن أبيض وعسل. عندما انتهت " كات " من اللبن أطعمها بعض الجبن الأبيض.

فتح الراديو على إذاعة البى بى سى. خطر لهـ وليس للمرة الأولى - أنه إذا تم تقديم نشرة أخبار ترجع إلى عشر سنوات مضت بدلاً من نشرة أخبار اليوم فلن يكون هناك اختلاف كبير. من ناحية أخرى، فإن الاستماع نهاراً ومساءً للأخبار أصبح جزءاً من روتين حياته. مع تقدم العمر، أصبحت حياته أكثر وأكثر روتينية، حياة تشاركه " كات " فى أغلب جوانبها.

بينما كان الجو لا يزال طرياً ، خرج إلى حديقة ساحة الدار - حيث الجهنميات ذات اللون الأحمر الداكن والأبيض والطوبى عالقة على الحوائط الطينية المحيطة متداخلة مع الياسمين بعطره النفاذ. كانت شجيرات الهيبيسكوس تختال بورودها القرمزية ، وكانت الأصص - التى تحتوى نوعيات مختلفة من الصبار تبين حبه لهذا النوع من النبات البسيط الكالغ. تتبعته " كات ". كان كل حين ينحنى ويمسح بيده على رأسها وعلى جسمها المخطط مثل نمر.

مر عبر ساحة الدار إلى الحديقة المفتوحة ، وقابله منظر البحيرة فى اتساعها ، ولونها الأزرق الداكن، ووراعها التلال الرملية - التى عكست ظلال السحب المارة. انعسكت التلال بدورها على المياه الهادئة التى كانت تفصلها عن القرية الصغيرة ، الجاثمة على بروز من الصخور، بحقولها من البرسيم ذى الخضار المشرق ، والنخيل المتفرق الذى تم تشذيبه اليوم كان هناك رجل يحرث بثورين ، وكانت سجادة الأرض ذات اللون البنى الداكن يتناثر عليها طائر أبو قردان باحثاً عن طعام فى الأحواض المحروثة.

سار نازلاً قطعة الأرض المنحدرة، وتفحص في طريقه بعض أشجار التين التي بدأت ثمارها تظهر ، وإن كان من الأرجح أن الطيور هي التي ستستمتع بها أكثر منه. واصل السير حتى الحد السفلى من الفدان الذي يملكه حيث كان قد بنى مسطبة بسيطة بالأسمت تحت شجرة سنط قديمة كانت موجودة حتى قبل شرائه الأرض ، وبناء المنزل. جلس لبعض الوقت، و"كات" تدور حول قدميه ؛ وهو يحصى في ذهنه البيوت الممتدة على الجانبين على طول قمة الصخور التي نمت عليها القرية. كانت في أغلبها بيوت طينية تقليدية ؛ حيث ما زال يسكنها الفلاحون في حين كان البعض الآخر منها ، والذي كان مبنياً بالحجارة والقباب على غرار الطراز الذي أكسبه المعمارى حسن فتحى شعبية، مملوكاً لعائلات من العاصمة. ولكن كانت زيارات أصحابها تنقل أكثر فأكثر بعد أن فقدت "الحياة البسيطة" كثيراً من جاذبيتها ، وأصبح من الممكن أن يعيشوها بأناقة وحيوية أكثر على شواطئ البحر الأحمر وفي القرى السياحية فى سيناء.

فات الوقت الذى كان يمكن فيه أن يتطلع لزيارة أحد من العاصمة، فقد أصبح الآن منفصلاً - إلى حد كبير جداً - عما يشغل أغلب الناس ، وأصبح مدركاً أنه لم يعد لديه ما يقوله لملء هذه الثغرات من الصمت التي كانت تتخلل لقاءاته مع هؤلاء الذين كانوا يوماً ما أصدقاء تجمعه بهم اهتمامات مشتركة. كان واعياً أنه أصبح فى نظر الكثيرين شخصاً مضجراً : فكان يرى اهتمام الناس بحديثه يتشتت ، وهو يتحدث عن شئون القرية وغرائب "كات" الأخيرة.

قطع أذان الصبح حبل أفكاره وخطر له أنه قد حان الوقت لكي يعود إلى المنزل لإعداد وجبة الظهر . بالأمس كان الصياد العجوز قد مر عليه بحماره ، وكان قد اشترى بعض سمك موسى الصغير - الذي تمتلئ به البحيرة في مثل هذا الوقت من السنة. بعد أن قام بطبخه بالبخار، أكل منه هو و"كات" ، ثم أوى إلى غرفة نومه ليخلد في القيلولة، وأخذ معه رواية كان يحاول أن ينهي قراءتها منذ أسبوع. انضمت له "كات" في غرفة النوم ، ولكنها انصرفت فور أن مال رأس صاحبها جانباً على الوسادة وانساب الكتاب من يده.

بعد ساعتين نزل مرة أخرى إلى غرفة المعيشة وفتح التلفزيون. فوجئ أن "كات" لم تكن في انتظاره ، ولكنه فكر أنها ربما انطلقت في حملة صيد أخذتها بعيداً عن المعتاد. خفض صوت التلفاز وهو يرى مشهد الأطفال الفلسطينيين الصغار يقذفون بالحجارة إسرائيليين سيقانهم طويلة ويشبهون الألمان! ثم سمع صوت باب المطبخ يفتح ويفلق. ربما هذا "حسن" قد أحضر البيض الذي طلبه منه.

نظر حوله وشهد جاره الطويل مرتدياً بنطلوناً أبيض واسعاً وممسكاً بقطعة من رقبتها. كان على وشك الاعتراض عندما تبين له أن هذا الحيوان الميت هو "كات". ألقى حسن عليه تحية المساء ، وتقدم إلى الأمام ، ووضع القطعة الميتة على الحصير، ثم التفت وشرح له أنه وجد الجثة راقدة بجوار عشة الفراخ القديمة. كان من رأيه أن عقرباً لدغ "كات".

قام الرجل العجوز واقفاً وجثم بجانب القطة. عندما لمس جسمها كان هناك غياب تام للحياة فيها؛ كان لسانها الوردى اللون يبرز قليلاً من بين شفاه مثبتة على ما يبدو أنه ابتسامة.

ترك رأسها تسقط إلى الوراء على الحصير ونزل ببصره إلى بطنها المنتفخة وبداخلها القطط الصغيرة الميتة. تساءل عن الوقت الذي كان لا يزال متبقياً قبل أن تلد.

و كانه يقرأ أفكاره، قال حسن "كان يمكنك أن تأخذ واحداً من أولادها."

"نعم،" قال وهو يستغرب أن الموت لم يمهلها بضعة أيام حتى تضع قططها الصغيرة. كان هذا سيعنى له الكثير.

سأل حسن "هل أرميها بعيداً؟"

تألم للحظات من السؤال، ولكن بالنسبة لحسن لم تكن أية قطة ميتة سوى نفاية.

قال: "أتركها هنا."

تردد حسن، ثم ألقى عليه تحية المساء وانصرف.

أغلق الباب وراء حسن، وعاد إلى حيث كانت القطة ترقد.

و كأنها تؤكد له حقيقة الموت، كان هناك طابور من النمل الصغير يسير في اتجاه الجثة.

ذهب إلى المطبخ ، وأخرج فوطة نظيفة من فوط التنظيف ذات اللون الأحمر والأبيض ولف بها الجثمان - الذي بدأ في التيبس. أخرج من السقيفة التي تفتح على المطبخ، والتي كانت تحتوى بداخلها سيارة متهالكة منذ الأيام التي كان لا يزال قادراً فيها على القيادة، مجرّفة ، وسحبها وراءه ببطء وهو يسير في الحديقة.

كانت حرارة الجو لا تزال عالقة بين أشجار الزيتون المصفوفة بشكل متساو ، والتي كان قد تم ريها مؤخراً في ميعادها كل إسبوعين. اختار مكاناً ، قرب الحائط الفاصل بينه وبين الجيران ، ويصعوبة حفر قبراً صغيراً. وقف لبرهة ، وهو يلهث ويستند على مقبض المجرّفة.

قال لنفسه إن حسن كان يمكنه القيام بهذه المهمة في عشر الوقت الذي استغرقه هو ، ولكنها كانت مهمة عليه القيام بها بنفسه من أجل "كات". وضعها في الحفرة وهي ملفوفة جيداً في الفوطة، ثم ردم الحفرة بالتراب وبحث حوله عن ثلاث قطع من الحجارة ليضعها فوقها.

طرأت على ذهنه صورة عمرها أكثر من سبعين عاماً لولد صغير وأمه تساعده على وضع قطته الميتة في علبة أحذية ودفنها.

غداً سيبلغ حسن عن المكان الذي دفن فيه ، كات ويطلب إليه عدم المساس بكومة التراب الصغيرة.

بعد أن عاد للمنزل جلس أمام شاشة التلفزيون. أحس بخواء ، وكأن الخيط الوحيد الضعيف الذي يربطه بالحياة قد انقطع.

ففي الصباح كان حسن سيقترح عليه أن يأتي له بقطعة أخرى مثلما  
جاء له "بكات" من قبل. لكنه قرر عدم جدوى ذلك .  
فلو كان الأمر مقدراً لكان أتيح "لكات" وقت كاف لكي تلد  
صغارها .





## عطلة نهاية أسبوع قصيرة

بين الناس الواقفين خلف الحواجز التي تفصل ما بين القادمين لتوهم من الطائرات ، والذين ينتظرونهم رأيت الرجل الذي خمنت أنه روبيرتو. تأكد ظني عندما رأيت قطعة ورق الكرتون التي كان ممسكاً بها على صدره ، ومكتوب عليها اسمى بخليط من الحروف اللاتينية الكبيرة والصغيرة: "ماثيوز". أفصحت عن وجودى - عن طريق التلويح له بيدي ، وأنا فى طريقى لاستلام أمتعتى ، والمرور عبر الجمارك. فوجئت عندما لاحظت أن بعض الناس الذين كانوا معى على الطائرة - كانوا قد التقوا بأصدقائهم وأقاربهم ، وكانوا يتحركون فى اتجاه طابور سيارات الأجرة وموقف السيارات. اندهشت من هذا التراخى من قبل شعب كنت أظن أن أبناءه شديداً التمسك بالدقة فيما ينجزونه.

أحسست أن هذا الموضوع كان يمكن أن يوفر مجالاً للثرثرة مع روبيرتو ونحن فى طريقنا. لكننى نسيت أن أثير الموضوع معه.

لم يلتفت رجال الجمارك إلى حقيبتى، التى كان حجمها يفوق بقليل أمتعة اليد، إلا بنظرة سريعة ثم أخذها منى فوراً روبيرتو. كان قد أحضر لنفسه عربة ترولى ولكن عندما تبين له أن الحقيبة خفيفة أعاد الترولى إلى طايبور العربات الأخرى ، وأسترد العشرة فرنكات.

كانت السيارة التى تنتظرنا فى موقف السيارات تدل على مكانة الناس الذين كنت سأمضى معهم عطلة نهاية الإسبوع. سيارة مرسيدس ٠٨٧ بيضاء مكشوفة ذات مقعدين ؛ لذلك لم يكن هناك مجال للشك فى أن أتعامل مع روبيرتو باعتباره سائقاً ، وأن أجلس فى المقعد الخلفى.

كان روبيرتو يرتدى ملابس ملائمة أكثر منى لحرارة الشمس. كان يلبس بنطلون كتان لونه أزرق داكن وحذاءً خفيفاً وقميصاً أبيض بياقة زرقاء ، وجيوب لها أطراف زرقاء. كل ما استطعت أن أفعله هو أن أخلع رباط العنق وأضعه مع سترتى وحقيبتى فى صندوق السيارة.

قال روبيرتو وهو يطمئننى: "سيكون الجو أكثر اعتدالاً كلما صعدنا إلى أعلى".

قاد السيارة بسهولة وبسرعة ، وهو يجتاز المرور دون أن يظهر عليه أى ضيق ، عندما كان يعترض طريقه سائقون غير أكفاء أو أنانيون . ظل - وهو يتحدث - يتابع بعينيه حركة المرور أمامه ، ويلقى نظرات صغيرة متكررة إلى مرآة القيادة. سألنى عن طبيعة الطقس حالياً فى إنجلترا، دون أن تبدو منه أية إشارة تدل على أنه

ليس صديقاً للعائلة تطوع ليأخذنى من المطار سوى العبارة التي قالها في البداية: "اسمح لى أن أحمل حقيبتك، سيدى" وكذلك عادته في أن يرصع أية ملاحظة ، أو تعليق بيديه باسمى. أعلمنى أن بداية الصيف كانت سيئة جداً، ولكن كان الجو الآن مشمساً وحاراً طوال اليوم ويكون المساء معتدلاً بفضل نسيمات الهواء اللطيفة. رغم أنه كان يتحدث بلكنة أجنبية واضحة، كانت لغته الإنجليزية تدل على أنه اعتاد الحديث اليومي مع من تعد الإنجليزية لغتهم الأم. كان بالفعل شخصية جذابة، واندعشت أن يكون زوج مارجو فكر في توظيفه. خمنت أنه إيطالى.

وكأنتى كنت أفكر بصوت عال، قال لى فوراً. "أنا قادم عبر الحدود ولكننى أعمل لدى السيد والسيدة ديدكو منذ خمس سنوات. نعم، سيد ماثيوز، بدأت العمل مع الأستاذ في السنة السابقة لمرضه".

صعدت السيارة بدون جهد الجبال ، التي تناثرت فيها الفيلات البيضاء التي تكسوها الجهنيمات. كان يتخلل حدائق النجيل الفسيحة ذات اللون الأخضر الزاهى بعض أشجار الزيتون تذكره بالزمن الذي كانت هذه التلال يزرعها فلاحى "البروفينسال".

"السيد ماثيوز-هناك إلى أعلى "سانت بول دى فينس"، قال روبيرتو وهو يشير إلى مجموعة من المباني رائعة المنظر على خلفية من الحجارة الرمادية.

"توريت" على بعد عشرين دقيقة أخرى من هنا."

تركنتى روبيرتو لأفكارى خلال بقية الرحلة. كنت فى حاجة إلى هذا الوقت لكى أعد نفسى لما سيكون - على أقل تقدير - عطلة نهاية إسبوع صعبة. كان اليوم يوم السبت وكنت قد تلقيت المكالمة التليفونية مساء يوم الأربعاء فقط. كانت مارجو قد قالت لى إن جراهام أعرب عن رغبته فى رؤيتى. هل كان فى إمكانى أن أطير إلى "نيس" خلال عطلة نهاية الإسبوع ؟ سترسل لى بالطبع تذكرة ، وسيكون هناك من يحضرنى من المطار. كان على أن أحسم رأى فى تلك اللحظة. لم يكن الأمر سهلاً - خاصة وأنتى كنت أشك أن جراهام قد طلب بالفعل حضورى. كانت قد مضت تسع أو عشر سنوات منذ آخر مرة سمعت صوتها فيه - صوت المرأة التى كانت - لفترة قصيرة ومضطربة من الوقت - زوجتى. بالطبع كنت أعرف أن جراهام ديدكو، الرجل الذى عملت لديه لعدة سنوات ، والذى حقق ثروة طائلة من وراء الأنايب البلاستيك، الرجل صاحب الذكاء الحاد ، والقسوة ، التى كان يمارسها حتى على نفسه، كان قد بدأ منذ فترة من الزمن رحلته باتجاه طفولة ثانية. كنت قد خزنت المعلومات فقط دون أية مشاعر فى هذا أو ذاك الاتجاه ؛ فى حقيقة الأمر، عندما تبدأ زوجتك علاقة غرامية مع شخص يعتبر صديقك ورئيسك فى العمل، ويقومان بإبلاغك - وكأنك شخص لا علاقة له بالأمر-أنهما ينويان الزواج ، فهذا يعنى أن تنقلب حياتك رأساً على عقب . أن تضطر لبدء حياتك من جديد ، وأنت فى الخمسينات من العمر يعنى أن تضطر لمواجهة نفسك بعنف.

استطعت بشكل ما أن أفعل ذلك ، ولكن دون أى حماسٍ أو نجاح .  
لم أكن أملك مقدرة جراهام على العمل الشاق ، أو قدرته على أن  
يجمع حوله أناساً يستطيعون خدمة مصالحه، إضافة لعناده القوي .  
"مشكلتك يا جاك،" أتذكر أنه قال لى مرة ؛ "هى أنك لا تقتحم الأمور  
بعزيمة كافية." رغم أن الأمر كان محرّجاً لى، لم يقدر له أن يكون كذلك -  
فجراهام كان فى أعماقه رجلاً عطوفاً . أعتقد أنتى كنت محظوظاً  
بخروجى من الأمر بمكافأة كبيرة ، وإن كنت أشعر أنها كانت مقابل  
عدم قيامى بوضع أية عقبات أمام إجراءات الطلاق أكثر منها مقابل  
الخدمات التى قدمتها لشركته . مجال الأعمال - يجب أن أعترف - لم  
يرق لى كثيراً وما كنت لأنخرط فيه لولا صداقتى غير المتوقعة مع  
جراهام ، والتى قامت أساساً على اهتمامنا المشترك بلعبة البريدج .  
عندما انتهت هذه الصداقة فى غير أوانها لم يكن ممكناً أن أستمر فى  
شركته .

خلال سنوات زواجى من مارجو كنت أقول لنفسى كثيراً - ولها  
أحياناً - إنه لولا الحاجة لتوفير مصدر معيشة يوفر لنا حياة مريحة  
لكنت قد فضلت أن أكون كاتباً . فور أن تم الطلاق أصبحت حراً لتحقيق  
ذلك . لكن ربما جاءت هذه الفرصة متأخرة ؛ فالروايتان اللتان كتبتهما  
منذ هذا التاريخ افتقدتا وهج روايتى الوحيدة التى تم نشرها . مع  
الطلاق أصبحت حياتى حياة وحدة ، وأصبح مستوى معيشتى أدنى من  
المستوى الذى استمتعت به خلال عملى لدى جراهام . كنت أحمل فى  
تلابيب ذهنى خلال أيام الزواج فكرة أنتى، لو تحررت مرة أخرى،

يمكننى أن أحقق تلك الأحلام الجنسية التي يحلم بها كافة الأزواج باستثناء الأزواج السعداء. لكن حتى هنا أيضاً لم تتحقق الأمور مثلما تصورت ، وبدأ كبير السن يلوح في الأفق على نحو كئيب، ولم أكتشفه إلا بعد أن فقدت مارجو ، وعرفت مدى حجم أهميتها في حياتي.

في طريق صعودنا كنت قد حسبت أن مارجو الآن تبلغ من العمر الخمسين. أصغر منى بست سنوات ، وأصغر من جراهام باثني عشر عاماً . هذا كان يعنى أن جراهام المسكين - رغم حدة ذكائه - كان قد بدأ انحداره نحو الشيخوخة في سن مبكرة نسبياً.

وصلنا عند " الماس x " المملوكة لعائلة ديدكو ، والتي كانت تحمل اسم كيز هيرونديل" بعد أن تجاوزنا "سانت بول". تم شراؤها - كما قيل لى - بالأموال التي ربحها من صفقة سيارات الأوتوبيس مع الحكومة الإيرانية التي استطاع جراهام بشكل ما أن يقحم نفسه فيها . كان الأمر بعيداً تماماً عن الأنايب البلاستيك . كنت لا أزال أعمل معه آنذاك . كنت قد قمت - بالنيابة عنه - بزيارة طهران مرتين ، وكنت مسئولاً عن عمل الترتيبات ، والتي كان بموجبها سيحصل جنرال محلى لديه نفوذ كبير مع البلدية على نصيب كبير من الصفقة. أنا نفسى لم أحصل على الكثير من هذه العملية ؛ باستثناء شكر جراهام ، وعدة أمسيات تخللتها الفودكا ، وأفضل كافيبار في العالم في صحبة الجنرال في أفخم مطاعم شيرمان ، فجراهام رغم كل رفته وإسرافه لم يكن رجلاً كريماً جداً.

كانت العزبة تقع فى أطراف قرية "توريت" ، وتمتد أراضيتها على مساحة تزيد عن هكتارين. كانت تطل على مناظر رائعة بما فيها أجزاء من البحر. لم تسمح الأشجار المصفوفة على جانبى الطريق الخاص برؤية المبنى الحجرى الأنيق إلا بعد أن وصلت السيارة أمامه. خرجت مارجو لترحب بى ، فى حين أخرج روبيرتو حقيبتى وسترتى من صندوق السيارة.

لا شك أن شمس "الريفيرا" فى فرنسا ، والملابس الأنيقة البسيطة، والحياة المريحة التى كانت تعيشها ساهمت جميعاً فيما كان يبدو عليها من انتعاش. قلت لها إنها كانت تبدو رائعة ، وكنت أعنى ما أقوله. قدمت لى خدأ لونه أسمر من الشمس لكى أقبله ، وقالت لى فوراً إننى أبدو بحالة جيدة، وكنت أعلم أن هذه كذبة، وكذبة لا داعى لها، فمن الصعب أن أبدو بخير حيث لم أكن أشعر بذلك ، كما أننى لم أكن أعيش تلك الحياة التى تسمح لى بأن أبدو شيئاً آخر سوى أكبر من سنى. منذ ثمانى سنوات فقط - ذكرت نفسى - كانت هذه المرأة زوجتى.

قالت لى: "من الصعب أن نضمن الطائرات ؛ لذلك تناولنا وجبة الغذاء بدونك. لقد أدخلت جراهام الفراش لكى ينام القيلولة. أعلم أن الوجبات التى يقدمونها على الطائرات كريهة ؛ لذلك سأرسل لغرفتك صحناً من السلمون البارد والسلطة. أقترح أن تنال قسطاً من الراحة بعد رحلتك ، وأن نلتقى جميعاً لتناول المشروبات بجانب حمام السباحة الساعة السادسة."



قادتني خادمة إلى غرفة نوم ملحق بها حمام؛ كلاهما كان مكيف الهواء . أخذت دشاً ، وعندما عدت إلى غرفة النوم وجدت الوجبة التي وُعدت بها ، ومعها كأس موس الفراولة - الذي كان واضحاً أنه مصنوع في البيت . في منتصف المائدة ، كانت زجاجة "سانكير" - لم يفتني أنه نوع النبيذ الذي كانت هي وأنا نمتع أنفسنا بتناوله عندما كانت ظروفى المالية تسمح بذلك - موضوعة في دلو للتلج . نظراً لأنه سبق فتحها ملأت لنفسى قدحاً وارتشفت منه وأنا أزيح ستائر الغرفة إلى الورداء وأشاهد الجنائنى وهو يضع الرشاشات على العشب. ثم جلست لأتناول السالمون ، وسكبت لنفسى قدحاً آخر ، وفكرت فيما تبقى من اليوم والغد . كانت عطلة نهاية الإسبوع تعد بأن تكون مشوقة: فأكيد، إذا كان جراهام لم يفقد شهيته لكل الأشياء الطيبة ، سيكون الطعام والنبيذ من أفضل الأنواع. كذلك كان من المثير أن أكون مرة أخرى على مقربة من مارجو. لماذا تم دعوتى لهذه العطلة بعد أن مرت عطلات عديدة منذ أن تم طلاقنا أنا وهى وزواجها مرة أخرى دون أن تُقدم لى دعوة مماثلة؟

سكبت لنفسى قدحاً ثالثاً . لكنى وجدت أن مذاق النبيذ لا يتماشى مع الفراولة ، ومع ذلك أكملت القدح . ثم أغلقت التكييف ، وخلعت ملابسى ، ودخلت عارياً بين الملاءات الباردة.

نمت بعمق ، واستيقظت بطعم كريبه فى فمى .

نظرت إلى الوقت لأجد أنني نمت أكثر من ساعتين ، وأنه أمامي من الوقت ما يكاد يسمح لي بارتداء ملابسى ، واللحاق بموعد الساعة السادسة بجوار حمام السباحة.

كان الاثنان وحدهما بجوار حمام السباحة. كان جراهام جالساً على كرسي عمودى من قماش القنب تحت ظلال مظلة خفيفة مثبتة فى كتلة من الأسمنت؛ كان مرتدياً بنطلوناً أبيض من الكتان ، وتى شيرت مزين برسوم زهرية ، وصندلاً. قامت واقفة عند اقترابى ، وقادتني ناحية جراهام - الذى نظر إلى أعلى عندما وضعت يدها على كتفه.

قالت له. "إنه جاك، عزيزى. إنه جاء من لندن ليراك."

كان وجهه الآن أكثر طولاً ونحافة ، وكان هناك قدر من الارتخاء فى فكه دليل على المرض الذى ضرب خلايا مخه. التعبير الوحيد الذى لمحتة فى النظرة السريعة التى وجهها لى كان تعبير الشك العدائى.

سألته. "هل تتذكر صديقك القديم جاك؟"

"آه نعم،"

قال بصعوبة ورفع يده اليمنى من على ذراع الكرسي ومدها لى. كانت مصافحته خالية من قوة القبضة ، وكان واضحاً أنه لم يتعرف على . أشاح بوجهه فوراً . أشارت لى بإحضار كرسي ، والجلوس بجواره من الناحية الأخرى. سألت:

"ماذا تشرب؟ نحن نشرب جن وتونيك."

"هذا يناسبني تماماً."

"تتج وليمون؟"

"شكراً."

ذهبت هي إلى الداخل ، وظللت أنا مع جراهام. كنت أتمنى أن يقول شيئاً لكنه عاد للتحديق عبر حمام السباحة الكبير وجزيرته الصغيرة في وسطه وشجرة السمن الوحيدة بها. أعددت في ذهني بعض الأشياء التي يمكنني أن أقولها قبل أن أعلق بأن لديهم مكاناً جميلاً.

نظر لي نظرة جانبية سريعة لا يمكن وصفها إلا باعتبارها نظرة ازدراء.

"من حظكم أن أحداً لم يبن فيلات أخرى هناك،"

قلت وأنا أشير إلى الأفق المفتوح. من الواضح أن عقله المضروب كان يفكر في أشياء أخرى ؛ لأنه عاد لينظر لي بشك، ثم مد يداً كالمخرب ، ورفع بصعوبة بعض اللوز المملح من الصحن أمامه.

أقبلت على تناول بعض منه وعلقت بالقول إنه جيد جداً.

قلت ضاحكا : "إنه يشجع على تناول المزيد" ، ولكنني لم أستطع هذه المرة أيضاً أن أصل إليه. وجدت نفسي أتمنى عودة مارجو.

فجأة، وهو ينظر إلى أسفل إلى ما تبقى من اللوز في كف يده، قام بحركة مضغ بشفتيه، وقال بنبرة خفيضة وحميمية: "الزيتون الأسود - كالاماتا أفضل نوع" - ووضع بحرص اللوز في الجيب الأعلى لقميصه.

سألت مارجو بعد عودتها:

"هل استطعتما أن تتحدثا قليلاً؟ فكرت في أن أترككما وحدكما لبعض الوقت."

اقترحت.

"ربما جراهام يريد بعض الزيتون الأسود."

نظرت لى فى دهشة.

"لا، هو لا يحب الزيتون. لماذا، هل قال شيئاً عن ذلك؟"

"لا بهم،"

قلت وأنا أشعر بلممتنان إنها كانت كريمة فى الجن. انحنت ناحيته

وقالت برفق:

"نحن صامتين جداً هذا المساء، أليس كذلك؟ هل تستمتع بكأسك؟"

هل تريد أن أزيده لك؟"

أوماً برأسه ، والتفتت لى . قالت لى وهى تمر وتبتسم ابتسامة

تأمرية :

"سأضيف لك تونك أكثر."

قلت له :

"لقد مر وقت طويل."

أخذت كأسى ، وأحطته بكف يدي وأنا أشعر ببرودة الثلج.

أضاعت ابتسامه ملتوية وجهه للحظات ، وظننت أنه سيقول شيئاً ،  
ولكن مارجو قاطعته بعودتها .

قالت له : "خذ لوز زيادة"

قدمت له الصحن وأصافت:

"الطبيب يقول إنه يجب أن يأكل أكثر مما يأكل الآن، يقول إنه  
لا يهم ماذا يأكل ، ولكن الأهم هو أن يأكل أكثر."

أخذ جراهام بحرص ثلاث لوزات من الصحن بيده اليمنى ،  
ووضعها في كف يده اليسرى .

قالت "جاك جاء من لندن خصيصاً ليراك".

قدرت حجم جهودها ، ولكن كان من الواضح أن جراهام الآن لم  
يكن يعرف من هو جاك ، ولماذا يجب أن يأتي من لندن لإزعاجه وهو  
بجوار حمام السباحة .

وجدت نفسي أشرب أكثر مما كنت أريد حتى أستطيع اجتياز  
الأمسية .

"قررت أن ننهي ليلتنا مبكراً ،" أعلنت مارجو . "غداً الأحد ، وسيأتي  
بعض الأصدقاء للغداء ؛ هم ناس يعرفهم جراهام منذ فترة طويلة."

قدم لنا روبيرتو وجبة باردة عند حمام السباحة . بحلول ذلك الحين  
كان جراهام منغلماً على نفسه تماماً؛ لذلك تحدثنا أنا ومارجو . ذكرتني  
أنا عندما افترقنا وتزوجت هي من جراهام ، كنا قد اتفقنا على أن  
نظل على اتصال ، ولكن لم يكن لدى أي منا الرغبة في التراسل .

”على الأقل أتمنى أن تكون سعيداً الآن؟“

سألت وكأنتنى أنا الذى هجرتها فى محاولة جامحة للبحث عن  
السعادة.

أجبت بصدق:

”ليس تماماً“.

قالت بتأمل:

”البعض منا خلق لى يكون سعيداً والبعض الآخر لا ، وأنت  
يا عزيزى رغم كل مواهبك تنتمى إلى المجموعة الأخيرة.“  
كانت تجلس على رأس المائدة ، وأنا على يمينها.

فجأة، وكأنه يتعمد قطع حديثى مع مارجو، قلب جراهام صحنه  
الملىء بالسلطة وصدور الديوك على الأرض، فى حين ظلت عيونه مثبتة  
على بعداء غير خفى.

”هذا غير لطيف منك يا عزيزى،“

قالت وبدأت فى الزحف تحت المائدة لجمع الطعام المتناثر.

ساعدت فى جمع بعض قطع الخس التى وجدت طريقها إلى  
حذائى.

اعتذرت قائلة:

أخشى أنه سيكون صعباً بعض الشيء التعامل معه اليوم. أعتقد أنه ربما نتيجة الإثارة التي سببتها زيارتك.

جلسنا لبعض الوقت ، وشربنا بعض البراندى لم يشارك فيه جراهام، ثم قالت إنه قد حان الوقت لكى تأخذه لينام.  
قالت: "لا تسهر".

تبادلنا نحن الثلاثة تحية المساء وتجوّلت - ومعى كأس البراندى - لاكتشاف المساحة المحيطة بالمتزل ؛ ولكى أفكر ملياً فى الدافع وراء دعوتها لى فى عطلة نهاية الإسيبوع. كنت أعلم من خبرتى أن نوافع مارجو لأى شىء كانت تفضله لم تكن أبداً واضحة

نمت نوماً سيئاً. ربما فى أعماق ذهنى تصورت أنتى سأسمع طرقاً خفيفاً على باب غرفتى بعد أن تكون قد أدخلت جراهام الفراش.

استيقظت متأخراً فى اليوم التالى ، وكنت أول من جلس بجوار حمام السباحة ، ومعى رواية اشتريتها من المطار ، ولم أكن متوقفاً أنتى سأنجد وقتاً لقراءتها. انضم لى مارجو وجراهام متأخرين. أحسست أنها كانت تبدو متوترة ، وأن مزاجهما لم يكن على ما يرام. عندما جاء روبيرتو وأخذ جراهام معه فيما عرفت أنها جولته اليومية حول الحديقة قالت لى مارجو إن عملية إدخاله إلى الفراش كانت منهكة جداً.

شرحت لى: "فى النهاية رتبت الفراش الآخر فى غرفته ، ونجحت فى أن أجعله يخلد إلى النوم" ، ثم قالت لى إن الناس الذين دعتهم على

الغذاء سيأتون قريباً. إنه تغيير بالنسبة لجراهام ، وهم ناس يعرفهم منذ فترة طويلة ، ويشعر معهم بالراحة.

كان أول من وصل زوجان ؛ هما بيتر وبيجي موسجريف. كانا أمريكيين، وكان هو رجل أعمال متقاعد. كان من الواضح أن جراهام يشعر بتكف أقل معهما ؛ لأنه فجأة أعلن: "جاك أقدم صديق لى."

ثم طرح الزوجان على الأسئلة التقليدية ، وشرحت لهما أننا كنا أصدقاء قدامى ، وأتني عملت لديه لفترة من الوقت . أحسست أنه لم يكن هناك داع لذكر أن الشيء الرئيسى المشترك بيننا كان مارجو.

ثم وصل ثلاثة ضيوف آخرون: سير فيليب والليدى شىء ما - كان قد عمل سفيراً لنا فى عدة عواصم شرق أوسطية. آخر من وصل كان رجلاً هولندياً ضخماً البنية ، مائلاً للسمنة بشكل لطيف، لم أنجح فى التقاط اسمه، ولكن كان لديه القدرة على التعامل مع جراهام ، وكأنه طبيعى تماماً ، وإثارة استجابته أكثر من أى شخص آخر. مع هذه الإضافات إلى الحفل عاد جراهام للحياة بشكل مؤقت ، وتم فتح زجاجة شمبانيا. لكن كان من الواضح أن المجهود استنزفه ، وسرعان ما انتكس إلى حالة الكآبة السابقة، وعند هذه اللحظة قررت مارجو أنه حان الوقت لتقديم الغذاء. قام بهذه المهمة روبرتو والخادمة التى كانت قد قدمت لى الإفطار فى غرفتى.

عند العشاء كنا نحن الثلاثة فقط. أوضحت مارجو أن جراهام كان يفضل تناول السمك فى المساء ؛ ولذلك تناولنا وجبة من الفيشيسواز



والسمك المشوى والبطاطس المسلوقة وكريمة البروليه. صاحب هذه الوجبة البسيطة نبيذ أبيض محلى حاد المذاق. قام روبيرتو بالتخديم على المائدة بكفاءة بشكل يوحى بأنه صديق يقدم المساعدة ، وليس السائق الذى يعمل أيضاً كسفرجى- ثم تناولنا المشروبات فى الخارج- حيث كان الجو لا يزال دافئاً ويسمح بالجلوس. أشارت مارجو لروبيرتو أنه حر لما تبقى من المساء ويمكنه إذا رغب أن يأخذ السيارة شريطة أن يتواجد صباح الغد مبكراً ليأخذنى إلى المطار.

جلسنا لبعض الوقت فى صمت فى حين كانت آخر طيور السنونو فى هذا المساء تنقض وترتفع فوق حمام السباحة ، والأشجار أمامنا تطويها الظلال. كانت مارجو قد أعطت جراهام كرة كبيرة من البلاستيك ، والتي أوصى بها طبيبه - كشيء يمكن أن يسليه ، وفى نفس الوقت كتمرين لعضلات يده وذراعه.

طراً لى أن اسأله:

"هل تتذكر مباريات الإسكواش التى كنا نلعبها؟"

كانت الإجابة فورية: ابتسامة ملتوية ، ونظرة خبيثة إلى أعلى من عينيه. رد وهو يختار كلماته بحرص:

"نعم طبعاً أتذكر ، لكن كيف استطعت دائماً أن... أن... -  
وارتبك وهو يحاول البحث عن الكلمة البسيطة.

"أن أكسب؟" قلت ضاحكاً:

"لا، ليس دائماً."

"هناك كأس صغير من الفضة فى غرفة المكتب فاز به فى المدرسة فى الإسكواش،"

قالت مارجو ، ولكن بالنسبة لجراهام كان الموضوع قد انتهى ، وإن نظر لى نظرة أو نظرتين جانبيتين سريعتين وكأنتى أصبحت جديراً بأن يحاول إدراك هويتى.

"أعتقد أن هذا يكفيك الآن ،"

و أخذت قدح البراندى منه. قالت لى وهى تساعد على اجتياز النوافذ الفرنسية ودخول الصالة

"خذ كأسك إلى غرفة المكتب ، وسأكون معك خلال نصف ساعة ، أو فى حدود ذلك."

تركت البراندى دون أن أكمله ودخلت إلى المنزل. كانت الأرفف المزدهمة تدل على أن قراءات جراهام اتسعت لتتعدى نوعية الأدبيات الشعبية ، التى يفضلها البعض كنوع من أنواع التسلية، وكشكل من أشكال ملء الفراغ ما بين عمل الأموال، وبين عد ما تم تحقيقه حتى الآن. أخذت طبعة أولى من كتاب برايتون روك ، وأنعشت ذاكرتى حول روعته الأولى. كان من اللافت أن المكتبة لم يضيف إليها شىء منذ الخمس السنوات الماضية؛ فمارجو لم تقرأ أبداً سوى المجلات.

قالت بعد أن عادت متأخرة جداً.

"لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدون ماريما، أحياناً يكون جراهام عنيداً. اليوم تصورت أنه لن يسمح لنا أبداً بأن نجعله يرتدى بيجامته - كأننا كنا نحاول أن نقتله."

جلست بإرهاق في الكرسي أمامي وكأسها في يديها. قمت واقفاً ووضعت مائدة صغيرة بجانبها.

سألتني: "مازلت لا تدخن؟" وعندما قلت إنني لا أذخن طلبت مني أن أذهب إلى الدرج الكبير للمكتب وأخرج منه علبة سجائر وكبريت. "إنها متعة أسمح بها لنفسى بعد أن يكون قد مضى للفراش." أشعلت لها السيجارة، ثم بحثت حولي عن طفاية، وأحضرتها من عتبة النافذة.

"كيف وجدته؟"

كشرت. "لست واثقاً مما كنت أتوقعه. أعتقد أن الوضع أسوأ مما كنت أتصور. ماذا يقول الأطباء؟"

قالت: "يأخذ أدوية عديدة، ولكنى أعتقد أنها مخصصة لي أكثر منه. المفروض أنها تجعله هادئاً. من الصعب أن أتقبل أنه ينسحب بعيداً وليس هناك ما يمكن عمله لوقفه... لوقفه من الانسحاب بشكل كامل."

نظرت بعيداً عنى وشدت على سيجارتها.

قلت لها: "أنا أسف يا مارجو".

قالت. "لا أحد يستطيع أن يقول إنني غير مسئولة عن الوضع الذي أنا فيه،" ونظرت لي وضحكتنا نحن الاثنين. أضافت: "الشيء الوحيد الجيد هو أنه لا يشعر بما يحدث له. بالطبع - كما ترى - لست في حاجة لشيء. ومع ذلك لم تكن الحياة سهلة خلال الأعوام القليلة الماضية. عندما بدأ يتصرف بغرابة وينسى، ثم ذهبنا إلى الطبيب لم أصدق أذنى - جراهام الذي كان يفتخر بالحفاظ على شبابه، الرجل الذي لم يقدم أية تنازلات مع نفسه أبداً."

قطعت صمتها. "هل هو الذي طلب أن يقابلني فعلاً؟"

اعترفت "لا".

انتظرت على أمل أن تضيف شيئاً آخر، ولكنها ظلت صامتة، تدخن سيجارتها بعصبية، وتطلق سحباً من الدخان.

"لم أتصور ذلك فعلاً - كان يبدو عليه أنه لا يعرف حتى من أنا."

"آه، هو يتذكرك أحياناً - عادة ما يكون بخصوص شيء في بداية تعارفكما. هو لا يستطيع أن يتذكر ماذا تناوله على العشاء، ولكنه فجأة يتذكر قصة حدثت منذ سنوات عديدة. الشيء الفظيع هو أنني أحياناً أتصور أن الأطباء مخطئون وأنه يتحسن، ولكنه يعود ليتصرف بغرابة؛ مثل التبول على حذائه، أو تقطيع الملابس. لا، اعتقدت أن رؤيته لك قد تكون مفيدة له، بل شعرت أنها قد تكون مفيدة لي أيضاً."

كما ترى جاك، أنا وحيدة تماماً فى كل هذا. لقد شاهدت معظم أصدقائنا على الغذاء. الوحيد الذى أهتم به هو هوينجير العجوز، إنه شخصية ممتعة ومصدر عزاء قوى، ولكن لديه أجنדתه الخاصة فى كل هذا...

قلت بخبث: "حقاً؟".

"هو أرمل وكان يحمل تجاهى دائماً إعراراً خاصاً."

"هل أفترض أنك تحرمين جراهام من شىء؟" أومأت. "و أنت لست الفتاة التى ترضى بحياة العزوبية."

"الغريب أنه رغم إعجابه بى، لا أعتقد أنه يرغب - فى ظل هذه الظروف - فى إقامة علاقة عاطفية معى. إنه يود أن أصبح السيدة هونيجير- وهو يعتبر أكثر الرجال ثراءً فى هذه المنطقة من "كان".

"و روبيرتو؟"

لم أستطع أن أمنع نفسى من السؤال.

أجابت: "هو جذاب لا شك، ولكن أمره واضح - كذلك يا عزيزى ليس من اللائق أن يذهب الواحد إلى الفراش مع سائقه."

أخذت سيجارة أخرى وقمت واقفاً وأشعلت عود كبريت.

"أنا أسف مارجو،" قلت وضاغيت على كتفها.

قالت: "أعلم أنك أسف. جاك، أنت دائماً كنت شهماً جداً... فى نهاية الأمر لك كل الحق أن تقول إننى استحق ما يحدث لى."

”آه، لو كنا جميعاً سننال ما نستحقه من عقوبة، كما قال أحدهما،  
فمن منا سيفلت من حبل المشنقة؟“

سألت: ”و أنت؟ هل كتبت أية كتب جيدة مؤخراً؟“

”يقول الناس إن بداخلنا كتاب واحد جيد-ربما كتبت أنا كتابي  
هذا منذ خمسة عشر عاماً. وحتى هذا الكتاب لم يحقق نجاحاً يذكر.“

”ماذا كان اسمه؟“

نظرت حولها كأن العنوان يخلق في متناول يدها

أحسست بألم لعدم تذكرها.

”امرأة اسمها الغد-إنها فقرة مقتبسة من شعر الأمريكي كارل  
سانديبورج.“

قالت

”آه نعم، كان حقاً جيداً جداً. ربما صدر في التوقيت الخاطيء.“

”على الأقل نجح في أن يُنشر ككتاب ورقي الغلاف. تم عرضه  
للمراجعة مؤخراً لكن تقرر عدم إعادة طبعه.“ هزرت كتفى.

”أكتب شيئاً الآن ولكنني مضطراً للكتابة بكثرة مقابل أجر لإبعاد  
الذئب عن باب بيتي ؛ ولذلك لا يتبقى لى وقت كثير.“

”و اهتمامك الأخرى فى الحياة؟“

نظرت لها نظرة سريعة ، ورأيت أنها تعنى ما اعتقدت أنها تعنى.

"لا شيء ... لست مستعداً لمقايضته مقابل كتابة رواية مقبولة."

تنهدت بعمق وقالت:

"إنها حياة غبية. أرجو أن تصدقنى أنتى لم أتزوجه من أجل أمواله."

"أنت لم تتزوجيه فحسب، أنت تركتيني من أجل ذلك- وأنا كنت مغرماً بك جداً."

"أحياناً لم تظهر ذلك بالقدر الكافى."

"أعتقد أنتى لم أفكر فى جراهام باعتباره غريباً محتملاً . ربما كان على أن أفعل ذلك."

"أعطانى شعوراً بالأمان - ولا أعنى الأمان المادى فقط."

ذكرتها:

"لقد جمع الجزء الأكبر من ثروته فى واقع الأمر بعد أن تزوجك."

قالت: "هذا صحيح".

"وترك المسكينة... ماذا كان اسمها؟"

قدمت لى الاسم "سوزان". لقد تزوجت مرة أخرى ، وفجأة بدأت

فى إنجاب الأطفال ، وهو شيء لم ينجح جراهام فى تقديمه لنسائه."

"هل أنت أسفة - على نفسك أعنى؟"

"إننى لم أنجب أطفالاً؟"

بدت وكأنها تفكر ملياً فى السؤال، ثم هزت رأسها.

"لا، لقد شفيت من هذه الغريزة بعد أن أصبح لى زوج غير قادر على ضبط نفسه . على أية حال كل هذه أمور عفا عليها الزمن كما يقولون".

وجدت نفسى أسألها: "و لماذا لم تنجب نحن طفلاً؟"

"لأنك دائماً كنت تقول إنك لا تريد أطفالاً ، وكان لدى من الأمانة ما لا يسمح لى بعدم احترام رغبتك".

أشرت لها "أعتقد أننى كنت أشعر أنه لم يكن هناك ما يكفى من المال".

قالت "لا يوجد أبداً ما يكفى".

"إنه قدر معظمنا. قليل من الناس هم الذين يملكون منازل فى الجنوب الفرنسى ، وسيارات مرسيديس ، وكل ما يتعلق بهذا النمط من الحياة".

قالت: "و ماذا يعنى كل ذلك؟ هذا لا يمنع أن يكون المرء وحيداً كالكلب - أو الكلبة إذا أردت"

وابتسمت ابتسامة ملتوية - ابتسامة كنت أعرفها جيداً، ابتسامة



كانت تقول، "أعرف أن كل هذا يبدو كأنه تمثيل مسرحي ، ولكنني حقاً صادقة وصريحة."

وهي ترفع نظرها لي انعكس ضوء المصباح على الدموع التي ملأت عينيها. ثم، وكأنها قطرة مياه صغيرة معلقة في صنوبر سالت دمعة على خدها. كنت قد رأيت مارجو تبكي كثيراً وعادة كنت أنا السبب وكان ذلك دائماً يشعرني بالحزن والذنب - وأيضاً بالمحبة التي يصاحبها رغبة في التلامس الجسدي.

مشيت ناحيتها ووضعت يدي على كتفها. هذه الحركة فجرت مزيداً من الدموع التي سالت على وجهها...  
"أنا أسفة."

أعطتني سيجارتها ، وأشارت لي أن أطفئها عندما جلست على ذراع الكرسي وضعت يدها حول رقبتى ، وأنزلت رأسي إلى أسفل لتلتقي بشفاها. ذقت طعم الكحول و الدخان في فمها وملح الدموع. كان طعم الدموع دائماً يثيرني. طرأت في ذهني فكرة أنه ليس هناك من يتعين عليّ أن أكون مخلصاً له. عندما انتهينا مررت يدها على جبتي الرطبة في حنان.

كنت أنا أول من لاحظ هيئة جراهام لابساً بيجامة بيضاء واقفاً عند الباب المفتوح لغرفة المكتب ، وظلام الدهليز من ورائه. تتبعت هي اتجاه نظرتي. تحركت جانباً ، وأسرعت بإنزال تنورتها وقامت واقفة.

"أه، أنت ولد شقى. ألا تستطيع النوم؟"

و أخذته من ذراعه وخرجت به من الغرفة.

حشوت سروالها الداخلى فى جيب سترتى ورشفت ما تبقى من الشارتوز الأخضر الذى كانت تشربه. انتظرت عشرين دقيقة ولكنها لم تعد.

نمت مرة أخرى بشكل سيئ. كنت قلقاً حول ما قد يكون جراهام شاهده أو سمعه ، وحول ما إذا كان عقله قادراً بالفعل على استيعاب مغزى المشهد الذى شاهده. وهل كان الأمر يهم؟ ظللت أسأل نفسى. كما قالت هى بنفسها، لم تكن تحرمه من شىء . وما كنت أريده فى تلك اللحظة كان وجودها وأيضاً تأكيدها - حتى وإن كان موجزاً - على أن ما حدث كان يعنى لها أكثر من مجرد إشباع رغبة جسدية. كنت أيضاً أود أن أسألها عن السبب الحقيقى وراء دعوتها لزوجها الأول لقضاء عطلة نهاية الإسبوع مع زوجته السابقة ، وزوجها المريض؟

تناولت إفتارى مرة أخرى فى حجرتى. عندما نزلت وجدت جراهام جالساً فى كرسيه المعتاد بجوار حمام السباحة. اقتربت منه بتوجس شديد ، ولكنه كان يبدو فى حالة ودوداً ، حتى أنه قام بالإشارة إلى المياه ، وكأنه يقترح على أن آخذ غطساً - أو هكذا تصورت.

"أخشى أنتى راحل هذا الصباح."

"هل يجب أن ترحل؟"

"إنهم ينتظروننى فى العمل."

انتظرت مارجو نون جدوى.

أخيراً جاء روبيرتو ، وأبلغنى أن السيدة ديدكو تشعر ببعض التوعك وتعتذر عن الحضور. وسألنى عما إذا كنت قد حزمت أمتعتى وتهيأت للذهاب إلى المطار؟

كتبت لها خطاب شكر ، وانتظرت على أمل أن ترد علىّ. مرت أربعة أشهر قبل أن ألقى منها رسالة موجزة تخبرنى بأن جراهام توفى نتيجة سكتة دماغية. كتبت لها لأقدم تعازياً ، وكذلك أية مساعدة قد تحتاجها. جاء ردها على هذا الخطاب بعد شهرين ، وفيه أبلغتنى أنها ستتزوج السيد هونيجير- أنت تتذكر أنه حضر الغداء يوم الأحد ذلك . ظللت أسأل نفسى - لبعض الوقت - هل كانت الأمور ستتخذ مجرى آخر إذا كان جراهام لم يظهر عند مدخل الباب تلك الليلة. فى غضون ذلك، ظللت أدخل التغييرات على روايتى ، وتأجيل إرسالها إلى الناشر.

(١٢)

## ابتسامه من بعيد

كان صباحاً مشمساً وكانت التكهات بحالة الجو تشير إلى استمرار اعتدال الطقس طوال اليوم مع نسمة غربية خفيفة. كانت المشرفة قد طلبت منه أن يجلس - إذا أراد - في الخارج لبعض الوقت ؛ لذلك ساعدته الممرضة الجاميكية ؛ التي كان يصر على تسميتها سارة، على نزول السلالم إلى الحديقة - حيث كان قد وضع كرسي بجوار سياج من الشجيرات تعمل كواق من الريح. غطته سارة ببطانية ، وأعلمته أن هناك موس بالشيكولاته على الغذاء.

قال: "حسناً" ، رغم أنه أحس ببعض الغضب من نفسه لاهتمامه بمحتويات الوجبات التي كانت تمثل علامات بارزة على مدار أيامه القاحلة. كان قد حاول من قبل خلال هذا الصباح أن يمسك نفسه من التعليق على أن اللحم الذي تناوله لم يتم طهيه إلى درجة الهشاشة التي كان يحبها.

"يمكنك أن تأخذ غفوة هادئة حتى موعد القهوة،" قالت سارة وهي تميل عليه وتتحدث داخل أذنه اليسرى -أذنه السليمة.

"لا أريد أن أخذ غفوة هادئة، أو حتى غفوة مليئة بالضجيج،"  
قال بفضاظة رغم أنه كان يحب سارة وأضاف: "أريد نسختي من  
جريدة التايمز."

قالت: "سأحضرها لك،"

و أحس بوجودها الوافر وهو يتحرك بعيداً عنه.

من الأرجح أن النعاس قد غلبه لبعض الوقت لأنه عندما أيقظه شعاع من ضوء الشمس تخلل جفونه المغلقة حتى نصفها ، وجد يديه مطوية على نسخة من جريدة التايمز. مثلما كان يحدث كثيراً، لم ينام جيداً تلك الليلة. منذ ما يقرب من السنوات العشر الماضية ، بل في الواقع منذ أن جاء إلى الدار، كان ينام نوم الخدر حتى الفجر، ثم فجأة ينزلق في غيبوبة تامة خلال الساعة أو الساعتين الأخيرتين. كان عادةً يستيقظ بإحساس من الصدمة قبل ثوان قليلة من الطرق على بابه، ودخول إحدى الممرضات ، التي تساعد في تعديل وصادته ، وتضع صينية الإفطار على المائدة المجاورة لفرشه. كانت الصدمة لا شك هي نفس الصدمة التي يعاني منها السجناء المحكوم عليهم بالإعدام: أناس يستيقظون كل صباح على واقع مؤلم يجب أن يتقبلوه كل يوم من جديد. في حالته كان يستيقظ على واقع أنه رجل مسن ونزير في دار للمسنين. كان هذا الطوفان المفاجئ من المعرفة يملؤه دائماً بالخوف ، ويتركه

لاهتاً . كان هذا الإحساس يزداد ألماً ، وهو ما كان يحدث كثيراً خلال تلك الفترة من النوم العميق ، إذ حلم بنفسه وهو أصغر سناً ويعيش حياه أكثر نشاطاً . كان عادة في هذه الأحلام يكون في الشامبا (\*) التي يملكها في "المرتفعات البيضاء" في كينيا . عندما بدأت اضطرابات الماو ماو (\*\* ) أحس أنه يجب أن يفعل الصواب ويعيد زوجته جوين إلى إنجلترا . أما هو فقد ظل باقياً وكان سعيداً رغم المصاعب والمخاطر ، وعندما أرسل لها لتعود مرة ثانية لكي تلحق به كان يبدو أنها اعتادت الحياة في إنجلترا ، أو ربما وجدت شخصاً آخر . لم يفاجأ عندما كتبت له في آخر الأمر تطلب منه الطلاق . عندما زاد العمل في الشامبا عن طاقته أقنعه جار له أن يبيع ويعود إلى إنجلترا ، وقد عاش لبعض الوقت في منزل صغير في قرية جميلة في "هامشاير" ، ولكنه افتقد رحابة المدى في كينيا ، والآن لم يتبق له ذكرى عن ذلك المنزل الصغير سوى برودة الشتاء ، والوحدة الناتجة عن الإحساس بعدم الانتماء .

في أحلامه كثيراً ما كان يجد نفسه يتحدث بلغة الكيكيويو إلى الأولاد - رغم أنه في أثناء يقظته لم يكن مدركاً أنه يتذكر أية كلمات من هذه اللغة . كان هناك حلم متكرر يظهر فيه واحد من الأولاد وهو يسير حاملاً ريبه (\*\*\*) من المياه تتخبط بشكل غير ملائم بسيقانه العارية

(\*) المزرعة باللغة السواحيلية المترجم

(\*\*) حركة التحرر الوطني ضد الاستعمار البريطاني في كينيا ، والتي اندلعت

خلال الخمسينيات من القرن العشرين المترجم

(\*\*\*) القرية باللغة السواحيلية . المترجم

المليئة بالعضلات. خلال الخطوات الأولى كانت المياه تتساقط منها تاركة بقعاً داكنة على الأرض الجافة. ثم حل محل ذلك سيل من قطرات المياه، وإدراك أن الديبه كان بها تسرب. كان يصرخ للولد؛ والذي لم يفعل شيئاً سوى الابتسام له ، والاستمرار في طريقه حتى حوض نباتات الزينة. بعد أن يمشى بخطى واسعة ناحية الولد كان ينتزع منه الديبه ، والتي تكون حينذاك قد أصبحت فارغة تقريباً. ثم كان يسندها على الأرض ، ويشاهد - بانساً - ما تبقى بها من مياه تتسرب منها.

أرغم نفسه على التقاط جريدة التايمز والقاء نظرة سريعة على الصفحة الأولى. كالعادة لم يجد ما يثير اهتمامه. رغم أنه استمر في طلب جريدة التايمز - كان من مصادر فخره أنه الوحيد في الدار الذي يأخذ هذه الجريدة - إلا أنه نادراً ما كان يقرأ أكثر من العناوين العريضة . أجزاء كبيرة من الجريدة الآن كانت مخصصة لمواضيع لم تكن - حتى في أيام شبابه - تثير اهتمامه مثل الرياضة ، الشؤون المالية ، ومن الأخبار العالمية كان يقرأ بالكامل فقط تلك الأخبار المتعلقة بأفريقيا وخاصة أخبار الانقلابات والاضطرابات والمجاعات . نظر إلى برامج التلفاز التي ستقدم في المساء مع ملاحظة تلك التي يتم تركيزها، وألقى نظرة سريعة على الوفيات، ولكنه ذكر نفسه بحزن أن كل الناس الذين يعرفهم - ويمكن أن يظهروا في الصفحة - قد ماتوا منذ أمد بعيد. في أحيان قليلة جداً كان يجد خطاباً في صفحة المراسلات يثير سخطه أو مرجه. حتى الكلمات المتقاطعة التي كان دائماً يستمتع بها، أصبحت الآن تفوق قدراته . مرّ عليه وقت كان قادراً

على إكمال الجزء الأكبر منها، دون أن يترك إلا فيما ندر ركنًا بسيطًا  
دون أن يكمله.

بالطبع لم يكن بالدار مكان كاف لكل مراجعه ؛ ولذلك لم يعد قادراً  
على البحث عن نص من شيلي أو وردزورث. أحياناً-منذ عام أو عامين  
مضياً-كان يحتفظ بالكلمات المتقاطعة ، وينظر إلى الحل في صباح  
اليوم التالي، ولكنه صار يجد - بشكل متزايد - أن مفاتيح الحل  
أصبحت بعيدة المنال ، أو يتعذر فهمها. كان يبدو له أن الأشخاص  
القائمين على وضع الكلمات المتقاطعة تم تغييرهم ، وأنه لم يعد على  
نفس الموجة معهم.

أحياناً كان يفقد متعلقاته الشخصية. حدث سارة مرة عن  
مجموعة كتبه وإسطواناته الرائعة ، وظل يشعر لأيام بعدها بخواء نتيجة  
فقدانه لها. كانت بداية التخلص من الكتب عندما باع الشامبا في كينيا،  
كان قد ترك وراءه الكثير من أئمن الكتب والإسطوانات، حيث لم يكن  
لديه القوة ، أو صناديق الشاي الكافية لكي يشحنهم فيها، وإن كان-  
لسبب ما - قد أخذ معه كل مخزونه من البنطلونات القصيرة  
والقمصان الكاكي، فقط لكي يتخلص منها بعد أن استقر في منزله  
الصغير. ثم، بعد أن باع المنزل الصغير عندما أقنعت ابنته وزوجها  
المحامى أنه لم يعد قادراً على رعاية نفسه، تخلص مما تبقى من  
الكتب-باستثناء نسخة من الإنجيل ، وقاموس إكسفورد ، وطبعة من  
جزء واحد لشكسبير أصبحت حروفها المطبوعة صغيرة جداً بالنسبة له  
الآن. بعائدات بيع المنزل الصغير نجح زوج ابنته في الحصول له على  
غرفة مدى الحياة في "بولدينج هايتس" .



كانت الغرفة طويلة وضيقة ، وكان بها فراش ، وكرسی نو ذراعين ، ومائدة صغيرة أسفل النافذة عليها جهاز تلفزيون ٩ بوصة في حالة عدم رغبته في الانضمام للآخرين في غرفة التلفزيون . كان يحتفظ على التسريحة بصورة باهتة لوالدته ووالده ، ونسخة صغيرة من بورتريه و.ج. مالير ليتهوفن؛ أما صورة ابنته ، فكان يخرجها ويضعها بجوار بيتهوفن عندما كانت تزوره مع زوجها في عيد ميلاده . كان يمتلك أيضاً راديو صغيراً ، وزوجاً من السماعات تمكنه من الاستماع في أثناء فترات أرقه دون أن يزعج أحداً؛ وفي صباح عديدة كان يتم اكتشافه وهو نائم بعمق ، ولا يزال يلبس السماعات مما كان يُضحك المرضيات .

و هو يمسك الجريدة بصعوبة ، وذراعاها الممدودتان تزدادان ثقلاً من الجهود ألقى نظرات سريعة على كل صفحة ، وتوقف للحظات للاستمتاع بصورة النمرة وأشبالها في إحدى حدائق الحيوان الأوروبية، ثم طوى الجريدة ومرر عينيه على مفاتيح حل الكلمات المتقاطعة . كان سيضعها جانباً ويغفو قليلاً حتى موعد إحضار قهوة الصباح عندما قرأ "سيدة عظيمة مدشنة للسفن" (\*)

واستطاع أن يكتب فوراً "هيلين" . مر على كافة مفاتيح الحل مرة أخرى، وتوقف كثيراً عند كل واحد منها - خاصة تلك التي كانت تضم أحرف كلمة "هيلين" ، ولكن لم يطرأ شيء آخر على ذهنه .

كان يعيد الغطاء إلى قلم البيرو عندما تدافع اسم "هيلين" تدريجياً داخل ثنايا عقله .

(\*) إشارة إلى قصيدة « مارلو » حول هيلين من طروادة وتدشينها للسفن المترجم .

مثل حبيبات الرمل الخشنة داخل قوقعة، أثار ذلك قدراً من التوتر واسترعى انتباهه. مال إلى الوراء في الكرسي وعملاً بخبرته، ترك الاسم يطفو خفيفاً في عقله. بعد أن ظلت مغمورة طوال ثلاثة أرباع عمره، خرجت من وحل وعيه الباطن صورة موجزة، ساطعة ونقية مثل اليوم الذي حدثت فيه.

في كابينة ضيقة على مركب وقفت امرأة أمام المرآة. كانت تلف حولها بشكراً ترك صدرها عارياً، في حين استلقى هو على السرير خلفها ينظر إلى حلمتي ثدييها الورديتين، والتي قاربت السواد تملو وتهبط وهي تسرح شعرها. كانت أسنان الفرشاة من الحديد مثبتة في قاعدة من المطاط الأحمر. وهو يمرر لسانه على شفتيه الجافتين تفوه بالاسم "هيلين" وابتسمت له في المرآة وقالت: "سعيد؟" في حين كانت المروحة تدور ببطء في الجو الهادئ لميناء بورسودان.

دفعته سارة برفق وأعادته إلى الحديقة في "بولدينج هايتس".

"القهوة،"

قالت بإشراق.

"اعتدل في جلستك. هيا."

أخذ منها الفنجان، وأمسكه على حجره. عندما انصرف استطاع أن ينتهي ويضع الفنجان على العشب بجواره. تتبع ردفها الكبير وهي تمشي عائدة إلى البيت، تذكر أنها قالت له مرة إنه على الأقل لديه ذكرياته. كان قصدها طيباً ولكنها ذكّرته أن الوقت المخصص

له للعيش قد انتهى ، وأن كل ما تبقى له هو أن يحيا في ذكرياته؛ وهي ذكريات بدأت تتلاشى يوماً بعد يوم. دائماً، وبجهد واع، كان من الضروري إنقاذ الذكريات من السجن الذي حكمت به الشيخوخة عليها ، السجن الذي لم يعد سجانى العقل يغامرون بالذهاب إليه أكثر فأكثر.

تحرك وانزلت الجريدة من على حجره. عندما مال ليلتقطها لاحظ قهوته بجانبه ، ورأى أنها اكتسبت طبقة لا لون لها حركها بعقب قلمه، وشرب نصفها وهو يكشر.

حتى يؤكد أن "هيلين" ليست فقط دليلاً لحل الكلمات المتقاطعة كتب اسمها بحروف كبيرة وبارزة على هامش الصفحة الأخيرة. هـ-ل-ى-ن. أحس بالانتصار: فبمعجزة ما استطاع أن ينتزع من بين ظلمات عقله ذكرى، ذكرى ربما لواحدة من أهم لحظات حياته. كيف - من بين كافة ذكرياته - سُمح لها بأن تغوص بعيداً عن متناول الاستدعاء؟ هل كانت أهواء العقل قد أرسلتها لأسباب خاصة بها - ربما لتجنب الألم آنذاك - إلى النسيان؟

حاول تركيز ذهنه على اسم هيلين وهو يسعى بشكل يكاد يكون عضوياً لانتزاع مشاهد أخرى إلى الوجود. هل كان يعرفها قبل أن يقابلها على السفينة؟ هل لحقت بالسفينة هي أيضاً عند "تيلبوري"؟ ماذا حدث بين تلك اللحظة وبورسودان؟ هل نزلت ربما بعد عدة أيام في عدن؟ لو كانت نزلت في مومباسا فهل كان ينتظرها زوج؟

لماذا لم تتطور علاقتهما أكثر من ذلك؟ هل لأنه في تلك اللحظة كان  
خاطباً ، وكانت خطيبته قد حجزت مقدماً للحاق به في كينيا؟  
أحس بوجود ساره بجانبه وهي ترفع الجريدة عن حجره.  
"هيلين؟"

سمعها تقول بصوتها المنغم الرتيب. وأضافت :

"هل هذا كل ما استطعت أن تنجزه؟"

أبقى عينيه مغلقتين.

و لم تكمل قهوتك،"

قالت ، وهي ترفع نبرات صوتها عدة درجات وكأنها توبخه .

ثم تضايق عندما قرأت ببطء دليل حل الكلمة.

سألته.

"ولماذا تعتقد أن هيلين هي الكلمة الصحيحة؟"

ثم مالت ورفعت الفئجان. قبل أن تنصرف لمست كتف الرجل

المسن بحنان.

بالطبع هيلين هي الكلمة الصحيحة.

خلف جفونه المغلقة امتدت الحرارة الاستوائية ورائحة الموانئ

الأجنبية النفاذة . كانت امرأة نصف عارية تبتسم له في المرآة وهي

تسرح شعرها بحركات متواترة. من وراء صوت مروحة السقف جاء الصوت الرتيب لأغاني الحمالين ، وهم يصعدون خلف بعضهم على ألواح السقالات الخشبية الضيقة والمنحنية إلى جوف السفينة. كان الحمالون السود عديمو الملامح، وظهورهم العارية تلمع، يسيرون وكأنهم على جهاز ألى لنقل البضائع. كان يكاد يسمع من خلال غنائهم الرتيب صوت هيلين وهي تسأل: "سعيدة؟".

## الحبيبة هيلين

(١٣)

## تاكسى له وحده

يقف شاب إنجليزى ذو شعر طويل أشقر بجانب كشك للجراند.  
يلبس سترة رمادية من القطيفة وينطلقاً كاكى واسعاً ، وقميصاً  
مشجراً أحمر. يقف داخل الشارع لعدة أقدام ، فتمضى السيارات قريبة  
منه. وراءه على الرصيف تجلس عدة نساء ريفيات يلبسن السواد  
وبجوارهن السلال ، أو يحملن أطفالهن على أكتافهن؛ يتحدثن بصوت  
عال وخشن كأنهن يتعاركن. تجول عيون الشاب بين الحارات الأربع  
للمرور وهو يتقدم فى طريقه عبر شارع الجيزة الذى يبدأ على بعد عدة  
أميال عند الأهرامات. أغلب المرور سيعبر الجسر عند فندق الشيراتون ،  
ثم يعبر جسراً ثانياً متوجهاً إلى ميدان التحرير ووسط المدينة . البعض  
الآخر سيتجه إلى اليسار عند أول كوبرى ، ويسير بمحاذاة النهر فى  
اتجاه الزمالك.

من حين إلى آخر يندفع الشاب سريعاً إلى قلب حارات المرور وهو  
يصرخ "التحرير" يقولها لأى تاكسى يلمع فيه مكاناً خالياً. بهذه

الطريقة يعرف السائق أن مقصده هو ميدان التحرير. وهم ينطلقون مارين بجواره يلتفت بعض الركاب ناحيته ، ويحدقون فيه أو يبتسمون. من حين إلى آخر يقوم بنقل الكتب الكثيرة التي يحملها من تحت إحدى ذراعيه إلى الذراع الأخرى؛ بعض هذه الكتب رفيع ويكثر انزلاقه من بين الكتب الأكبر. من حين إلى آخر يلقي نظرة سريعة على ساعته؛ وهي حركة عصبية أكثر منها رغبة حقيقية في معرفة الوقت. يكون غير مهياً عندما تنطلق سيارة تاكسي حاملة فتاة بمفردها في الخلف باتجاهه مباشرة. يقفز جانباً وفي نفس اللحظة تنطلق بعض النساء ورائه في الضحك. تقف سيارة التاكسي وهي تحدث صوتاً حاداً؛ تميل الفتاة إلى الأمام وتدفع للسائق. وهي تغلق الباب وتدور للوراء يعتقد أنها قد تكون إحدى طالباته ، ولكنها لا تنظر إليه.

بتردد وكأنه يخشى حسن حظه يسأل السائق:

ميدان التحرير؟

يومي السائق برأسه ، ويدخل الإنجليزي بجواره. يلقي الإنجليزي نظرة جانبية سريعة إلى السائق ، ويجده رجلاً له رقبة سميقة ربما في الخمسينات من عمره ، وله نقرن تميل إلى الشيب. كانت تتدلى من المرآة أمامه نسخة مصفرة من القرآن مربوطة بسير من الجلد، في حين كانت لوحة أجهزة القيادة عليها عدة وصايا حول إكرام الوالدين ، والتوكل على الله ، والحذر من الحاسدين.

يسند الإنجليزى الكتب على حجره ، ويحرق خارج النافذة إلى البوابة الحديدية العالية للسفارة الروسية حيث توقف التاكسى، بعد أن أخذ الحارة الداخلية وراء سيارة مرسيدس بيضاء تحمل لوحات دبلوماسية ، وبها سائق أسود يلبس قبعة. على قمة مجموعة الكتب يوجد كتاب لصامويل بيكيت قارب الإنجليزى على الانتهاء من قراءته. مشاهدة اسم الكاتب يدفعه إلى التفكير فى التوليفات العديدة التى تشكل القانون غير المكتوب للجلوس فى أحد تاكسيات القاهرة إذا كان لك الحظ فى العثور على واحد. وهو يرى الصف الطويل من السيارات أمامهم شرع الإنجليزى يعدد فى ذهنه القواعد التى يجب اتباعها

فى حالة رجل بمفرده ، ويكون-كما فى الحالة الراهنة النادرة جداً-التاكسى خالياً، فيجب - إلا إذا كنت متكبراً، أو لا تمنع أن يراك الناس كذلك- أن تجلس فى المقعد بجوار السائق؛ بالطبع أيضاً وحتى لو كنت متكبراً-يجب أن تجلس فى نفس هذا المكان لو أن هناك امرأة فى المقعد الخلفى. لو أن المقعد الأمامى مشغول برجل، وهناك امرأة بمفردها فى المقعد الخلفى، فعلى الرجل الجالس فى الأمام أن يقدم مقعده للمرأة ، ويجلس هو والراكب الجديد فى الخلف. لو أن هناك امرأة فى المقعد الأمامى، فستنتقل إلى الورا مع المرأة الأخرى تاركة مقعدها بجوار السائق إلى الراكب الجديد. لو أن رجلين ركبا التاكسى وهو خالٍ فبوسعهما أن يجلسا معاً فى الخلف رغم أن أحدهما قد يجلس فى الأمام مع السائق ، ويدور حديث ثلاثى بينهم؛ لو أن هناك امرأة فى الخلف فسيتم دعوتها للجلوس فى الأمام ، وسيحتل الرجلان



المقعد الخلفى. إذا كنت امرأة والتاكسى خالٍ ، فستجلسين فى الخلف؛ لو أن هناك امرأة فى الخلف فستتضمين إليها؛ لو أن هناك رجلاً - أو رجلين - فى الخلف، فسوف تجلسين بجوار السائق. لو أن هناك امرأتين، فإنهما ستقومان بالجلوس سوياً فى الخلف لو كان التاكسى خالياً؛ ولو أن هناك امرأة أخرى تجلس فى المكان ، فسيحشرن أنفسهن جميعاً فى الخلف؛ لو أن هناك رجلاً بمفرده يجلس بجوار السائق، فهذا الوضع مناسب، ولكن إذا كان متكبراً ويجلس بمفرده ، ولا يقوم من تلقاء نفسه بالخروج والجلوس فى المقعد الأمامى، فسيطلب منه السائق أن يخلى مقعده للمرأتين.

يتساءل الإنجليزى إذا كانت هناك توليفات أخرى ، ويفكر أنه لا شك أن شخصية " مولى " لبيكيت كانت ستتكرر مرة أو أكثر . ثم يقول لنفسه إنه يجب أن يسأل أحد أصدقائه المصريين من الأدباء إذا كان أحد قد حاول ترجمة بيكيت إلى العربية.

أدرك أن التاكسى تحرك إلى الأمام ، وينتظر الآن بمحاذاة مدخل فندق الشيراتون. يشاهد ثلاثة يابانيين يرتدون بذلاً وينحنون لبعضهم البعض فى حين يفتح لهم البواب الذى يرتدى زياً خاصاً الباب. ونظراً لأن أياً منهم لا يريد أن يأخذ المبادرة، تقوم سيدتان أمريكيتان مسننتان ترتديان بذلات خضراء بالمرور عبر الباب معا ، وتشقان طريقهما وسط الرجال اليابانيين الثلاثة.

يهتز التاكسى وهو يعاود التحرك ، ويلاحظ الإنجليزى أن السائق قد فتح علبة سجائر مارلبورو. يكرمش الغلاف السيلوفان ويرميه من

النافذة ومن ورائه قطعة الورق الفضية السائبة. يمد العلبة باتجاه الإنجليزى.

"شكراً، أنا لا أدخن،"

رد الإنجليزى بالعربية، بعد أن أعد العبارة فى ذهنه. يغير السائق السرعة مستخدماً يده الحرة ، وينطلق مرة أخرى. يشعل السيجارة بحرص من آخر عود كبريت، ثم يرج العلبة مرة أخيرة ، ويرميها خارج السيارة. بعد أن أحس الإنجليزى أن إيماءة السائق الكريمة تتطلب منه أن يبقى الحوار مستمراً، أضاف "أحاول أن أتوقف عن التدخين."

يعرب السائق عن اندهاشه وإعجابه، ثم يقول إنه هو أيضاً حاول عدة مرات أن يتوقف عن التدخين. يوضح أن عمله يتعب أعصابه ، وأن التدخين يساعده. ينظر جانباً إلى الإنجليزى "البنزين للسيارة والسجائر لى."

يضحك الرجلان.

يعبران الآن الجسر والفندق عن يمينهم. توجد مركبتان لصيد السمك أسفل الفندق، فى إحداهما يرفع رجل مساحة من الشبك، يتفحصها، ثم يرفع مساحة أخرى. فى المركبة الأخرى تُرضع امرأة طفلاً فى حين تغطس فتاة صغيرة صفيحة فى النهر ، وتسكب المياه على قدميها.

تزايد زحام المرور عند عنق زجاجة الجسر. اثنان من ضباط الشرطة يجريان بين صفوف المرور ، وهما يصفران ويلوحان بأيديهما. بعض السائقين يطلقون أبواق سياراتهم من الضجر. يتوقف التاكسي وراء سيارة أوتوبيس ينبعث منها عمود من الدخان الأسود. يسرع الإنجليزي بإغلاق نافذته.

“أنت تتحدث العربية جيداً،”

يقول سائق التاكسي، ويشرح له الإنجليزي إنه درس العربية قبل أن يأتي إلى مصر. يسأله السائق عن طبيعة عمله، وعن مكان سكنه، وعمّا إذا كانت لديه أسرة في القاهرة. ثم يسأل السائق إذا كان يعرف قراءة وكتابة العربية.

“قليلاً،” يقول الإنجليزي.

“هل قرأت القرآن؟”

يسأل سائق التاكسي.

يحاول الإنجليزي أن يقول إنه بدأ دراسة بعض أجزاء القرآن على يد شقيق أحد تلاميذه؛ الذي درس في جامعة الأزهر الدينية. يومئذ السائق برأسه استحساناً وفي أثناء ذلك تقترب منه إحدى فتاتين ترتديان نوعاً من أنواع الزي الخاص وقبعة ذات حافة واسعة، وتمسكان علب مناديل ورقية مصنعة محلياً.

يلوح لها بقلعة ، ويعجز الإنجليزي عن فهم ما يصرخ لها به ، أو ردها البذيء عليه.

يقول السائق: "يجب ألا تسمح الحكومة بهذا. إنهن مثل المومسات اللاتي يطفن في الشوارع و المناديل التي يبيعونها ليست جيدة."  
"أعتقد أنهن لا يستطعن العثور على أى عمل آخر،"

يقول الإنجليزي دفاعاً عنهن.

"للفروض أن يبقين في بيوتهن ، وليس التجول في الشوارع وهن يكشفن عن سيقانهن."

تعم "

يقول الإنجليزي وهو يدرك من نبرة الصوت أن السائق لديه قناعات قوية إزاء هذا الموضوع. أمامهم يشاهد رجلاً، راه في مناسبات سابقة، وهو يقفز على ساق واحدة بين السيارات. ليس لديه أذرع. يقف بجانب سائق سيارة سوداء كبيرة ذات نوافذ خلفية داكنة . يهز السائق رأسه ويشيح جانباً ولكن يعطيه ورقة نقدية من الخلف-يلمح الإنجليزي ذراعاً به إسورة- فيقوم بالضغط على زر وينزل الشباك، ويضع ورقة الخمسين قرشاً بين الأوراق النقدية الأخرى التي تبرز من الجيب الأمامي لقميص الرجل. ينظر الرجل فوراً من حوله وهو يقيم السيارات من حوله وركابها. عندما يرى الإنجليزي يتردد، ثم يرفضه ويقفز بين التاكسي والأتوبيس إلى سيارة بي.إم. دبليو. يقودها شاب ، ويجانبه امرأة شابة ، وامرأة أكبر سنّاً في الخلف. الركاب الثلاثة يتشاورن فيما بينهم ، ويضع الرجل ورقة نقدية فئة جنيه في جيب الرجل.

يخشى الإنجليزي أن يكون هو الشخص التالي الذي يتم الاقتراب منه ، ويشعر بحرج من الإعاقة شبه الكاملة للشحاذ. يغير وضع الكتب قليلاً حتى يسهل لنفسه الوصول إلى جيب بنتطلونه. تظهر في الأمام علامات على تحرك المرور مرة أخرى ، ويضع السائق كف يده على البوق ويبقيه عليه. في تلك اللحظة يظهر رجل شاب عند شباك الإنجليزي. ينظر الإنجليزي من خلال الزجاج إلى الرجل-هو في سن مماثلة له ، بل يمكن أن يكون أحد طلابه. لديه وجه وسيم حسن التغذية، وجسم طويل قوى. يرتدى قميصاً أبيض بأكمام طويلة، وبنطلون بيج بحزام أسود وصندل؛ لا تبدو ملابسه رثة بأي شكل من الأشكال - وإن كانت غير ملائمة بعض الشيء لهذا الوقت من السنة. يلتقى الشاب بنظرة الإنجليزي العدائية ، ويحرك يده اليمنى باتجاه فمه. يهز الإنجليزي رأسه في حين يبحث سائق التاكسي بين العملات المعدنية أمامه، ويخرج ورقة فئة خمسة وعشرين قرشاً. ينزل الإنجليزي شباكه ويمرر النقود. يأخذها الشاب دون أن ينبس بكلمة، يضعها في جيب بنتطلونه وينصرف.

يعترض الإنجليزي الذي يشعر بذنب؛ لأنه لم يعط شيئاً - على السائق. يشير إلى أن الرجل مازال شاباً ويبدو أنه في صحة جيدة، والمفروض أن يكسب عيشه .

يقول السائق. "لا يعلم إلا الله ظروف مخلوقاته ، نحن نعطي لوجه الله وهو يجازينا على نوايانا."

يفهم الإنجليزي الجزء الأول فقط مما قاله السائق ، ولكنه يتأمل الكلمات . مع بدء تحرك المرور مرة أخرى يشاهد الهيئة القافزة للشحاذ الأعرج ، الشاب الذي رفض إعطائه شيئاً ، وهو يبتعد هناك .

يضيف السائق وهو يزداد تحمساً للموضوع : "ليس على الإنسان أن يحكم ، الله وحده يعلم ما فى قلوب الرجال ."

"أنت على صواب ،"

يقول الإنجليزي - وهو يدور فى مقعده ، ويسند كومة الكتب بيد واحدة ، ويفتش جيب بنطلونه . يخرج منه عملة معدنية يتصادف أنها من فئة العشرة قروش ويمررها للسائق .

"أعطها له ."

يرى السائق الشاب فى مرآته وهو يتقدم ببطء . يقوم الشاب بعمل نفس حركة وضع يده ناحية فمه لإحدى فتاتين تجلسان فى مؤخرة تاكسى تشعر الفتاة بالخرج ، وتلتفت إلى الفتاة الأخرى ، وتبدأ فى الكلام .

يسمع الإنجليزي سائق التاكسى - وهو ينادى على الشاب . تتدلى يد السائق ، وهى تمسك سيجارة ، وقطعة العملة المعدنية ، من الشباك . من خلال الشباك الجانبى الخلفى وراء السائق يرى الإنجليزي الشاب يخرج إلى الفضاء بين التاكسى ، وسيارة لورى مفتوحة تحمل عمالاً متشبثين بأجنابها - عندما تنطلق دراجة بخارية مسرعة من خلال الفراغ وتصدم الشاب من الخلف .

يرتفع فى الهواء ، ويُقذف به إلى داخل مؤخرة شاحنة تقف أمام اللورى. يقع راكب الدراجة بعيداً ، ويضغط سائق التاكسى على الفرامل على نحو مفاجئ ، وتقع كتب الإنجليزى على الأرض. بهذه الحركة تفادى سائق التاكسى أن تسحق العجلة اليسرى الخلفية لسيارته أرجل راكب الدراجة. يرفع راكب الدراجة نفسه من على الأرض ، ويتفحص كوعاً ينزف - وقطعاً فى أرجل البنطلون - ثم يعدل دراجته ، يتأكد أنها لم تصب. ينظر الإنجليزى من حوله بحثاً عن الشاب الذى كان ينوى إعطائه العشرة قروش والذى قُذف به إلى الهواء داخل مؤخرة شاحنة. يراه جاثماً فى الشارع ، وكأته ينحنى فوق مرحاض. يسعل دماً يلطخ أحد أكمام قميصه الأبيض.

يرى الإنجليزى سائق اللورى وزميله يقفزان ويحملان الشاب من أكتافه وقدميه ، ويضعانه على الرصيف. يشعر الإنجليزى ببعض الدوار، ويبدأ فى البحث عن كتبه. تتحرك صفوف المرور إلى الأمام ببطء بعيداً عن مرأى الجسد الممدد على الرصيف.

يعيد سائق التاكسى قطعة العشرة قروش. يتفادى الرجلان النظر فى عيون بعضهما. يستطيع الإنجليزى أن يرى أن يد السائق ترتعش، وهو يشعل سيجارة جديدة من علبة كبريت جديدة.

(١٤)

## دُفلى بيضاء ووردية

كان يقود منذ الصباح الباكر. كانت الشمس ذات اللون البرتقالى المحمر حمرة الدم قد خرجت من بين رمادية الفجر، ووقفت مهيمنة وذهبية بقوة فى مهدها الأزرق الفاتح. كان يقود اللاند-روفر بسرعة وهو يتبع الآثار المدبية ، التى تركتها سيارات أخرى. أحياناً، عندما يتاح له، كان ينحرف جانباً نحو مجموعة آثار أخرى كانت تشير إلى قيادة أسرع. رغم أنه لم يكن على عجلة من أمره، كان يستمتع بالقيادة السريعة عبر المساحة المفتوحة للسبخة التى تفصل سلسلة الجبال المنخفضة عن البحر ؛ الذى كان يمتزج بشكل يكاد يكون غير ملحوظ مع السماء. بيد واحدة على عجلة القيادة، وأحياناً بإصبع واحدة فقط، كان يقود السيارة بين الصخور الضخمة، والحفر الكبيرة.

عندما شاهد شيئاً أسود وسط المناظر الطبيعية الرتيبة غير اتجاهه. وهو يجتاز الجسد المنتفخ لما عز امتلأت السيارة برائحة النتانة، ونظف حنجرته بالتنحنح ، وبصق خارج الشباك.



كان قد اغتسل في برودة وعتمة الفجر ، وكان لا يزال يشعر بالوخز الخفيف للمياه المالحة على جسده. أعطته إحساسا بالسعادة والخفة المُسكرة. كان قد أمضى العشرة أيام الأخيرة على الساحل الآخر، عشرة أيام وليال أمضاها في البحر على إحدى سفن المسح التابعة للشركة. كانت فترة خالية من البيرة، وكان يشعر بفمه نظيفاً ونقياً. لأول مرة منذ أن جاء الخليج تذوق طعم حياة المغامرة، والتي ضحى من أجلها بالحياة المريحة في بلده، والأمسيات في الحانة، وكل النساء اللاتي يمكن أن ينالهن. قال لنفسه إنه احتاج للشجاعة لترك ما هو مألوف ومريح. كانت الشركة قد أرسلته إلى دبي، وفوجئ عندما وجدها شبكة مربكة من الطرق السريعة ذات الست حارات أشبه بشيء من فيلم أمريكي. الآن وخلال العشرة أيام الأخيرة جاءت فرصة أن يحل مكان شخص من طاقم السفينة أصابه المرض. أخيراً ستتاح له فرصة التجربة التي كان يبحث عنها عندما تقدم للعمل مع شركة البترول.

كان قد استمتع بالعمل على سفينة المسح في حرارة المحيط الهندي. وظيفته مع شركة البترول في دبي كانت مساعد أمين مخزن، ولم تكن ممتعة، ولكن راتبها كان جيداً بالإضافة إلى أن المبيت والطعام كانا بالمجان؛ ولذلك ادخر مبالغ كبيرة حتى مع حجم البيرة التي كان يشربها.

المال كان يعنى الاستمتاع بوقت طيب، وكذلك الحرية. تذكر أن شاباً قال له ذلك فى حانة فى بلده، وقد ترسخت هذه الكلمات فى ذهنه بعد أن رأى الشاب لا يشرب سوى كوب واحد من الجعة المرة، ثم ينطلق فى سيارته الفيرارى.

خلال الوقت الذى أمضاه فى البحر قام بالغطس ولاحظ أحد الرجال أنه سباح قوى؛ ولذلك أعطاه عدة دروس فى الغوص باستخدام إسطوانات الأوكسجين. ثم قال أحدهما شيئاً حول أن هناك مكاناً فى إسكتلندا يقدم دروساً فى الغوص، ويؤهلك للعمل فى إحدى منصات بحر الشمال، أو مع أية شركة فى أى مكان فى العالم لديها امتيازات بترولية فى البحر. كان يبدو أن استخراج النفط من قاع البحر سيزداد انتشاراً، وأن هناك مكاسب كبيرة للغطاسين أصحاب الخبرة. كان المدرب قد قال إنه يتقدم بشكل جيد، ولكنه حذّره من الثقة الزائدة فى النفس. كاد أن يرد عليه، ولكنه أمسك لسانه، وبدلاً من ذلك دعاه لكى يخرجاً معاً لتناول كأس فى المرة القادمة التى يزور فيها دى. فلا أحد يعرف ماذا يمكن أن تفعله كلمة طيبة من رجل كهذا.

ولكن إذا كانت أيامه على المركب قد علمته شيئاً؛ فهو أن لديه شيئاً يميزه عن الآخرين، ويجعله متفوقاً عليهم. كان دائماً يحافظ على لياقته رغم أنه كان يحب شرب البيرة والنساء.

قبل أن يأتى إلى الخليج كان قد فكر فى الالتحاق بالأس.أس.أس، (s.i.s) أو غيرها من الفرق الخاصة التى كان يذاع عنها فى التلفزيون.

ولكنه أحس أنه لن يرتاح مع نوع الانضباط الذي تفرضه. فلن يقبل أبداً أن يقال له كل ثانية خلال اليوم إلى أين يذهب ، وماذا يفعل . لا ، لا يستطيع أن يقول إنه يتمتع بثقة زائدة ، ولكنه فقط عندما يريد شيئاً ، فليده الشجاعة على السعى وراءه . كان يعلم أن زملاءه يستشعرون هذا أيضاً ، بل إن بعضهم كان يستاء منه. فى إحدى الليالى كانوا جميعاً يشربون فى دار هيئة العاملين عندما وصفه أحدهم قائلاً: "دانى لا يكثر البتة بشيء." نعم، هذا يلخص الأمر فى إيجاز قال لنفسه، وابتسم لهذه الذكرى.

كانت أفكاره منصبة - وهو يقود - على فترة المساء القادمة. كان سيقوم بتعويض العشرة أيام التى أمضاها بدون شراب. سيخرج ليتناول وجبة فاخرة ربما فى أحد الفنادق الكبيرة الموازية للخور ، وربما يلتقط فتاة ثم ينتهى بجلسة بيرة فى دار هيئة العاملين. غداً الجمعة ويستطيع أن ينام طوال اليوم. حاول أن يتذكر عدد صناديق البيرة التى كان يحتفظ بها فى دار هيئة العاملين. لم يستهلك أياً من حصصه خلال الأيام القليلة الماضية ، وكان مخصص له كمية جديدة مع بداية الشهر مادام أحد من الرجال لم يغمس يده فى مؤنه. إن تجرأوا مرة فلن يتجرأوا الثانية وضحك بصوت عال. كان عظيماً أن يكون المبيت والطعام بالمجان، وألا يكون أمامه سوى البيرة والسجائر لكى ينفق عليها، وكلاهما كان رخيصاً جداً فى هذا المكان.

كان ينقصه شيء واحد فقط: النساء . تذكر أن أحد الرجال الأكبر سناً قال فى إحدى المرات إن النساء لسن كل شيء، ورد هو عليه فى

سرعة البرق قائلاً: " ألسن كذلك؟" وترنح الرجال في مقاعدهم، وأمسكوا أنفسهم عن تقيؤ البيرة. بعض الأولاد كانوا يلتقون مع امرأة لبنانية تعمل في شقة قرب برج الساعة ناحية "ديرا"، ولكنه لم يحبذ فكرة الدفع في هذا الأمر. "لن تجد متعة في جسد بالإيجار"، كان قد خطر له أن يقول ذلك مرة عفو اللحظة، ومنذ ذلك الحين، إذا رغب شخص أن يثير الضحك، كان عليه فقط أن يكرر هذه العبارة. في خلال شهرين كان يحق له إجازة: ربما يذهب إلى قبرص، أو حتى إلى بانكوك حيث يقولون إنك يمكنك أن تجد كل النساء اللاتي تريدهن فقط مقابل دعوتهن لوجبة، وربما إعطائهن هدية صغيرة.

في غضون ذلك عليه أن يسعد بالبيرة، وتذوق في ذهنه الملمس المتلج لحافة علبة البيرة الصفيح على شفيته، والجرعات المثيرة من العلبة الأولى التي يتم شربها من فرط الظمأ. كان أول اثنين هما الأفضل، يتبعهما مشوار طويل حتى نقطة التقاطع؛ حيث تعلم من خلال الخبرة. إما أن تكتفى بهذا القدر، أو تواصل رحلتك حتى النسيان، عندما تعلم في صباح اليوم التالي من أصدقائك كيف وصلوا بك إلى منزلك، وكيف أدخلوك إلى الفراش، والمناقشات والعراك الذي تورطت فيه.

سار بمحاذاة الساحل وعلى يساره البحر الخالي، ماراً في بعض الأحيان ببعض مزارع نخيل البلح الصغيرة، أو أشجار الليم المنتشرة في غير نظام والمحاطة بحواجز من الخيزران الخام لحمايتها من الماعز الضالة، ومن الرمال التي كانت تدفعها الرياح عبر الصحراء المفتوحة. نسمة الصباح، التي بدأت شديدة البرودة كانت الآن تنفخ قميصه، ووضعت يداً رطبة مثل ورق الصنفرة على صدره. عندما اقترب من

الجبال أمامه انصرف إلى الداخل، وقدمه تضغط بقوة على دواسة البنزين. هدير الموتور الذي ملأ الفضاء المحيط به قرع في رأسه ، وغلفه داخل شرنقة من عالم يشعر أنه يسيطر عليه تماماً.

في الأمام قطعت رتابة المنظر الطبيعي الشكل البارز لثلاثة جمال. على الجميلين في المقدمة لمح راكبين يميلان مع المشية المتبخترة. خلف الجمل الثانى كان جمل ثالث بدون راكب، وهو مسحوب بحبل من أنفه. تساءل عن وجهتهم، وطراً في ذهنه أنه منذ سنوات ليست بالكثيرة لم تكن هناك وسيلة أخرى للانتقال في هذه البلاد غير الجمال. ألم يسمونها "سفن الصحراء"؟ تذكر الكتاب الذى وجدته في دار هيئة العاملين، وألفه شخص قام بعبور الربع الخالى: تضمن وصفاً للحر، وملمس الرمال شديدة السخونة تحت الأقدام، والحياة لأيام بدون ماء، ومباريات المصارعة مع رفاقه من البدو في المساء . شعر بحزن لأنه لم تتح له ممارسة هذه الأشياء.

دون أن يبطن من سرعته أدار اللاند-روفر بحدة، وانزلت الإطارات الخلفية على قشرة السبخة؛ رفع يده عن عجلة القيادة، وتابعت السيارة حركة الانزلاق في خط متعرج، ثم اتجهت ناحية طابور الجمال. قاد السيارة بسرعة عبر الطريق المهترئ، وكان عليه أن يمسك عجلة القيادة بكلتا يديه، والسيارة ترتج في احتجاج. كان أشبه بركوب حصان جامح يجب شكمه بحزم. ألقى نظرة جانبية سريعة، وشاهد الرجل على الجمل في المقدمة يدور ويشير إلى رفيقه. لم يغيرا خطواتهما أو اتجاههما، ولكن الرجلين كانا ينظران الآن لسيارة اللاند- روفر وهي تقترب بسرعة.

هل يمكن أن أختفى؟ قال لنفسه، أن أترك اللاند-روفر فى الصحراء، وأركب الجمل الثالث، وأرافق العرب إلى أية جهة يقصدونها؟ سيعيش حياة خشنة معهم، سيقوم-مثل الرجل فى الكتاب-بالنوم إلى جانبهم داخل حفرة فى الصحراء، والعيش على حفنة من البلح، ورشقات من المياه العكرة، ثم فجأة- ربما بعدها بأسابيع- يظهر فى دار هيئة العاملين، ملتح ومرتدياً لباس العرب، وحاملاً عصاً طويلة معقوفة من ذلك النوع الذى يميزك كرجل من رجال الصحراء، رجل بدوى وطنه هو كل مكان ولا مكان .

كان يقترب منهم بزاوية قائمة، وابتسم لنفسه من نظرة الذعر على وجوه الرجلين. ضغط على الفرامل، وخفض من السرعة، وأدار اللاند-روفر فى اللحظة الأخيرة مثيراً سحابة من التراب.

"السلام عليكم،"

صاح ولوح للرجلين اللذين رفعا أيديهما رداً عليه. أخذ علبة من سجائر روثمان من الكرتونة التى بجانبه. "هيا" صرخ وقذف بها فى الهواء ثم أدخل الدوبيريلاج وأسرع عائداً إلى الطريق الذى كان قد تركه. عندما صفا الجو من التراب رأى الرجلين فى مرآته. كانا يواصلان طريقهما، وكأنهما لم يرياها وهو يقذف لهما بالعلبة. "البلهاء الحمقى" صرخ بصوت عال. كان قد تخطى الآن تماماً عن فكرة الانضمام إليهما، والذهاب إلى الربع الخالى. كان كل ما يشعر به تجاههما هو الازدراء، والاستياء لرفضهما كرمه.

انحدر مع خط الجبال، وأشار إلى موقع الوادي الصغير؛ الذي قيل له إن عليه المرور عبره قبل أن يصل إلى الطريق المسفلت الذي سيأخذه إلى الساحل الآخر، إلى مدن الشارقة ودبي. نظر مرة أخرى في المرآة وابتسم عندما شهد أحد الرجلين ينزل عن جملة الراكع، ويسير عائداً لالتقاط السجائر. "ليسا بلهاء حمقى فى نهاية الأمر!" قال لنفسه وضحك بصوت عال، وهو سعيد لفكرة أنه بهذه الحركة التلقائية نجح فى خلق اتصال مع هؤلاء البسطاء من سكان الصحراء. بالنسبة لغالبية الغربيين، وللآخرين فى دار هيئة العاملين ، لا يمثل البدوى الرث سوى جزء من المناظر الطبيعية، لا يمكن الاقتراب منه مثله مثل الصخور والأشجار الخفيضة، والشجيرة الشائكة ضعيفة النمو.

و لكن بالنسبة له، كان يعلم أنه سرعان ما يستطيع أن يتحدث لغتهم ، وأن يتقبلوه كشخص قادر على تحمل مشقة ومخاطر حياتهم. ربما يوماً ما، استغرق فى التفكير، بدلاً من أن يتمدد على فراشه، ويقرأ الروايات المثيرة، سيسير إلى صف المراكب الراسية عند خليج دبي ويختار واحدة منها، ويسلك طريقه إلى زنجبار، أو أى مكان آخر، ويحيا حياة خشنة على ظهر المركب مع حفنة من العرب والبلوشيين.

بحث أسفل الكرسي، وأخرج ترموس مياه مثلجة. شرب منه دون أن يبطن من سرعته، وتناثرت بعض المياه على صدره مما جعل قميصه يلتصق به بقوة. سكب المياه على كف يده ونثرها على رقبته من الخلف. فى نفس اللحظة بدأ العرق يسيل من على جبهته مما أضطره إلى خلع نظارات الشمس، ومسحها على بنطلونه الكاكي القصير.

سلسلة الجبال أمامه ألفت بظلال مسننة تمتد في اتجاه البحر. في الأعلى؛ كانت الشمس مثل البثرة الحمراء في سماء خالية من السحب. كان المدخل إلى الوادي محجوباً جزئياً ببروز من الحجارة. لم يحدد موقع المدخل سوى التقاء مجموعة من آثار إطارات السيارات. أبطأ من سرعته عندما اصطدمت إطارات اللاند-روفر بالأحجار الأكبر حجماً، التي كانت الأمطار - التي تنزل أحياناً - تجرفها إلى أسفل. كان عليه أن يقنع بالتقدم ببطء شديد في الطريق الضيق المكسو بالحجارة. ثم اتسع الممر الضيق إلى مجرى نهر مكسو بالحصى، وبه مجموعات من شجيرات الدفلى تنمو في مساحة صغيرة من الرمال وسط الإطارات والعلب الصفيح المرمية. كان الوادي جافاً منذ عدة أشهر، ولكن بعض شجيرات الدفلى كانت مرصعة بزهور بيضاء، والبعض الآخر بزهور لونها وردي باهت. تحركت الأشباح القصيرة والثخينة للماعز بقلق بين الشجيرات، ثم أصابها الذعر عند اقترابه، وأسرعت تعدو صاعدة الوادي الصغير الضيق شديد الانحدار. أوقف السيارة، ومع إغلاق المحرك حدث فراغ مفاجئ من الصمت. ظل جالساً لعدة ثوان، وأذناه تفرغان تدريجياً من الصوت. حدق فيما حوله: إلى الماعز التي قارب عددها دزينة أو أكثر، وإلى المجرى المائي المكسو بالحصى، ومجموعات نبات الدفلى غير المتوقع وجودها، والتي كانت تنمو بل وتُزهر في هذه الأرض القاحلة.

وضع سيجارة بين شفتيه؛ عندما أشعل الولاعة كان يكاد لا يميز الشعلة في وهج ضوء الشمس. قال: "يا إلهي، يا له من حر،" وتعلقت



كلماته بالدخان الذى نفثه فى الهواء الساكن. هل سيمر الرجلان وجمالهما عبر هذا الطريق؟ فى الأغلب سيتجهون عبر الداخل إلى الساحل، ويسلكان الطريق عبر الفجيرة إلى عمان. ظل ذهنه معلقاً بهما لبعض الوقت وهو ينفث مزيداً من الدخان. تصور نفسه وهو يمتطى الجمل الذى فى المقدمة والعريبان يتبعانه.

خرج من السيارة ونظر حوله، والسيجارة معلقة بارتخاء فى فمه، ويداه فى جانيبيه. أخذ خطوة إلى مقدمة السيارة، وأدخل يده داخل بنطلونه القصير وجذبه .

راقب تدفق البول الذى كاد أن يكون غير مرئى وهو يضرب الإطار. بدافع مفاجئ أخذ السيارة من فمه باليد الأخرى، وأمسك الطرف المشتعل فى مجرى القوس. انبعث صوت أزيز وترك عقب السيارة يسقط على الأرض. تنهد برضى واستقام فى وقفته. "هذا أفضل." كسرت الكلمات الصمت، وأعطته إحساساً بالسيطرة على الفضاء المحيط به.

وهو واقف، ويداه فى جانيبيه، ينظر للحركات الآلية للماعز، أحس بالشمس تحرق قفاه. انطلق شىء بين الحصى عند قدميه، وحل محل اللهاث المفاجئ للذعر ارتخاء لعضلاته المشدودة بعد أن تبين له البريق المتقطع لسحلية وهى تسرع للوقوف وقفة تبدو كأنها بدون حياة إلى جانب قدمه (وقفة جامدة)، وعيونها اللامعة تحدد فى قرص الشمس. انتابه إحساس بالقلق يصعب تفسيره، إحساس بأنه مطوق بجدران

الوادي الصغير، وبدأ ذلك ينخر في ثقته، ونظر تحت إلى قدمه حتى يتأكد أن ما رآه فعلاً سحلية. كان قد سمع روايات عن الثعابين التي تكثر في الصحراء، وكانت بعض الأنواع الأصغر حجماً هي الأكثر خطورة.

و هو يتحرك في اتجاه باب السيارة بدأت بعض الماعز تعدو صاعدة المجرى المائي وهي تطلق ضجيجاً عالياً وطراً، لذهنه أن هناك شخصاً يرهاها. استدار سريعاً، ونظر إلى أعلى ومن ركن عينه رأى شكلاً بشرياً يندفع سريعاً بعيداً عن الأنظار خلف الحجرة ، التي كانت أعلى البروز المطل على قاع الوادي في الجانب البعيد - حيث كان قد أوقف سيارته. أيقن أنه تم مراقبته منذ لحظة مرور اللاند-روفر عبر المجرى المائي المكسو بالحصى. أحس بأنه في وضع معرض للخطر، ولكن في نفس الوقت أحس برغبة ملحة لرؤية الشخص الذي كان يراقبه. فتح باب السيارة وأغلقه بقوة، وفي نفس الوقت نظر لأعلى باتجاه المكان الذي كانت هيئة الشخص قد اختفت فيه. فوراً ظهر رأس كان لفتاة شابة، شعرها مربوط في منديل داكن اللون. حدق فيها لعدة ثوان، ثم ابتسم في ارتياح. ظلت الفتاة تحدق فيه، دون أن يتغير تعبير الشك على وجهها، ثم وقفت على قدميها بحيث أصبحت تقف أعلى منه، ويديها بجانبها. كانت ترتدى ثوباً واسعاً أسود اللون يصل تقريباً إلى قدميها الحافيتين. ابتسم مرة أخرى، ولكن هذه المرة لنفسه عندما تذكر أنها كانت تراقبه.

أعاد يده على مقبض الباب، وتركها هناك لمدة زائدة، وأحس بالمقبض يلهب كفه. سحب يده بحدة وكان على وشك أن يلفها بطرف قميصه عندما - وبدون إنذار - رفعت الفتاة يدها، وطارت حجرة من فوقه ووقعت بين نبات الدفلى. تخبط ماعز ذكر بين كومة العلب الصفيح، وانضم إلى باقى القطيع. خلع نظارات الشمس وأحس للحظات بالعمى من قوة الضوء. والنظارات تتدلى من يده اليسرى، رفع ذراعه الأخرى فى إيماءة تقر بوجودها.

"بنت!" صاح وهو يشعر بضرورة أن يقول شيئاً . ثم - وبدافع من عفو خاطر - أضاف كلمة واحدة ، "مياه"، ومال رأسه للوراء، وأشار بإبهامه وقبضة يده إلى فمه، موضحاً أنه يريد أن يشرب. طراً على ذهنه أنه حتى لو كان لديها ماء، فلن يكون من شربها مأموناً.

تعلقت بنظراته، ولكنها لم تبد أية استجابة لطلبه. نقل نظارته إلى يده اليمنى، وفتح باب السيارة بسرعة. فجأة، وبصوت حاد جعله يجفل، صاحت على الماعز، وألقت بحجر أخرى على الجانب البعيد من المجرى المائى أثارت هذه الحركة ضجيجاً حاداً بين الماعز التى تفرقت ثم تجمعت مرة أخرى فى مجموعة على مسافة أبعد داخل قاع الوادى. نظر إليها مرة أخرى، ولكن كان يبدو أنها لم تعد مكترثة بوجوده. كان يمكنه أن يجلس وراء عجلة القيادة وينطلق فى طريقه إلى دى دون أن يكون هناك شىء يذكر حول هذا اللقاء سوى أنه التقى بفتاة بدوية ترعى أغنامها. ولكن مرة أخرى - وبدون سبب - استحضر تلك الكلمة، واحدة من بين دزينة الكلمات أو أكثر التى كان يعرفها، وكأنها تعويذة تطالبه بأن يتم النطق بها: "مياه؟" سأل.

شعر بلهاث خفيف وهو ينتظر إجابتها، وكأن حياته معلقة في الميزان. هذه المرة هزت رأسها وأشاحت بوجهها.

كانت سلسلة الجبال تلتف من ورائها ، ولكن لم تظهر أية إشارة على وجود مساكن أو أشجار نخيل أو زراعات. ربما جاءت من مخيم للبدو. أعاد وضع النظارات ، ومد يده الطليقة ، وحرك أربعة أصابع باتجاهه، وهو يدعوها إلى المجئ بإيماءة كان قد شهد العرب يقومون بها. ردت برفع رأسها إلى الورااء فى فظاظلة - بحيث أصبح يرى بروفيل وجهها، وأن الرقبة والأذن خالية من أية حلية.

تقدم إلى الأمام ، ولاحظ ضيق بنطلونه القصير فى المنطقة المحيطة بالخاصرة . تحرك عبر الحصى ناحية الطريق شديد الانحدار ؛ الذى كان يؤدى إلى نتوء الجبل الذى كانت تقف عليه. تفوهت بكلمتين أو ثلاث ، لكنه لم يفهمها. استمر فى عملية التسلق ، والتي كانت شديدة الانحدار لدرجة أنه أضطر أحياناً لأن ينحني تماماً ، وهو يمسك بكلتا يديه بالأحجار والعشب الخشن. مرة أخرى أحس بالشمس وهى تضرب رقبتة من الخلف؛ مرة أخرى صاحت الفتاة، هذه المرة بنبرة صوت ينم عن الذعر.

وصل إلى النتوء وهو يلهث من المجهود. نظر من حوله ولاحظ أن النجد الصغير كان قد تم تسويته. كانت الرمال تحمل آثار قدم حافية، وفى ظلال الصخرة استند جراب من الجلد له حمالة للكتف ، وجراب من جلد الماعز مربوط عند العنق بخيط مجدول؛ كان قد تم ترتيب كومة

صغيرة من الحجارة حول هذه الأشياء. من هذا الموقع المميز كان يستطيع أن يرى بقعة داكنة تعترض سلسلة الجبال ذات اللون البنى مجموعة من الأكواخ ترابية اللون على مبعده ميلين أو ثلاثة، يفصلها خضرة أشجار النخيل. لم يجد للفتاة أثراً ، وخطر له أنها ربما تختبئ على الجانب الآخر من الصخرة. ثم لاحظها وهي تقف فى منتصف الطريق ؛ الذى كان قد تسلقه لتوه. يبدو أنها انسلت خلف الصخرة ، وانزلت على المنحدر إلى المكان الذى تقف فيه الآن. عندما تقابلت عيونهما تجعد وجهها فى عبوس. أشار ناحية الأرض لمكان جراب جلد الماعز ، وردت عليه بكلمات لم يفهما.

و كأنه يقوم بحركات خاصة بطقس ما، انحنى إلى أسفل ، وأمسك بجراب جلد الماعز ثم أوماً لها. غضب عندما ظهر عليها عدم اكرائها به. ألا تفهم أنه لن يؤذيها؟

التقت عيونها بعيونه فى نظرة عدائية قبل أن تعطى له ظهرها وتسير باتجاه قاع الوادى. عندما سمعته يتبعها، ألقت نظرة سريعة من وراء كتفها ، وشهد الخوف فى التواء فمها. ركض ولحق بها عند وصولها رقعة الرمال حيث كانت تنمو دلفى. وهى تنشب أظافر يدها فى ذراعيه التى أحاطت بخصرها، مات بداخله الأمل فى إمكانية وجود أى تفاهم بينهما. قاومت وأدارها بحيث أصبحت فى مواجهته وضمها بقوة . أحس أنها لو كفت عن محاربته سيسعد بالوقوف فقط ، والإحساس بصلاية جسده وهو يلامس جسدها.

شهد حبات العرق على جبهتها ، وعلى الشعيرات الخفيفة على شفتها العليا . رفع يده إلى رأسها ، وانتزع المنديل من عليه وأمسك بشعرها . أنزل شفاه على فمها ، ولكنها أحكمت إغلاقه ، وحركت رأسها من جانب إلى آخر وهي تغمغم ببعض الكلمات بصوت أجش . ثارت بداخله نوبة جديدة من الغضب لفشله فى التفاهم معها . أرغمها على النزول على ركبها ، ثم على ظهرها . ظل للحظات ممداً عليها فى جمود وكأن هذا هو كل غرضه منها . ثم مع تجدد نشاطه بدأ حراكه لتعريتها سحب يده من أسفل وجهها ، وحاول إرغامها على النظر إليه عازياً . تنازل من هذا النوع من جانبها يمكنه أن يفك السحر . ظلت ساكنة للحظات وهي تتنفس بثقل من جراء جهودها فى صده ، وعيونها مغلقة من الشمس . ثم تصلب جسدها ورأى أن عيونها كانت مفتوحة على آخرها تحديق فى اتجاه البروز الذى كانت تقف عليه . تسرب إحساس بالفزع فى أعماقه .

ألقى نظرة سريعة من وراء كتفه ولم ير أحداً وتيقن فى نفس اللحظة أن أحداً لم يكن هناك قط .

فى رعب أحس بتراخى الجزء السفلى من جسده . رجع إلى الوراء على كعبيه وبحركة يائسة أمسك نفسه ، وكأنه يحاول وقف نزيف دم الحياة من شريان مقطوع . حركات متشنجة ، بعيدة وخالية من المتعة ، لا سيطرة عليها مثل إخراج القيء من بين أصابعه .

لم يَقم بأية محاولة لمنع الفتاة من أن تسرع واقفة على قدميها . ظل لبعض الوقت يشعر بوقوفها على بعد خطوات منه، وهي تحس أنها لم تعد في خطر.

و قوة أشعة الشمس تضرب رقبتة من الخلف، سار الخطوات القليلة إلى اللاند-روفر. شيء لمع بين الحجارة ، ورأى نظارة الشمس ، وقد التوى إطارها ، وانكسرت إحدى عدساتها وهي واقعة بين روث الماعز . كان يعلم أنه يجب أن يلتقطها ولكنه كان فاقداً لقوة العقل والبدن . وهو يصعد إلى داخل كابينة السيارة سمع صوت الماعز وهو يتخلل الصمت.

أدار السيارة وعشق الموتور وتحرك إلى الأمام ، ويداه تتشبث بعجلة القيادة فوق قاع الوادي المليء بالحصى. علقت بالكابينة رائحة ننتة لآثار هزة الجماع الفارغة. كان يعلم أنه يجب أن يعود لكي يستعيد نظارته المكسورة والتي يمكن أن تكون سبب فضحه. كرة من الخوف تجمعت داخل صدره ، وصعدت الدموع الحارقة إلى عينيه . ومن ورائه سمع خشخشة الحجارة وهي تضرب اللاند-روفر من الخلف.

(١٥)

## عالمان

انطلق صوت أمه الرتيب بحدّة من الفيرانده إلى مساكن الخدم وهي تنادى باسمه. ظل بيتر صامتاً وألقى نظرة جانبية على مجموعة الأفرقة الجالسين القرفصاء أمامه - ولد أبيض يلبس بنطلوناً - كاكى - قصيراً وسترة سافارى ، وصندل في قدميه الحافيتين. كشر ورفع إصبعاً تآمرياً إلى شفاهه، ثم ابتسم لأصدقائه. كان يعلم أن أمه تنادى عليه أحياناً مرتين أو ثلاثاً ثم تياس من ذلك ظناً منها أنه ذهب إلى مكان ما مع خادمه شريف. كان يحسب أنه يستطيع أن يبقى عشر أو خمس عشرة دقيقة أخرى قبل أن يعود إلى المنزل. لكن هذه المرة، عندما تكرر النداء، كان في نبرته إصراراً.

نظر إلى شريف، وسحب فمه إلى أسفل تعبيراً عن سخطه. أشار إلى زيدولو - كبير الخدم - لكي يمرر السيجارة لأخذ نفس أخير. أحاط السيجارة بيده واستنشق الدخان من خلال الفجوة الصغيرة بين إصبع السبابة وإبهام يده. هذه كانت الطريقة التي كان قد تعلمها لتدخين



سيجارة مشتركة حتى لا تلامسها الشفاه. أحس ببعض الدوار من جراء الجهد الإضافي الذي بذله لسحب الدخان ، ثم أمسكه لبعض الوقت داخل فمه قبل أن ينفخه في سحابة كبيرة. كان يعلم من الخبرة أنه إذا حاول ابتلاعه - مثلما يفعلون - كان سيشعر بنفسه أكثر سوءاً. في إحدى المرات كاد أن يلحق بنفسه الخزي بعد أن أصابه الغثيان.

أعاد السيجارة إلى زيدولو ، وقام واقفاً ، وسار ببطء بين أشجار المانجو المترية باتجاه البيت الأبيض ذي الفيرانده المحاطة بالناموسية من ثلاثة جوانب. كان يأمل أن ترى والدته أنه يطيعها فلا تنادي مرة أخرى. كان صوتها العالي النبرة وهي تناديه ليعود إلى المنزل موضع مزاح بينه وبين الخدم. الآن، من ورائه ، كان يتصور موانزي - الطباخ الضخم - وهو يحرك فمه بدون إصدار صوت في محاولة صامتة لتقليدها. ولكن برغم أنها رأته وهو قادم من بين الأشجار، نادى عليه مرة أخرى: "بييت...ر. بييت...ر."

رد بتذمر: "أمي، أنا قادم، لست أصم كما تعلمين."

" لا تحدث والدتك بهذه النبرة،" ردت عليه أمه وهو يصعد السلالم ببطء وينضم إليها في الفيرانده. امرأة طويلة ونحيفة ذات أذرع قوية، انتظرت له لكي يرفع رأسه لها قبل أن تقول:

" ولماذا تجلس دائماً هناك مع الخدم؟ أرجو ألا يكونوا قد أطعموك من أكلهم الغريب."

"لا، رد عليها وهو يقطب جبينه، ثم تساءل إذا كانت ستشم رائحة الدخان في فمه.

قالت له: "اذهب لتأخذ حمامك، ثم يمكنك أن تتناول عشاءك. سنستقبل بعض الناس للعب البريدج ، وتناول العشاء هذه الليلة."

سأل بلهفة: "هل أستطيع أن أعب بعض الأنوار؟"

قالت: "إذا كنت طيباً" ، فركت شعره في حركة كانت - دائماً - تثير استيائه.

سأل: "من هم؟"

"الدكتور سيمسون وحرمه."

"آه،" قال في نبرة كانت تبدو في نظره لا مبالية.

هي لطيفة، أليست كذلك؟" قالت والدته بخبث.

"نعم،" قال موافقاً ، وحاول أن يمسك نفسه من أن يحمر وجهه خجلاً. كانت جولى سيمسون هي التي علمته سباحة الكرول في حمام سباحة النادي. منذ ذلك الحين وجد نفسه يفكر فيها كثيراً وهي ترتدى المايوه الأبيض وسيقانها وأذرعها بلون برونزى وصدرها كان يبرز منه لون أبيض عندما تميل إلى الأمام.

فركت والدته شعره مرة ثانية. "هيا" قالت له وهي تديره في اتجاه الباب الجانبي.

كان يستمتع باستضافة والديه للناس على العشاء ولعب البريدج. كانت هناك دائماً بعض الأطعمة الشهية أو "المحمصات" كما كان يطلق عليها- يتم تناولها مع الويسكى والصدوا، والتي كان يقوم هو بتقديمها. كان يسمح له بأن يتناول واحدة لكنه كان ينجح عادة في أن يتناول أربعة أو خمسة خلال المساء. كانوا يلعبون البريدج قبل وبعد تناول العشاء، وفي جلسة ما قبل العشاء كانت والدته تسمح له بلعب بعض أدوارها. وإلا لما كان يستطيع أن يتدرب على لعب البريدج ؛ لأن والده يرفض أن يكون الثالث في طريقة اللعب ذات الثلاثة لاعبين - حيث كان كل لاعب يقدم عروضه ليقوم بدور الدمية. "هذا ليس بريدج"، كان يشتكى، - إنه أقرب إلى القمار في رأيي."

و هو منقوع في الحمام كان يتساءل هل ستأتى والدته وتصر على حك ظهره، سمع صوت سيارة تصعد الطريق إلى مدخل البيت، ثم صوت الدكتور سيمسون يقول بعض الكلمات بصوت عال. "و كيف حال الابن الوريث؟" سمع الدكتور سيمسون يسأل بينما هو زوجته يصعدان السلالم الأمامية.

رد والد بيتر رداً مازحاً وضحك الجميع.

"هو على ما أرجو في الحمام يفرك الطين عن ركبته"، قالت لهم والدته ومرة أخرى صعد صوت الضحك.

ألقي بيتر نظرة خاطفة على ركبته ، وقفز خارجاً من الحمام. جفف نفسه سريعاً وارتدى بيجامته والروب دى شامبر ، الذى كانت والدته قد وضعتة على الكرسي في الحمام.

فى غرفة الطعام كان زيدولو يرتب سكاكين المائدة. إلى جانب مائدة العشاء الرئيسية كان قد تم إعداد مائدة صغيرة لعشاء بيتر. جلس بيتر وتبادل هو وزيدولو النظرات ، ورفع بيتر يديه إلى فمه فى حركة مماثلة لشرب السجائر. أمسك زيدولو نفسه من الضحك وهما يسمعان خطوات والدته السريعة وهى تقترب.

قالت له والدته: "أنت ستأكل مثلنا تماماً ، حساء الطماطم فى البداية ، ثم طبقك المفضل من السمك المقلى وصلصة الأنشوجة وبدلاً من طبق الجبن المذاب فوق خبز محمص الويلزى، فتحت لك علبة كمثرى كاكلة مميزة لك.

قال بيتر: "لذيذ!"

لم تقل له إن الكبار سيتناولون أيضاً طبق لحمة: دجاج حبشى ، وهليون من المعلبات.

وهو يغرف الحساء بالمعلقة، استمع بيتر إلى مقتطفات من الحوار الدائر فى الغرفة المجاورة - حيث كانوا يتناولون المشروبات - ويستعدون للانتقال إلى مائدة البريدج بسطحها ذى النسيج الأخضر. أشار بيتر لزيدولو بالإسراع لإحضار السمك.

سمع الدكتور سيمسون يقول "وصلت إلى قبل النهائية، أليس ذلك عظيماً؟"

قالت والدة بيتر: "فتاة ذكية! لا أرى ما يمنع فوزك."

"آه، لبام ضربة بداية قاتلة - أقرب لضربة رجل،" اعترضت جولى سيمسون. "أتعرفون، لقد وصلت إلى قبل النهائيات منذ عدة سنوات مضت فى نيروبي. سيكون من حظى لو نجحت فى التغلب عليها. على أية حال يجب أن أفوز على سالى أونزلو قبل ذلك..."

قال الدكتور سيمسون شيئاً بصوت خافت وضحك الجميع.

قالت والدة بيتر بصوت مازح: "لا تنسوا الذين يرمون ... ولكن سالى كما نعلم جميعاً مشغولة بأشياء أخرى هذه الأيام أكثر من التنس."

قال والد بيتر. "أعتقد أنه كان من المتوقع لها ذلك."

"إنه ذنبه كما هو ذنبها،" تدخلت جولى سيمسون، واستمر الحوار بأصوات خافتة.

قطع بيتر شرائح الكمثرى بملعقته، والتي انزلقت داخل حلقه بدون طعم. سأل نفسه إذا كان فعلاً يحبها كما كان يدعى، وتساءل حول كيفية تفادى أكلها مرة أخرى كطبق مميز. ثم سمع صوت احتكاك الكراسى وهم ينتقلون إلى مائدة البريدج.

"تقسيم الكراسى،" سمع صوت والدته.

"إنه اختياري، وأنا سابقى حيث أنا،" أعلن الدكتور سيمسون وهو يضرب بكف يديه على المائدة أمامه.

قالت والدته: "تقسيم ورق اللعب."

صاحت جولى سيمسون: "ملك أخراً!"

قال والد بيتر: "سأحتفظ بالورق الذى نقسم به".

مرت فترة صمت ، وكان بيتر يتصور أسلوب والده الثقيل فى توزيع الورق. بعد أن ينتهى من التوزيع يقوم بترتيب ورقه، وهو ينقر عليه، فى كومة أنيقة قبل أن يرفعه ، ويبدأ فى ترتيبه فى المجموعات ذات النقش الواحد.

دفع بيتر كرسيه إلى الوراء فى صمت ، وابتسم لزيدولو ابتساماً تأمرية، وسار إلى حجرة الجلوس. أنتظر حتى لمحوا وجوده فى الغرفة ، ثم ألقى عليهم تحية المساء ، وسار باتجاه كرسي والدته.

"مساء الخير بيتر،" قالت جولى سيمسون وهى تدور إلى الوراء حتى تكون فى مواجهته. "و الآن تعال لكى تسلم علينا بشكل لائق." أحس بنفسه يحمر خجلاً وهو يسير ناحيتها وشفاهها تضغط على خده.

صاحت: "آه! عد بيتر-يجب ألا تعرضنى للشبهة وأنت تسير هكذا وأحمر الشفاه على خدك." أخذت منديلها ورفعته إلى فمها ، ثم مسحت به على خده وقالت: "الآن أفضل".

بدأ الدكتور سيمسون الضحك ، وحاول بيتر أن يشارك فيه رغم أنه فى ذات الوقت كان يقول لنفسه إن الدكتور شخصية كريهة. كيف استطاعت أن تتزوج رجلاً كهذا؟ من الواضح أنها كانت تصفره بكثير.

كان يبدو له أيضاً، مما سمعه خلسة عندما كان والداه يتحدثان عن "جولى والطبيب"، أنها كانت متزوجة من قبل. هذا كان يجعلها أكثر إثارة.

رفع عينيه ووجد أن جولى سيمسون كانت تنظر له وتبتسم وكأنها تقرأ أفكاره.

قال لنفسه: "يا إلهى، هى تعلم ماذا أشعر تجاهها...". وأسرع بتناول إحدى شطائر البيض، التى كان زيدولو قد دخل بها لتوه.

قالت والدته: "م...م...".

قال أوتوماتيكياً: "من فضلك".

"أين كنا؟" تدخل والده، وفمه متجدد فى استياء بسبب التقدم البطيء للعب. "لقد قلت قلب، وجولى قالت اثنتين من الاسياتى، وزميلي زادنى بقلبين".

"لا مزايده"، قال الدكتور سيمسون فى صوت يعبر عن شخص كان يتمنى لو كان قد وزع عليه ورقاً أفضل.

"أربعة قلوب"، قال والد بيتر.

"أشعر بإغراء شديد لكى أزيدك الضعف، ولكننى لن أفعل"، قالت جولى سيمسون، وتناولت إحدى شرائح البيض المحشو، وهنأت والدة بيتر على الطباخ.

"كنت أتوقع شيئاً أفضل من هذا،" علق والد بيتر وزوجته تنزل أوراقها كدمية. اعتاد أن يبدي ملاحظات مماثلة ؛ حتى يمهد لنفسه فشله في إبرام العقد. في الواقع، نزل درجتين وعلق أن زوجته بالغت بدرجة سيئة في تقدير أوراقها.

"نعم، هو كنز حقيقي،" ردت والدة بيتر على ملاحظة جولي، وتجاهلت نقد زوجها حول عرض أوراقها. "هو ممتاز طالما ظل بعيداً عن الخمر."

قال الدكتور سيمسون: "الجميع يشربون لو أتاحت لهم نصف فرصة".

علقت جولي سيمسون: "لو استطاعوا الحصول عليه".

علق والد بيتر. "آه، إنهم يصنعون خمرتهم الخاصة. تلك الشنجة لديهم مميتة أكثر من أى شيء لدينا".

قال الدكتور سيمسون: "مميتة هي الكلمة الصحيحة. الشنجة يمكن أن تقتلك" - وبدأ يسرد قصة حول أحد مرضاه كان لديه ولد جنائني أصابه العمى من جرأء شربها.

"الذي عليه دور الدمية يمكنه أن يملاً كؤوسنا،" قالت والدة بيتر بعد أن لاحظت أن كأس الويسكى الكبير - الذي كانت قد قدمته للدكتور سيمسون لم يتبق منه سوى بعض قطع الثلج.

فكر بيتر - الذي كان يتابع الحوار - حول مشاركته فيه. أحس أنه قد تكون هناك مخاطر إذا سمح لنفسه بالتفوه بالجملة التي كان قد



أعدها؛ كان يعلم أيضاً أن ذلك سيكون نوعاً من أنواع لفت الأنظار ،  
أو التباهي ؛ الذي قد يقود إلى طرح الأسئلة وربما جلب المشاكل له  
ولأصدقائه.

حكى لهم والدة بيتر: "ثم هناك واقعة عصابة الرجال بالقرب من  
"تورور و" الذين كانوا يصنعون الخمر. يبدو أن شخصين توفيا ، وتم  
توجيه تهمة القتل للرجال".

قال الدكتور سيمسون: "هذا صحيح ، ربما يكون درساً لغيرهم  
من صانعي الشنجة إذا تم شنق اثنين منهم".

أضاف والد بيتر: "المشكلة أن هؤلاء الناس يصنعون هذه الخمر  
منذ فجر التاريخ".

"زيدولو يشرب "الديمبل" فقط،" فجأة وجد بيتر نفسه يلقي بهذا  
التصريح مثل القفاز الذي يلقي به تحدياً أو دعوة للنزال.

انتاب الصمت لاعبي البريدج الأربعة.

سأل والده بفضفاضة: "ما الذي تتحدث عنه بيتر؟". كان قد تلقى  
أوراقاً جيدة ، وكان يريد الاستمرار في اللعبة.

قالت والدته: "نعم، ما الذي تحاول أن تقوله؟"

حدث الشيء الذي كان يريده ويخشاه في آن واحد - أن يصبح  
محور الاهتمام. ألقى نظرة سريعة على جولى سيمسون ، وراها تنظر  
له من وراء أوراقها.

"آه لا شيء ،" قال وهو يسير إلى كرسي والدته من الخلف ،  
ويلتقط في طريقه شريحة من الجبن. "كانوا فقط يمزحون."

قال والده: "هيا يا بيتر نحن ننتظر أن تحكى لنا ماذا يدبر  
أصدقاؤك في أسفل الحديقة."

"في الواقع...،" قال بيتر وهو يتحرك بارتباك ناحية كرسي جولى  
سيمسون من الخلف ، ويتمنى أن يلتقطوا أوراقهم ويستمروا فى اللعب.  
"في الواقع؟" أصرت والدته.

"كانوا جميعاً يشربون من إحدى زجاجات "ديمبل" الغريبة."  
فى تلك اللحظة دخل زيدولو وصمت الجميع.

قالت والدة بيتر لرئيس الخدم: "قل للطباخ إن الطعام مطلوب خلال  
عشرين دقيقة".

عندما انصرف زيدولو قال الدكتور سيمسون: "إذن كانوا يعبون  
من "الديمبل هايج" يا ولدى؟ عظيم جداً!"

رأى بيتر والده وهو ينقر على أوراقه بنفاد صبر ، ويقترح أن  
يستكملوا اللعبة ؛ فالوقت المتبقى قبل العشاء يكاد يكفي لإكمال الفوز  
بلعبتين.

"أمى ، لقد وعدتني بأن ألعب دوراً،" قال بيتر وهو يهز جسده على  
كرسي والدته.

قال والده: "لا تنتحب هكذا". كان قد أثاره ما كشفه ابنه حول زجاجة "الديمبل" ، ولكن لم يرغب في مناقشة الأمر أمام ضيوفه.

استمر بيتر واقفاً خلف كرسي والدته. ثم فجأة وضعت جولى سيمسون أوراقها مثل المروحة على المائدة وهي تقول: "سأعطيك فقط دور الاثنين الأسبائى،" وسجلوا جميعاً فى دفاتر نقاط اللاعبين: أربع بستونى بـ ١٢٠ زائد ٣٠ للدور الزائد وخمسمائة للفوز بلعبتين". رأى بيتر تعبير التحديق بانشداه الذى ينتاب والده: فمن أكثر الأشياء التى كان يكرهها أن يخسر.

قالت له والدته: "والآن هيا يا حبيبى".

قال محتجاً: "ولكننى لم ألعب حتى دوراً واحداً".

"لم يكن هناك وقت-سنتناول عشاءنا الآن. قدم تحية المساء ولتكن فتى طيباً".

قال: "تصبحون على خير"، ورد عليه الجميع تحية المساء.

قالت له أمه: "يمكنك أن تأخذ شريحة أخرى من الجبن معك".

"خذ اثنين"، قالت له جولى وهي تغمز له. ابتسم لها وأخذ اثنين، ثم ألقى عليهم تحية المساء مرة أخرى وخرج من الغرفة.

صاحت والدته من ورائه: "أنا قادمة لكى أغطيك عندما تدخل الفراش ، ولا تنس أن تنظف أسنانك عندما تنتهى من أكل شرائح الجبن".

عندما جاءت والدته لكي تقبله قبل أن ينام لم تقل شيئاً سوى:  
"و الآن أخلد إلى النوم ، وسنتحدث فى الصباح."

نام وهو يبكى. كان يشعر بالخجل خاصة بعد أن حاول لفت الأنظار أمام جولى سيمسون. كان أيضاً يخشى مواجهة والده فى اليوم التالى. أدرك أنه كان من الأفضل لو كان قد تم سؤاله حينذاك حول زجاجة "الديمبل" ؛ حيث كان سيوضح لهم أن الخدم كانوا يتصرفون مثل الأطفال ، ويلعبون لعبة التظاهر . ففى نهاية الأمر لم يحدث شىء باستثناء أنه رأى زيدولو والآخرين يشربون من زجاجة "الديمبل هيج". خادمه الشخصى فقط - شريف - وهو المسلم الوحيد بينهم، لم يشاركهم وظل جالساً يراقبهم بمزيج من البهجة والازدراء. قاموا بتمرير الزجاجة بينهم - وهم يمسحون قممها بكف أيديهم. كانوا قد قدموها لبيتر وهم يبتسمون ابتسامات عريضة ، ولكنه هز رأسه وهو يلوى وجهه للإشارة إلى أن المذاق لن يعجبه. كان قد تساعل حينذاك من أين أتوا بالزجاجة. فيما بعد، عندما ذهب هو وشريف لإطعام الطيور التى اصطادوها تلك الظهيرة ووضعوها فى أقفاص، قال له شريف إن الآخرين وضعوا خمريتهم المحلية فى الزجاجة ؛ وهى زجاجة فارغة كانت والدة بيتر قد ألقته فى سلة القمامة منذ عدة أشهر.

قبل أن يخلد إلى النوم طمأن نفسه أن كل شىء سينتهى على ما يرام - سيقوم فقط بإضافة المعلومات حول احتواء الزجاجة على خمر محلى.

اكتشف بيتر فى صباح اليوم التالى أن مزحته الصغيرة اكتسبت أبعاداً خطيرة ؛ حيث أجل والده زهابه إلى المكتب حتى يستطيع استجوابه. أطلق ضحكة ساخرة عندما شرح له بيتر أن زجاجة "الديمبل" كانت تحتوى على بيرة محلية، أو نوعاً من الخمر المحلى. كيف عرف ذلك؟ هل شربها؟ للحظات فكر بيتر أن يقول إنه شرب منها ، ولكنه خاف أن ينزلق فى مشكلة أعمق. الخدم، أشار والده، ليسوا أطفالاً لكى يلعبوا ألعاباً.

و لكنهم كانوا يتظاهرون فقط يا أبى."

حدق بيتر فى وجه والده الصارم، وشفاهه تمتد رفيعة أسفل شاربه الكثيف. لماذا فجأة أصبح الخدم يوصفون بأنهم ليسوا مثل الأطفال؟

دخلت والدته الغرفة وأشار والده بحركة إلى أعلى من عينيه أن ابنهما لم يكن لديه شىء آخر ليضيفه. وكان بيتر لم يكن موجوداً، سأل والده بعضهما كيف تآتى للخدم أن يحصلوا على زجاجة "الديمبل هيج".

ألم تلاحظ والدته إذا كانت إحدى الزجاجات مفقودة من مخزن المؤن؟ هل يمكن تصور أن زيدولو سرق زجاجة من على صينية المشروبات؟

أشارت والدة بيتر: "بالطبع يمكن أن يكون واحد منهم قد أخذ زجاجة فارغة من القمامة".

صرخ بيتر بصوت حاد: "هذا هو ما حدث، كانوا يتظاهرون فقط  
يا أبى."

"ستتير غضبى أكثر إذا ظللت تقول لى هذا" - وكان بيتر يستطيع  
أن يرى والده فى حالة غضب شديد ، وكان قد استقر على رأى. "لماذا  
إذن - إذا كنت تعتقد أنهم يلعبون لعبة غبية - ذكرت هذا الموضوع من  
الأساس؟ هل لكى تورطهم فى مشكلة؟"

اخترقت هذه العبارة الأخيرة أكثر من غيرها أعماق إحساسه  
بالذنب. دموعه، التى كان قد امسكها حتى الآن، بدأت تخنقه ، وأخذته  
والدته إلى الحمام وغسلت عينيه، وقالت له إنه كان على صواب عندما  
أبلغهم بما رأى. ناشدها ألا تفعل شيئاً لزيدولو والآخرين ، ولكنها قالت  
له إن الأمر متروك لوالده لكى يقرر ماذا يفعل.

قبل أن يذهب والده إلى المكتب كان قد تم اتخاذ قرار بمعاقبة  
جميع الخدم بخصم أجر إسبوع من رواتبهم فى نهاية الشهر-جميعهم  
باستثناء شريف.

تم إبلاغ بيتر بالقرار. كان سيتم اصطفاف الخدم أمام والده وقت  
الغذاء عندما يعود من مكتبه. مرة أخرى حاول بيتر أن يدافع عن  
الخدم أمام والدته.

قال لها إنهم ليسوا من الغباء بحيث يشربوا ويسكى سرقوه من  
المنزل أمامه؛ كانوا سيعرفون أنه سيبلغ والديه.

"لا أعتقد أنهم سيعرفون ذلك يا ولدى الحبيب. أعتقد أنهم يعتبرونك واحداً منهم. لقد قلت لك أكثر من مرة إنك يجب ألا تجلس معهم نصف اليوم مثلما تفعل. ألم تر المشاكل التي يسببها ذلك للجميع. يجب أن تعرف أنهم يعيشون في عالم آخر غير عالمنا."

و هو يأخذ معه أداة قذف الحصى ذهب مع شريف بحثاً عن الحمام في الشمبات المجاورة. قال لشريف إن والدته اكتشفت فقدان زجاجة ويسكى من مخزن المؤن. فبأى شكل آخر يستطيع أن يفسر له مجرى الأحداث؟ أصر شريف أنها كانت زجاجة فارغة تم رميها، وأنه تم انتشالها وملأها بالبيرة المحلية. طلب منه بيتر أن يحذر الباقين مما حدث ، وأنه سيتم استجوابهم عندما يعود البوانا x من المكتب.

تم استدعاء الخدم للاصطفاف في الفيرانده الأمامية، وإحضار كرسي خيزران لوالد بيتر - حيث خاطب من عليه الرجال الستة وهم واقفون؛ بحسب الأقدمية. قال لهم بإيجاز إن ابنه شاهدتهم وهم يشربون من زجاجة ويسكى. من أين جاءت هذه الزجاجة إن لم يكن من المنزل الذي يعملون فيه ، ويتقاضون أجورهم منه ؟ نظر الرجال إلى أقدامهم دون أن ينبسوا بكلمة، ثم نظروا جانباً إلى زيدولو وهو يكاد يهمس بكيفية اكتشافه للزجاجة منذ عدة أشهر في القمامة ، وكيف أنه غسلها لكي يملأها بالبيرة المحلية.

"لا أصدقك،" قال والد بيتر بجفاء ، وفرض عليهم غرامة قيمتها أجر إسبوع، يتم خصمها في نهاية الشهر. "أنتم محظوظون لأننى

لم أقحم الشرطة في هذا الأمر، قال وهو ينهى كلامه بنبرة تحذيرية.  
لم ينبس الخدم بأية كلمة احتجاجاً.

عندما أبلغته والدته بما تم إقراره احتج بيتر قائلاً: "هذا ظلم.  
لماذا لا يصدق أبى أنهم وجدوا زجاجة فارغة؟ إنه يفرض عليهم غرامة  
هكذا ، وهو يعلم أنهم لا يستطيعون فعل شيء إزاء ذلك." نظر إلى أعلى  
لوجهها بتحد. قال لها: "إنهم أصدقائي ، وأبى غير منصف."

" لا تتحدث هكذا عن أبك،"

قالت وهي تمسكه من كتفه وتهزه: "يمكنني إبلاغه بما قلت."

أحس أنه لم يعد هناك جدوى مما يفعل أو يقول- فلم يعد هناك ما  
يمكن أن يخسره أكثر من ذلك. سيعرف أصدقاؤه أنه قد خان ثقتهم  
فيه ، وسيكون رد فعلهم عدم الوثوق فيه أبداً بعد ذلك: لقد أُغلق الباب  
على عالم كان قد فُتح له وحده دون غيره. من الآن فصاعداً سيكون  
ممنوعاً عليه دخول هذا العالم ، وسيُجبر على الاكتفاء بذلك العالم الآخر  
الذي يعيش فيه والداه وأصدقاؤهما.





## المحتويات

5	..... التقديم
7	..... (١) الحلم
25	..... (٢) مصير سجين
57	..... (٣) مصير صيد في بيروت
73	..... (٤) نصيب من الكعكة
85	..... (٥) تمت الصفقة
105	..... (٦) بريتشارد
115	..... (٧) فتاة القمامة
127	..... (٨) قهوة في الماريوت
133	..... (٩) حديقة النخيل
141	..... (١٠) كسات
149	..... (١١) عطلة نهاية أسبوع قصيرة
175	..... (١٢) ابتسامه من بعيد
185	..... (١٣) تاكسى له وحده
195	..... (١٤) دفلى بيضاء ووردية
211	..... (١٥) عالمان



## المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .



## المشروع القومى للترجمة

ت أحمد درويش	جون كوين	١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)
ت أحمد فؤاد بليغ	ك مادهو بانينكار	٢ - الوثنية والإسلام
ت شوقى جلال	جورج جيمس	٣ - التراث المسروق
ت أحمد الحضرى	انجا كاريتنكوفا	٤ - كيف تتم كتابة السيناريو
ت محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	٥ - ثريا فى غيبوبة
ت سعد مصلوح / وقاء كامل فايد	ميلكا إفيتش	٦ - اتجاهات البحث اللغوى
ت يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة
ت مصطفى ماهر	ماكس فريش	٨ - مشعلو الحرائق
ت محمود محمد عاشور	أندروس جودى	٩ - التغييرات البيئية
ت محمد معصم وعد الطيل الأزنى وعمر حلى	جيرار چيبيت	١٠ - خطاب الحكاية
ت هياء عبد الفتاح	فيسوافا شيمبوريسكا	١١ - محققات
ت أحمد محمود	ديفيد براونستون وايرين فرانك	١٢ - طريق الحرير
ت عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	١٣ - ديانة الساميين
ت حسن المودن	جان بيلمان تويل	١٤ - التحليل النفسى والأدب
ت أشرف رفيق عفيفى	إدوارد لويس سميث	١٥ - الحركات الفنية
ت بإشراف / أحمد عتمان	مارتن برنال	١٦ - أثنية السوداء
ت محمد مصطفى بنوى	هيليب لاركين	١٧ - مختارات
ت طلعت شاهين	مختارات	١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية
ت نعيم عطية	جورج سفيريس	١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة
ت يعنى طريف الخولى / بنوى عبد الفتاح	ج كراوثر	٢٠ - قصة العلم
ت ماجدة العنانى	صمد بهرنجى	٢١ - خوخة وألف خوخة
ت سيد أحمد على الناصرى	جور أنتيس	٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين
ت سعيد توفيق	هانز جيورج حادامر	٢٣ - تجلى الجميل
ت بكر عباس	باتريك مارنر	٢٤ - ظلال المستقبل
ت إبراهيم الدسوقى شتا	مولانا جلال الدين الرومى	٢٥ - مثنوى
ت أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	٢٦ - دين مصر العام
ت نخبة	مقالات	٢٧ - التنوع البشرى الخلاق
ت مى أبو سه	جون لوك	٢٨ - رسالة فى التسامح
ت بتر الديب	جيمس ب كارس	٢٩ - الموت والوجود
ت أحمد فؤاد بليغ	ك مادهو بانينكار	٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)
ت عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب	جان سوقاجيه - كلود كايين	٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
ت مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روس	٣٢ - الانقراض
ت أحمد فؤاد طبع	أ ح هويكتر	٣٣ - التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية
ت حصاة إبراهيم المنيف	روجر الزن	٣٤ - الرواية العربية
ت خليل كلفت	بول ب نيكسون	٣٥ - الأسطورة والحدائث

- ٢٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن ت حياة جاسم محمد
- ٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر ت جمال عبد الرحيم
- ٢٨ - نقد الحداثة آلن تورين ت أمور مفيث
- ٢٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت ت منيرة كروان
- ٤٠ - قصائد حب أن سكستون ت محمد عبد إبراهيم
- ٤١ - ما بعد المركزية الأوربية بيتر جران ت عطف أحمد / إبراهيم قحى / مصود ماجد
- ٤٢ - عالم ماك بتجامين بارير ت أحمد محمود
- ٤٣ - اللهب المروج أوكتايفو پاث ت المهدي أخريف
- ٤٤ - بعد عدة أصياف ألدوس هكسلي ت مارلين تانرس
- ٤٥ - التراث المعنوي روبرت ج نيفيا - جون ف أ فاين ت أحمد محمود
- ٤٦ - عشرون قصيدة حب بابلو نيرودا ت محمود السيد على
- ٤٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث جا ريبه ويليك ت محاهد عبد المنعم محاهد
- ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا توما ت ماهر جويجاتي
- ٤٩ - الإسلام هي اللقان ه ت نوريس ت عبد الوهاب علوب
- ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ ت محمد برلثة وعظمي الملود ويوسف الأطكى
- ٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية داريو بياويوا وخ م بينياليستي ت محمد أبو العطا
- ٥٢ - العلاج النفسي التدعيمي بيتر ن نومايس وستيفن ج لطفى فطيم وعادل بمرداش
- ٥٣ - الرواية والتعليم روجسيفيتز وروجر بيل ت مرسى سعد الدين
- ٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح أ ف ألتحتون ت محسن مصيلحي
- ٥٥ - ما وراء العلم چود بولكنجهوم ت علي يوسف على
- ٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسية لوركا ت محمود على مكى
- ٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسية لوركا ت محمود السيد ، ماهر النطوطى
- ٥٨ - مسرحيتان فديريكو غرسية لوركا ت محمد أبو العطا
- ٥٩ - المحيرة كارلوس مونيث ت السيد السيد سهيم
- ٦٠ - التصميم والشكل جواهر ايتين ت صبرى محمد عبد الفنى
- ٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميث ت مراحة وإشراف محمد الجوهري
- ٦٢ - لذة النص رولان بارت ت محمد خير البقاعى
- ٦٣ - تاريخ النقد الألبى الحديث جا رينيه ويليك ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود ت رمسيس عوض
- ٦٥ - فى مدح الكحل ومقالات أخرى برتراند راسل ت رمسيس عوض
- ٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا ت عبد اللطيف عبد الحليم
- ٦٧ - مختارات فرناندو بيمسوا ت المهدي أخريف
- ٦٨ - نتاشا العجور وقصص أخرى قالتين راسيوتين ت أشرف الصباغ
- ٦٩ - العلم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم ت أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
- ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوكينيو تشانج رودريجت ت عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
- ٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرعى داريو فو ت حسين محمود

- ٧٢ - السياسي العحوز ت س إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين ب توميكنز
- ٧٤ - صلاح الدين والمالِك في مصر ل ا سيمينوفنا
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - چاك لاكل وانغواء التطيل النفسى مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الألبى الطيىث ج ٢ رينيه ويليك
- ٧٨ - العولة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد رويرتسون
- ٧٩ - شعريه التاليف يوريس أوسينسكى
- ٨٠ - بوشكين عند «ناهوره الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتحيلة مندكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميجيل ميحيل دى أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور العلاج (مسرحية) صلاح ركى اقطاى
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صادقى
- ٨٧ - نور والقلم جلال ال أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالتعرب جلال ال أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتوى جيدر
- ٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتعرب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانيوأمريكى المعاصر كارلوس ميحيل
- ٩٣ - محدثات العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤ - الحب الأول والصحية سمويل بيكيت
- ٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني أنطويو بويرو باييجو
- ٩٦ - ثلاث زسقات ووردة قصص مختارة
- ٩٧ - هوية هرمسا (المجلد الأول) فرنان برودل
- ٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى نماذج ومقالات
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية ديفيد روسون
- ١٠٠ - مساطة العولة بول هيرست وجراهام توميسون
- ١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) بيرنار هاليط
- ١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيبى
- ١٠٣ - قمر ابن عربى يليه آباء عبد الوهاب المؤيد
- ١٠٤ - أوبرا ماهوجنى برتولت بريشت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع چيرارچيبيت
- ١٠٦ - الألب الأندلسى د ماريا خيموس روبييرامتى
- ١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر نخبة
- ت فؤاد مجلى
- ت حسن ناظم وعلى حاكم
- ت حسن بيومى
- ت أحمد درويش
- ت عبد المقصود عبد الكريم
- ت محاهد عبد المنعم مجاهد
- ت أحمد محمود ونورا أمين
- ت سعيد القاسمى وناصر حلاوى
- ت مكارم الغمرى
- ت محمد طارق الشرقاوى
- ت محمود السيد على
- ت خالد المعالى
- ت عبد الحميد شيحة
- ت عبد الرارق بركات
- ت أحمد فتحى يوسف شتا
- ت ماحدة العنانى
- ت إبراهيم الدسوقى شتا
- ت أحمد زايد ومحمد محيى الدين
- ت محمد إبراهيم مدوك
- ت محمد هناء عبد الفتاح
- ت نادية جمال الدين
- ت عبد الوهاب غلوب
- ت فوزية العشماوى
- ت سرى محمد محمد عبد اللطيف
- ت إيوار الخراط
- ت بشير السعاعى
- ت أشرف الصباج
- ت إبراهيم قنديل
- ت إبراهيم فتحى
- ت رشيد بنحدو
- ت عمر الدين الكتانى الإدريسى
- ت محمد بنيس
- ت عبد العفار مكاوى
- ت عبد العزيز شبيب
- ت أشرف على دعور
- ت محمد عبد الله الجعيدى



ت	محمود على مكى	١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى
ت	هاشم أحمد محمد	١٠٩ - حروب المياه
ت	منى قطان	١١٠ - النساء فى العالم العاصى
ت	ريهام حسيب إبراهيم	١١١ - المرأة والجريمة
ت	إكرام يوسف	١١٢ - الاحتجاج الهادئ
ت	أحمد حسان	١١٣ - راية التمرد
ت	نسيم مجلى	١١٤ - مسرحيات صناد كوني وسكار المستنق
ت	سمية رمضان	١١٥ - غرفة تخص المرء وحده
ت	نهاد أحمد سالم	١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)
ت	منى إبراهيم ، وهالة كمال	١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام
ت	لميس النقاش	١١٨ - النهضة النسائية فى مصر
ت	بإشراف / رؤوف عباس	١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق
ت	نخبة من المترجمين	١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط
ت	محمد الجندى ، وإيزابيل كمال	١٢١ - العليل الصغير فى كتلة المرأة العربية
ت	منيرة كروان	١٢٢ - نظم العبودية القديم ونموذج الإسبان
ت	أنور محمد إبراهيم	١٢٣ - إمبراطورية العثمانية وعلاقتها بالولاية
ت	أحمد فؤاد بلبع	١٢٤ - الفجر الكاذب
ت	سمحة الخولى	١٢٥ - التحليل الموسيقى
ت	عبد الوهاب علوب	١٢٦ - فعل القراءة
ت	بشير السباعى	١٢٧ - إرهاب
ت	أميرة حسن مويرة	١٢٨ - الأوب المقارن
ت	محمد أبو العطا واحرون	١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة
ت	شوقى جلال	١٣٠ - الشرق بصعد ثانية
ت	لويس بقطر	١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)
ت	عبد الوهاب علوب	١٣٢ - ثقافة العولة
ت	طلعت الشايب	١٣٣ - الخوف من المرايا
ت	أحمد محمود	١٣٤ - تشريح حضارة
ت	ماهر شفيق فريد	١٣٥ - المختار من نقد من اليون (ثلاثة أمراء)
ت	سحر توفيق	١٣٦ - فلاحو الياشا
ت	كاميليا صبحى	١٣٧ - مفكرات ضابطهمى الصلة الفرنسية
ت	وجيه سمعان عبد المسيح	١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
ت	مصطفى ماهر	١٣٩ - باريس فى
ت	أمل الجبورى	١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار
ت	نعيم عطية	١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية
ت	حسن بيومى	١٤٢ - الإسكندرية تاريخ ودليل
ت	عدلى السمري	١٤٣ - قضايا التطور فى البحث الاجتماعى
ت	سلامة محمد سليمان	١٤٤ - صاحبة اللوكاندة
	مجموعة من النقاد	
	جون بولوك وعادل درويش	
	حسنه بيجوم	
	فرانسيس هيندسون	
	أرلين علوى ماكليود	
	سادى بلانت	
	وول شوينكا	
	فرجينيا وولف	
	سينثيا نلسون	
	ليلى أحمد	
	يث بارون	
	أميرة الأهرى سنيل	
	ليلى أبو لغد	
	فاطمة موسى	
	جوزيف فوجت	
	نيل الكسندر وفنابولينا	
	چود حراى	
	سيدريك ثورپ ديفى	
	فولمانج إيصر	
	صفاء فتحى	
	سوران باسبيت	
	ماريا دولورس أسيس جاروت	
	أندريه جوبدر فرانك	
	مجموعة من المؤلفين	
	مايك فينرستون	
	طارق على	
	مارى ج كيمب	
	ت س إليوت	
	كينيث كونو	
	جوزيف ماري مواريه	
	إيطاليا تارونى	
	ريشارد فاجنر	
	هربرت ميسن	
	مجموعة من المؤلفين	
	أ م فورستر	
	ديريك لايدار	
	كارلو جولونوى	

ت أحمد حسان	كارلوس فويتس	١٤٥ - موت أرتيميو كروث
ت على عبد الرؤوف البمبي	ميجيل دي ليبس	١٤٦ - الورقة الحمراء
ت عبد الغفار مكاوي	تانكريد نورست	١٤٧ - خطبة الإدارة الطويلة
ت على إبراهيم على منوفى	إنريكي أندرسون إمبرت	١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
ت أسامة إسمر	عاطف فضول	١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس
ت مبيرة كروان	روبرت ج ليتمان	١٥٠ - التجربة الإغريقية
ت بشير السباعي	فرنان برودل	١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)
ت محمد محمد الخطابي	نخبة من الكتاب	١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى
ت فاطمة عبد الله محمود	فيولين قاتويك	١٥٣ - غرام الفراغة
ت حليل كلفت	فيل سليتر	١٥٤ - مدرسة هرايكورت
ت أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر
ت مى التلمسالى	جى أنبال وآلان وأوبيت فيرمو	١٥٦ - المدارس العمالية الكبرى
ت عبد العزيز نقوش	النظامى الكنجوى	١٥٧ - خسرو وشيرين
ت بشير السباعي	فرنان برودل	١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)
ت إبراهيم فتحى	ديفيد هوكس	١٥٩ - الإيديولوجية
ت حسين بيومى	بول إيرليش	١٦٠ - آلة الطبيعة
ت زيدان عبد الحليم زيدان	اليفاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	١٦١ - من المسرح الإسباني
ت صلاح عبد العزيز محجوب	يوحنا الآسيوى	١٦٢ - تاريخ الكنيسة
ت بإشراف محمد الحوهرى	جوردون مارشال	١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١
ت نبيل سعد	جان لاكوتير	١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)
ت سهير المصادفة	أ ن أفانا سيفا	١٦٥ - حكايات الثلج
ت محمد محمود أبو عدير	يشعياهو ليفمان	١٦٦ - العلاقات بين المتبعب والطابع من إسرائيل
ت شكرى محمد عياد	رايندرانات طاغور	١٦٧ - فى عالم طاغور
ت شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة
ت شكرى محمد عياد	مجموعة من المبدعين	١٦٩ - إبداعات أدبية
ت بسام ياسين رشيد	ميهيل دليبيس	١٧٠ - الطريق
ت هدى حسين	فرايك بيجو	١٧١ - وضع حد
ت محمد محمد الخطابي	مختارات	١٧٢ - حجر الشمس
ت إمام عبد الفتاح إمام	ولترت ستيس	١٧٣ - معنى الجمال
ت أحمد محمود	ايليس كاشمور	١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء
ت وجيه سمعان عبد المسيح	لورينزو فيلشس	١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية
ت جلال البنا	توم تينبرج	١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
ت حصة إبراهيم ميف	هنرى تروايا	١٧٧ - أنطون تشيخوف
ت محمد حمدى إبراهيم	نخبة من الشعراء	١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث
ت إمام عبد الفتاح إمام	أيسوب	١٧٩ - حكايات أيسوب
ت سليم عبدالأمير حمدان	إسماعيل فصيح	١٨٠ - قصة جاويد
ت محمد يحيى	فنتسنت ب ليتش	١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى

١٨٢ - العنف والنبوة	و ب بيتس	ت ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة حالة لا تقام	هانز إيندورفر	ت دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أتود	ت إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزُجْ علوى	ت علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفين كرنان	ت بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت سعيد القاننى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - ساحت نامه إبراهيم بك جا	زين العابدين المراعى	ت محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامر	ت محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مطارات من النقد الأثلو - أمريكى	مجموعة من العقاد	ت ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمري وآخرين	ت إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندواى	ت جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت فخرى لبيب
٢٠١ - الجاب الدينى للفلسفة	جورايا رويس	ت أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأسمى الحديث ج٢	ريبيه ويليك	ت محاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالى	ت جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شارار	ت أحمد محمود هويدي
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	ت أحمد مستجير
٢٠٦ - الهولوية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت على يوسف على
٢٠٧ - ليل إهريقى	رامون خوتاسنديز	ت محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العرس فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرود والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت أشرف الصباغ
٢١٠ - مثويات حكيم سنانى	سنانى القربوى	ت يوسف عبد الفتاح فرح
٢١١ - فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت محمود حمدى عبد العسى
٢١٢ - قصص الأمير مريان	مريان بن رستم بن شروين	ت يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر مد قوم بلطيين حتى رجل عد القصر	ريمون هلاود	ت سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمبوع فى علم الاجتماع	أنتونى جيدتر	ت محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بك جا	زين العابدين المراعى	ت محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت نادية النهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت على إبراهيم على منوهى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانزو ايشجورو	ت طلعت الشايب
٢٢٠ - الهبولية في الكون	بارى باركر	ت على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفاقي	جريجورى جوزداتيس	ت رفعت سلام
٢٢٢ - فرايز كافكا	رونالد جراي	ت نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	ت السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركت	ت السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت طاهر محمد على الربرى
٢٢٧ - المسرح الإسلامى في القرن السابع عشر	موسى مازديا ديف يوركى	ت السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	حانيت وولف	ت ماري تيرير عبد المسيح وخالد حس
٢٢٩ - مازق البطل الوحيد	بورمان كيومان	ت أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الدماء والفنزان والبشر	فرانسواز جاكوب	ت مصطفى إبراهيم مهمى
٢٣١ - الدراهيل	خايمي سالوم بيدال	ت جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج سنسر تريمينجهام	ت هزاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تيريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روين فيدين	ت عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت ياسر محمد جاد الله وعربى مديونى أحمد
٢٣٩ - العرمى في الألب الإسرائيلي	جيلرافر - رايوخ	ت بلدية سليمان حاهط وإيهاب صلاح هانيق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - هي انتظار البرابرة	ك م كويتر	ت ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمسون	ت صبرى محمد حسن عبد النسي
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع ١)	ليفى بروفنسال	ت مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - العليان	لاورا إسكيبيل	ت نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إيرابينا أديس	ت توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركت	ت على إبراهيم على منوهى
٢٤٧ - الثقافة العاصرية والحداثة في مصر	وولتر أرميرست	ت محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت ماجدة أناظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف محمد أنجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل أ. سيميوتفا	ت حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودى جروفز	ت إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودى جروفز	ت إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - بيكارت	ديف روينسون وجودي جروفز	ت	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	ت	محمود سيد أحمد
٢٥٨ - العجر	سير أنجوس فريزر	ت	عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت	قاروجان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت	ياشرف محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب مصود	زكي نجيب محمود	ت	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجرات	إيوارد مندوثا	ت	محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت	علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلي	ت	لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وهموثيل جوسون	ت	لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت	عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت	بدر الدين عرودي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج٢	جلال الدين الرومي	ت	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم جيفور بالجريف	ت	صبري محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم جيفور بالجريف	ت	صبري محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سي باترسون	ت	شوقي حلال
٢٧٢ - الأبيرة الأثرية في مصر	س س والتز	ت	إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستثمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر لوك	ت	عنان الشهاوي
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت	محمود علي مكي
٢٧٥ - ت س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت	ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرائك حوتيران	ت	عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الجينات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت	أحمد قوري
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت	طريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سويدرز	ت	طلعت الشايب
٢٨٠ - من الألب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت	سمير عبد الحميد
٢٨١ - القديس الأعلى	مولانا عبد الحلیم شرر الكهنوي	ت	حلال الحفاوي
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	ت	سمير حنا صائق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان رواهو	ت	علي البيني
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوربيدس	ت	أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت	سمير عبد الحميد
٢٨٦ - سياحت بامه إبراهيم بك ج٢	زين العامين المراغي	ت	محمود سلامة علاوي
٢٨٧ - الثقافة والعملية والطعام العالمي	أنتوني كينج	ت	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائي	ديفيد لودج	ت	ماهر البطوطي
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامقاني	أبو نجم أحمد بن قوص	ت	محمد نور الدين
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت	أحمد ركريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسلامي في القرن العشرين ج١	فرانشيسكو رويس رامون	ت	السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسلامي في القرن العشرين ج٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت	السيد عبد الظاهر

ت	نخبة من المترجمين	روجر آلان	٢٩٣ - مقنمة للأب العربى
ت	رحاء ياقوت صالح	بوالو	٢٩٤ - فن الشعر
ت	بدر الدين حب الله الديب	جوزيف كامبل	٢٩٥ - سلطان الأسطورة
ت	محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	٢٩٦ - مكبث
ت	ماجدة محمد أنور	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهوانى	٢٩٧ - فن النحومين اليونانية والسوريلانية
ت	مصطفى حجازى السيد	أبو بكر تقاوابليوه	٢٩٨ - ملنسة العبيد
ت	هاشم أحمد فؤاد	جين ل ماركس	٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا العيوية
ت	جمال الحريرى وبهاء جاهين	لويس عوض	٣٠٠ - أسطورة برومثيروس مج١
ت	جمال الجزيرى ومحمد الجندى	لويس عوض	٣٠١ - أسطورة برومثيروس مج٢
ت	إمام عبد الفتاح إمام	جون هيتون وجودى جرومز	٣٠٢ - فنجنشتين
ت	إمام عبد الفتاح إمام	جين هوب ويورن فان لود	٣٠٣ - بودا
ت	إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	٣٠٤ - ماركس
ت	صلاح عبد الصبور	كروزيو مالابارته	٣٠٥ - الجلد
ت	نبيل سعد	جان - فرانسوا ليوتار	٣٠٦ - العنسة - القد الكانطى لتاريخ
ت	محمود محمد أحمد	ديفيد باينيو	٣٠٧ - الشعر
ت	ممدوح عبد المنعم أحمد	ستيف جونز	٣٠٨ - علم الوراثة
ت	جمال الجيرى	انجوس چيلاتى	٣٠٩ - الدهن والمخ
ت	محيى الدين محمد حسن	ناجى هيد	٣١٠ - يونج
ت	فاطمة إسماعيل	كولنجوود	٣١١ - مقال فى المنهج الفلسفى
ت	أسعد حليم	وليم دى بويز	٣١٢ - روح الشعب الأسود
ت	عبد الله الحميدى	خابير بيان	٣١٣ - أمثال فلسطينية
ت	هويدا السباعى	جيس مينيك	٣١٤ - الفن كعدم
ت	كاميليا صبحى	ميشيل بروندينو	٣١٥ - جرامشى فى العالم العربى
ت	نسيم مجلى	أ. ف ستون	٣١٦ - محاكمة سقراط
ت	أشرف الصباغ	شير لايموفا - زنيكين	٣١٧ - بلاغذ
ت	أشرف الصباغ	نخبة	٣١٨ - الاب الروسى فى السنوات العشر الاحرة
ت	حسام نايل	جايترو ياسبيفاك وكريستوفر بوريس	٣١٩ - صور دريدا
ت	محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	٣٢٠ - لمة السراج لحضرة التاج
ت	نخبة من المترجمين	ليفى برو فنسال	٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ١ج)
ت	خالد مقلح حمرة	دبليو. إيوجين كلينيلور	٣٢٢ - رحمة نظر حبة فى تاريخ الفن العربى
ت	هام سليمان	تراث يونانى قديم	٣٢٣ - فن الساتورا
ت	محمود سلامة علاوى	أشرف أسدى	٣٢٤ - الذهب بالفار
ت	كريستين يوسف	فيليب بوسان	٣٢٥ - عالم الآثار
ت	حسن صقر	جورجين هابرماس	٣٢٦ - المعرفة والمصلحة
ت	توفيق على منصور	نخبة	٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة
ت	عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	٣٢٨ - يوسف وزليخة
ت	محمد عبد إبراهيم	تد هيوز	٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد

ت	سامى صلاح	٢٢٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد
ت	سامية دياب	٢٢١ - عندما جاء الصردين	ستيفن جراى
ت	على إبراهيم على منوفى	٢٢٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة
ت	بكر عباس	٢٢٣ - الإسلام فى بريطانيا	نييل مطر
ت	مصطفى فهمى	٢٢٤ - لقطات من المستقبل	آرثر س كلارك
ت	فتحى العشرى	٢٢٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت
ت	حسن صابر	٢٢٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة
ت	أحمد الأنصارى	٢٢٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس
ت	جلال السعيد الحفناوى	٢٢٨ - نظرات حاضرة وقصص أخرى من الهد	نخبة
ت	محمد علاء الدين منصور	٢٢٩ - تاريخ الأدب فى إيران ج٢	على أصغر حكمت
ت	فخرى لبيب	٢٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيرميروجلو
ت	حسن حلمى	٢٤١ - قصائد من رلك	راينر ماريا رلك
ت	عبد العزيز بقوش	٢٤٢ - سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
ت	سمير عبد ربه	٢٤٣ - العالم البرجوازي الزائل	نادين جورديمر
ت	سمير عبد ربه	٢٤٤ - الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه
ت	يوسف عبد الفتاح فرج	٢٤٥ - الركض خلف الزمن	يونه ندانى
ت	جمال الجريدى	٢٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى
ت	بكر الحلو	٢٤٧ - الصبية الطائشون	جان كوكتو
ت	عبد الله أحمد إبراهيم	٢٤٨ - التصوف الأور فى الأدب التركى ح١	محمد فؤاد كويريلى
ت	أحمد عمر شاهين	٢٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والديرون وأخريين
ت	عطية شحانة	٢٥٠ - بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة
ت	أحمد الأنصارى	٢٥١ - مبلدئ المنطق	جوزايا رويس
ت	نعيم عطية	٢٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس
ت	على إبراهيم على منوفى	٢٥٣ - الفن الإسلامى فى الأتلسر (هنسية)	باسيليو بابون مالدونالد
ت	على إبراهيم على منوفى	٢٥٤ - الفن الإسلامى فى الأتلسر (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد
ت	محمود سلامة علاوى	٢٥٥ - التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى
ت	بدر الرفاعى	٢٥٦ - الميراث المر	بول سالم
ت	عمر الفاروق عمر	٢٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة
ت	مصطفى حجازى السيد	٢٥٨ - أمثال الهوسا العامية	نخبة
ت	حبیب الشاروسى	٢٥٩ - محاورات بارمنيدس	أفلاطون
ت	ليلى الشربينى	٢٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا ماركان
ت	عاطف معتمد وآمال شاور	٢٦١ - التصحر التهديد والمجابهة	آلان جرينجر
ت	سيد أحمد فتح الله	٢٦٢ - تلميذ باينبرج	هاينرش شيبورال
ت	هنري محمد حسن	٢٦٣ - حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد حيبسون
ت	مجلاء أبو عجاج	٢٦٤ - حدائث شكسبير	إسماعيل سراج الدين
ت	محمد أحمد حمد	٢٦٥ - سنم باريس	شارل بودلير
ت	مصطفى محمود محمد	٢٦٦ - نساء يركضن مع الدئاب	كلاريسا بنكولا

٢٦٧ - القلم الجريء	نخبة	ت البراق عبد الهادي رضا
٢٦٨ - المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت عابد خزندار
٢٦٩ - المرأة في أدب نجيب محفوظ فوزية العشماوى		ت قورية العشماوى
٢٧٠ - الفن والحياة في مصر الفرعونية كليلا لويت		ت فاطمة عبد الله محمود
٢٧١ - التصوف الاول في الامم التركي محمد فؤاد كوبريلى		ت عبد الله أحمد إبراهيم
٢٧٢ - عاش الشباب	وانغ مينغ	ت وحيد السعيد عبد الحميد
٢٧٣ - كيف تعد رسالة دكتوراه	أميرتو إيكو	ت على إبراهيم على منوفى
٢٧٤ - اليوم السادس	أندريه شديد	ت حمادة إبراهيم
٢٧٥ - الخلود	ميلان كونديرا	ت خالد أبو اليريد
٢٧٦ - الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت إيوار الخراط
٢٧٧ - تاريخ الأدب في إيران حء	على أصغر حكمت	ت محمد علاء الدين منصور
٢٧٨ - المسافر	محمد إقبال	ت يوسف عبد الفتاح فرح
٢٧٩ - ملك في الحديقة	سميل باث	ت جمال عبد الرحمن
٢٨٠ - حديث عن الخضارة	جونتر حراس	ت شيرين عبد السلام
٢٨١ - أساسيات اللغة	ر ل تراسك	ت رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢ - تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت أحمد محمد نادى
٢٨٣ - هدية الحجار	محمد إقبال	ت سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٤ - القصص التي يحكيها الأطفال سوزان إنجيل		ت إيرايل كمال
٢٨٥ - مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت يوسف عبد الفتاح فرج
٢٨٦ - دفاعاً عن التاريخ الأئبى السوى	جانيت تود	ت ريهام حسين إبراهيم
٢٨٧ - أغبيات وسوماتات	جون دن	ت بهاء جاهين
٢٨٨ - مواظ سعدي الشيرازى	سعدي الشيرازى	ت محمد علاء الدين منصور
٢٨٩ - من الأدب الناكستافى المعاصر نخبة		ت سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٩٠ - الأرشيفات والمدس الكبرى	نخبة	ت عثمان مصطفى عثمان
٢٩١ - الحافلة الليكية	مايف بيشى	ت مى النروى
٢٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت عبد اللطيف عبد الطيم
٢٩٣ - فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت حنة
٢٩٤ - القوى الأربع الأساسية فى الكون بول ديفيز		ت هاشم أحمد محمد
٢٩٥ - الام سياوش	إسماعيل فصيح	ت سليم حمدان
٢٩٦ - الصافاك	تقى تجارى راد	ت محمود سلامة علاوى
٢٩٧ - بيتشه	لورانس جين	ت إمام عبد الفتاح إمام
٢٩٨ - سارتر	فيليب تودى	ت إمام عبد الفتاح إمام
٢٩٩ - كامى	بيفيد ميروفنتس	ت إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ - مومو	مشتياثيل إنده	ت ناهر الجوهري
٤٠١ - الرياضيات	زيانون ساردر	ت ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ - هوكنج	ج ب ماك ايفوى	ت ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ - ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت عماد حسن بكر
٤٠٤ - تعويذة الحسى	بيفيد إيرام	ت ظبية حميس
٤٠٥ - إيزابيل	أندريه جيد	ت حمادة إبراهيم
٤٠٦ - المستعربون الإسبيلن فى القرن ١٩ مانويلا مانتاناريس		ت جمال أحمد عبد الرحمن



٤٠٧ -	الطب الإسباني للعصر بقلم كلبه	أقلام مختلفة	ت	طلعت شاهين
٤٠٨ -	معجم تاريخ مصر	جوان فونشركنج	ت	عنان الشهاوى
٤٠٩ -	انتصار السعادة	برتراند راسل	ت	إلهامى عمارة
٤١٠ -	خلاصة القرن	كارل بوير	ت	الزواوى بغفورة
٤١١ -	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت	أحمد مستجير
٤١٢ -	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ح ٢)	ليفى بروفنسال	ت	نخبة
٤١٣ -	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت	محمد البخارى
٤١٤ -	الجمهورية العالمية للأداب	باسكال كازانوفنا	ت	أمل الصمان
٤١٥ -	صورة كوكب	فريدريش نورنيمات	ت	أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ -	مبادئ النقد الأسمى والعلم والشعر	أ. رتشاردز	ت	مصطفى بدوى
٤١٧ -	تاريخ النقد الأسمى الحديث ج ٥	رينيه ويليك	ت	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ -	سجلات الرمز الحاكمة من مصر العنصرية	جين هاثواى	ت	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ -	العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت	نسيم مجلى
٤٢٠ -	مكرو ميغاس	فولتير	ت	الطيب بن رجب
٤٢١ -	الولاة والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت	أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ -	رحلة لاستكشاف أفريقيا جا	نخبة	ت	عبد الله عبد الرارق إبراهيم
٤٢٣ -	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت	وحيد النقاش
٤٢٤ -	لوائح الحق ولوائح العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ -	من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت	محمود سلامة علاوى
٤٢٦ -	التمطيش وقصر آخرى من لستستر	نخبة	ت	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ -	يانديراس الطاعية	ماى إمكلان	ت	ثريا شلبى
٤٢٨ -	الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت	محمد أمان صافى
٤٢٩ -	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت	إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ -	كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى	ت	إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ -	فوكو	كريس هيروكس وزودان جفتيك	ت	إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ -	ماكياڤلى	ياتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت	إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ -	جويس	ديفيد بوريس وكارل هلت	ت	حمدى الجابرى
٤٣٤ -	الرومانسية	نونكار هيث وچوس بورهام	ت	عصام حجارى
٤٣٥ -	توجهات ما بعد الحداث	نيكولاس ربرج	ت	ناهى رشوان
٤٣٦ -	تاريخ الفلسفة (مج ١)	فريدريك كويلستون	ت	إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ -	رحالة هندى فى بلاد الشرق	شيلى العمانى	ت	حلال السعيد الحقاوى
٤٣٨ -	بطلات وضحايا	إيمان صياء الدين بييرس	ت	عايدة سيف الدولة
٤٣٩ -	موت المرابى	صدر الدين عيسى	ت	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ -	قواعد اللهجات العربية	كرستى بروسناد	ت	محمد الشرقاوى
٤٤١ -	رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت	فخرى لبيب
٤٤٢ -	حتشيسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت	ماهر جورجاتى
٤٤٣ -	اللغة العربية	كيس برستينغ	ت	محمد الشرقاوى

ت صالح علماني	لاوريت سيجورنه	٤٤٤ - أمريكا اللاتينية الثقافات القديمة
ت محمد محمد يونس	بروين نائل خانلري	٤٤٥ - حول وزن الشعر
ت أحمد محمود	ألكسندر كوكيرن وجيفري سانت كلير	٤٤٦ - التحالف الأسود
ت ممدوح عبد المنعم	ج پ ماك ايقوى	٤٤٧ - نظرية الكم
ت ممدوح عبد المنعم	ديلان ايفانر - أوسكار زاريت	٤٤٨ - علم نفس التطور
ت جمال الجزيري	مجموعة	٤٤٩ - الحركة النسائية
ت جمال الجزيري	صوفيا هوكا - ريبكارايت	٤٥٠ - ما بعد الحركة النسائية
ت إمام عبد الفتاح إمام	ريتشارد أوزبورن / بورن فان لون	٤٥١ - الفلسفة الشرقية
ت محي الدين مرید	ريتشارد إيجانزى / أوسكار زاريت	٤٥٢ - لينين والثورة الروسية
ت حليم طوسون وهؤاد الدهان	جان لوك أرنو	٤٥٣ - القاهرة إقامة مدينة حديثة
ت سوزان خليل	رينيه بريدال	٤٥٤ - حصون عالم من السيماف الفرنسية
ت محمود سيد أحمد	فردريك كويلستون	٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)
ت هويدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦ - لا تنسنى
ت إمام عبد الفتاح إمام	سوران مولر اوكين	٤٥٧ - النساء في الفكر السياسي العربي
ت جمال عبد الرحمن	خوليو كارو باروخا	٤٥٨ - الموريسكيون الأندلسيون
ت جلال اليبا	توم تيتنبرج	٤٥٩ - مفهوم اقتصاديات الموارد الطبيعية
ت إمام عبد الفتاح إمام	ستوارت هود - ليتزا جانستز	٤٦٠ - الفاشية والنازية
ت إمام عبد الفتاح إمام	داريان ليدر - جودي حروفير	٤٦١ - لكان
ت عبد الرشيد الصائق محمودى	عبد الرشيد الصائق محمودى	٤٦٢ - طه حسي من الأزهر إلى السوريين
ت كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣ - الدولة المارقة
ت حصة ميف	ميكانيل بارنتى	٤٦٤ - بيمقراطية القلة
ت جمال الرفاعى	لويس جويرج	٤٦٥ - قصص اليهود
ت فاطمة محمود	فيولين فانويك	٤٦٦ - حكايات حب ويطولات فرعونية
ت ربيع وهبة	ستيفين ديلى	٤٦٧ - التفكير السياسي
ت أحمد الانتصارى	جورايا رويس	٤٦٨ - روح الفلسفة الحديثة
ت مجدى عبد الرارق	نصوح حبشية قديمة	٤٦٩ - جلال الملوك
ت محمد السيد الننة	نخبة	٤٧٠ - الاراضى والجودة البيئية
ت عبد الله الرارق إبراهيم	نخبة	٤٧١ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ٢
ت سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سايبيرا	٤٧٢ - نون كيجوتى (القسم الأول)
ت سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سايبيرا	٤٧٣ - نون كيجوتى (القسم الثانى)
ت سهام عبد السلام	يام موريس	٤٧٤ - الأدب والنسوية
ت عادل هلال عمانى	فرجيبيا دانيلسون	٤٧٥ - صوت مصر أم كلثوم
ت سحر توفيق	ماريلين بوث	٤٧٦ - امر الحايب بعيدة يرم الترسى
ت أشرف كيلانى	هيلدا هوحام	٤٧٧ - تاريخ الصين
ت عبد العزيز حمدى	ليوشيه شنج ولى شى نونج	٤٧٨ - الصين والولايات المتحدة
ت عبد العزيز حمدى	لاوشه	٤٧٩ - المقهى (مسرحية صينية)
ت عبد العزيز حمدى	كو مو روا	٤٨٠ - تسلى ون جى (مسرحية صينية)

ت	روى متحدة	٤٨١ - عبادة النبي
ت	روبير جاك تيبو	٤٨٢ - موسوعة الأساطير والرموز العرعوبية
ت	سارة جامبل	٤٨٣ - النسوية وما بعد النسوية
ت	هاسن روبيرت ياوس	٤٨٤ - جمالية التلقى
ت	نذير أحمد الدهلوي	٤٨٥ - القوية (رواية)
ت	يان أسمن	٤٨٦ - الذاكرة الحضارية
ت	رفيع الدين المراد أبادي	٤٨٧ - الرحلة الهدية إلى الجزيرة العربية
ت	نخبة	٤٨٨ - الحب الذي كان وقصائد أخرى
ت	هَسْرُل	٤٨٩ - هَسْرُل الفلسفة علماً دقيقاً
ت	محمد قدرى	٤٩٠ - أسمار البيقاء
ت	نخبة	٤٩١ - نصوص قصصية من روائع الأدب الأمريكى
ت	جى فارجيت	٤٩٢ - محمد على مؤسس مصر الحديثة
ت	هارولد بالمر	٤٩٣ - خطابات إلى طالب الصوتيات
ت	نصوص مصرية قديمة	٤٩٤ - كتاب الموتى (الخروج فى النهار)
ت	إدوارد تيفان	٤٩٥ - اللوى
ت	إكوادو نامولى	٤٩٦ - الحكم والسياسة فى أفريقيا
ت	نادية العلى	٤٩٧ - العنابية والنوع والدولة من الشرق الأوسط
ت	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	٤٩٨ - النساء والنوع من الشرق الأوسط الحديث
ت	نخبة	٤٩٩ - تقاطعات الأمة والمجتمع والحسن
ت	تيتز رووكى	٥٠٠ - مرطوى (دراسة من السيرة الذاتية العربية)
ت	آرثر جولد هامر	٥٠١ - تاريخ النساء فى العرب
ت	هدى الصدة	٥٠٢ - أصوات بديلة
ت	نخبة	٥٠٣ - مختارات من الشعر الفارسى الحديث
ت	مارتن هايدجر	٥٠٤ - كتابات أساسية ج١
ت	مارتن هايدجر	٥٠٥ - كتابات أساسية ج٢
ت	آن تيلر	٥٠٦ - ربما كان قديماً
ت	بيتر شيهير	٥٠٧ - سيدة الماضى الجميل
ت	عبد الباقي جلبنارلى	٥٠٨ - المولوية بعد جلال الدين الرومى
ت	أدم صبرة	٥٠٩ - الفقر والإحسان من عهد سلاطين المماليك
ت	كارلو جولدونى	٥١٠ - الأرملة الماكرة
ت	ان تيلر	٥١١ - كوكب مرقع
ت	تيموثى كوريجان	٥١٢ - كتابة النقد السيمانى
ت	تيد أنتون	٥١٣ - العلم الجسور
ت	جونثان كولر	٥١٤ - مدخل إلى النظرية الأدبية
ت	فدى مالمى بوجلاس	٥١٥ - من التقليد إلى ما بعد العداة
ت	أرنولد واشمطون - وديونا بلوندى	٥١٦ - إرادة الإنسان فى شفاء الإيمان
ت	نخبة	٥١٧ - نقش على الماء وقصص أخرى
ت	إسحق عظيموف	٥١٨ - استكشاف الأرض والكون
ت	رضوان السيد	
ت	فاطمة محمود	
ت	أحمد الشامى	
ت	رشيد بيحدو	
ت	سمير عبد الحميد إبراهيم	
ت	عبد الحليم عبد العنى رجب	
ت	سمير عبد الحميد إبراهيم	
ت	سمير عبد الحميد إبراهيم	
ت	محمود رجب	
ت	عبد الوهاب طوب	
ت	سمير عبد ربه	
ت	محمد رفعت عواد	
ت	محمد صالح الضالع	
ت	شريف الصيغى	
ت	حسن عبد ربه المصرى	
ت	مجموعة من المترجمين	
ت	مصطفى رياض	
ت	أحمد على بدوى	
ت	فيصل بن حضراء	
ت	طلعت الشايب	
ت	سحر قراح	
ت	هالة كمال	
ت	محمد نور الدين عبد المعتم	
ت	إسماعيل المصدق	
ت	إسماعيل المصدق	
ت	عبد الحميد فهمى الجمال	
ت	شوقى فهمى	
ت	عبد الله أحمد إبراهيم	
ت	قاسم عبده قاسم	
ت	عبد الرارق عيد	
ت	عبد الحميد فهمى الجمال	
ت	جمال عبد الناصر	
ت	مصطفى إبراهيم فهمى	
ت	مصطفى بيومى عبد السلام	
ت	فدى مالمى بوجلاس	
ت	صبرى محمد حسن	
ت	سمير عبد الحميد إبراهيم	
ت	هاشم أحمد محمد	

ت أحمد الأتصاري	جوزايا رويس	٥١٩ - محاضرات في المثالية الحديثة
ت أمل الصيار	أحمد يوسف	٥٢٠ - الولوج الفرنسي بمصر من الطم إلى الشروع
ت عبد الوهاب بكر	أرثر جولد سميث	٥٢١ - قاموس تراجم مصر الحديثة
ت علي إبراهيم منوفي	أميركو كاسترو	٥٢٢ - إسبانيا في تاريخها
ت علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون مالدونادو	٥٢٣ - الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن
ت أحمد المغازي	دان كاسبر وييهيل ليمور	٥٢٤ - يانوراما الإعلام الإسرائيلي
ت نادية رفعت	دنيس جونسون رزيفز	٥٢٥ - موسم صيد في بيروت وقصص أخرى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية  
رقم الإيداع ٢١٠٢٣ / ٢٠٠٢





هذه المجموعة القصصية ذات الانسياب السردى الهادئ،  
والدراما غير المولعة بالصخب، والحبكات الناعمة الذكية،  
إنما ترسم صورة لعالم مجهول لدينا برغم قربه منا، فنحن  
نعرف أن الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية عندما غربت  
عنها الشمس تركت عالم المستعمرات - بعد التحرر - ممزق  
الأوصال على خرائط مزروعة بالألغام ومنذورة للحروب  
الأهلية والحدودية وآلام الشعوب. أما الذى لا نعرفه وتقودنا  
هذه القصص إلى معرفته فهو ذلك العالم الداخلى لفئة من  
أبناء الإمبراطورية الأقلية نفسها، قادتهم قلوبهم إلى الجانب  
الآخر المجروح بسكين هذه الإمبراطورية، وكان نصيبهم من  
الإرث: خرائط أخرى ملتبسة فى دواخلهم، معذبة بالحيرة  
بين عالمين ومثقلة بالشجن، وهو عند «دينيس چونسون»  
شجن عذب وموجع فى آنٍ.